









ديوان

العالم العلاَّمة الشاعر المشهور

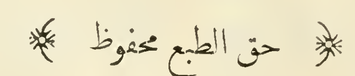
الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني

رحمهُ الله تعالى

النبذة الثانية

وهي المعروفة بنفحة الريحان

طُبعت بنفقة الفقير اليهِ تعالى ميخائيل ابرهيم رحمة
مصححةً بقلم العلاَّمة الفاضل الشيخ ابرهيم اليازجي



المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٩٨

قال يمدح سعيد باشا عزيز مصر حين جلوسه
على تخت القاهرة

قِفَا بينَ الثنيَّةِ والمُصلَّى ... على جبلٍ دنا حتَّى تدلَّى
وإن أبصرتُما نارًا فقُولا ... ترَى أيُّ القُلوبِ عليكِ يُصلَى
منَ العرَبِ الكِرامِ كُماةُ حربٍ ... تُناظِرُهمْ كرائِمُ لسْنَ عزْلا
اذا ما أرهفوا نصلاً لِقتلٍ ... فهُنَّ أشدُّ بالأجفانِ قتْلا
رِجالٌ ينحرُونَ البُزْلَ جُودًا ... وغِيدٌ تنحرُ العُشَّاقَ بُخْلا
ترَى نارَ القِرَى في الحَيِّ تعلُو ... ونيرانُ الهوَى أعلى وأغلَى
على ذاكَ الكثِيبِ لنا سلامٌ ... يُكاثِرُ في الكثِيبِ الفرْدِ رمْلا
كثِيبٌ قامَ فيهِ رشِيقُ عِطْفٍ ... نُشبِّهُهُ بِغُصنِ البانِ جهْلا
رَشًا في الحَيِّ تغزِلُ مُقلتاهُ ... ترُى منْ علَّمَ الغزلانَ غزْلا
اذا أتحَفتَ عينَيهِ بِكحلٍ ... يقولُ أراكَ تُهدِي الكُحلَ كُحْلا
رُويدكَ أيُّها الجاني بطرْفٍ ... فكم جنَتِ الليالي السودُ قبلا
أدُورُ على رضاكَ ولا أراهُ ... كأني طالبٌ لسعِيدَ مِثْلا
عزيزٌ قد تولَّى تختَ مِصرٍ ... فعزَّ بمجدِ وطْأتِهِ وجلَّا
تُشيدُ بحمدِهِ مِصرٌ ويدعو ... لهُ منْ صامَ في مِصرٍ وصلَّى
فتًى لو كانَ ماءُ النيلِ مالاً ... لفرَّقهُ على السؤَّالِ بذْلا

ولو كانَ المُقطَّمُ من عِداهُ — لَشاهدتَ المُقطَّمَ صارَ سَهْلا

لَقد جمعتْ بهِ النيلَينِ مِصرٌ — ولكنْ أَشرفُ النيلَينِ أَحلى

هُما النيلانِ من ذَهَبٍ وماءٍ — قَدِ اجتمَعا فلَيْسَ تخافُ مَحْلا

يمينٌ تَملأُ الآفاقَ جُودًا — وقَلبٌ يمـلأُ الأَقطارَ عَدْلا

وحِلمٌ مَدَّ فوقَ الريفِ رِيفًـا — وحَزْمٌ قامَ فوقَ النَخلِ نَخلا

سليمٌ مُخلِصٌ سِرًّا وجَهرًا — كريمٌ مُحسِنٌ قَوْلاً وفِعْلا

يَرَى من صالحِ الأَعمالِ فَرْضًا — عليهِ مـا تَراهُ الناسُ نَفْلا

اذا صَلَدَتْ زنادُ الرأْيِ أَوْرَى — وإِنْ عَقَدَتْ أَيادي الدَهرِ حَلاَّ

يُلاقِي ما يَفِرُّ الليثُ منـهُ — ويَحمِلُ ما يَدُكُّ الطَودَ ثِقْلا

نرى خيرَ الكِرامِ أَبًا وأُمًّا — تَولَّى عَهدَ خيرِ الناسِ نَجْـلا

أَتَتْ مِصرَ الخِلافةُ ذاتَ خِدرٍ — فكانتْ لا تُرِيدُ سِواهُ بَعْلا

أَعَزُّ بني العُلَى أَصـلاً وفَرْعًا — وأَكرَمُ رَهطِها وَضعًا وحَمْلا

نُجِلُّ أَباهُ أَنْ ندعوهُ لَيثًا — وأَنْ يُدعَى لِذاكَ الليثِ شِبْلا

لَعَمْرُكَ إِنَّ خيرَ الناسِ طُرًّا — على خَيرِ المَمالكِ قـد تَولَّى

دَعَوناها الكِنانةَ إِذْ رَأَينا — لهُ في أَكبُدِ الحُسَّادِ نَبْلا

كريمٌ ليسَ يَرضَى الفَضلَ حَتَّى — يَكُونَ الفضلُ بينَ الفضلِ فضلا

اذا مَلأَتْ يَداهُ سِجالَ رِفْدٍ — نَراها بالغِنَى كَتَبَتْ سِجِلاَّ

قدِ اشتَمَلَتْ مَكارِمُهُ فمَنْ لم — يُصادِفْ وابِلاً منهـا فطَلاَّ

فـلا ثلَّتْ لـهُ الأقدارُ عرْشاً ولا نَسخَتْ لهُ الأيَّامُ ظِـلاَّ

وقال يمدحهُ حين حضورهِ الى بيروت

قد أشرقَ النورُ في أكنافِ لُبنانِ اذ حَلَّ فيها العزيزُ الباذخُ الشانِ
هو السعيدُ الذي أَلطافُهُ اشتهَرَتْ كالصبحِ مُستغنياً عن كلِّ بُرهانِ
مُهذَّبٌ فاقَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ كأنهُ مَلَكٌ في جِسمِ إِنسانِ
لهُ يَليقُ بِساطُ الريحِ في سفَرٍ لانهُ ليسَ أدنَى من سُليمانِ
يَبِيتُ كلُّ وزيرٍ تحتَ رايتهِ طَوعاً ويَصبُو اليهِ كلُّ سُلطانِ
وحيثُما حلَّ حامتْ حولَهُ زُمَرٌ كالماءِ حامَ عليهِ كلُّ عَطشانِ
يا زائراً ثغرَ بَيروتَ الذي ابتَسمتْ لكم ثَناياهُ عن أزهارِ بُستانِ
لو تَقدِرُ الأَرضُ لمَّا زُرتَها فَرَشَتْ قُدَّامَكَ الطُرْقَ من دُرٍّ ومَرْجانِ

وقال يمدحهُ بعد ذلك

كادت تَذوبُ ثُغورُ البحرِ من حَسَدِ لِثَغرِ بَيرُوتَ او تَنهالُ منْ كَمَدِ
قد زارَها من رَأَى أَضعافَ مَنظَرِها وَلَم تَرَى مِثلَهُ في الناسِ منْ أحَدِ
ذاكَ السعيدُ الذي الدُنيا بهِ سَعَدَتْ وليسَ تَنسَى أَياديهِ الَى الأَبَدِ
وَهْوَ الكريمُ الذي يُدعى كريمَ أَبٍ كريمَ نفسٍ كريمَ اسمٍ كريمَ يَدِ
يَسيرُ والذَهَبُ المنثورُ يَتبَعُهُ مثلَ السماءِ تَرُشُّ الأَرضَ بالبَرَدِ
فظَنَّتِ الناسُ أَنَّ السُحبَ قد فَتَحَتْ بِقُدرةِ اللهِ دارَ الضَربِ في الجَلَدِ

أَماتَ ذِكرَ الكرامِ السالفينَ كما أحيا مكارمَهُم في سالفِ الأَمَدِ
وردَّ لهفةَ عصرٍ كانَ منزِلُها في بُهرةِ الصدرِ بينَ القلبِ والكبِدِ
ضاحي الجبينِ شديدُ البأسِ مقتدرٌ في طلعةِ البدرِ أَلقى جبهةَ الأَسَدِ
بدرٌ بلا كلَفٍ ليثٌ بلا صلَفٍ بحرٌ بلا زبَدٍ كنزٌ بلا رَصَدِ
عطاؤُهُ من عطاءِ اللهِ مغترَفٌ بلا حسابٍ ولا وزنٍ ولا عددِ
اذا دنا فاضتِ الخيراتُ من يدِهِ وان نأَى فنداهُ غيرُ مبتعِدِ
للملكِ في تختِهِ رأسٌ يقومُ بهِ ومن سعيدٍ أَتاهُ اللهُ بالعضُدِ
شخصُ الخليفةِ بعدَ اللهِ نحسبُهُ وبعدَ ذاكَ سعيدٌ أَوَّلُ العُمَدِ
رُكنٌ لدولةِ هذا المُلكِ يخدمُها بالمالِ والخيلِ والأَبطالِ والعُدَدِ
وهْوَ الوفيُّ الذي يرعى الذمامَ ولا ينسى الصديقَ ولا يلوي عنِ الرَشَدِ
الواسعُ الحِلمِ لا يعلوهُ من غضبٍ والعادلُ الحُكمِ لا يعروهُ من أَوَدِ
والقاطعُ السيفِ لا تُثنَى مضاربُهُ وليسَ يَسلمُ منهُ لابسُ الزرَدِ
يا مَنْ علينا لهُ حقُّ الثناءِ كما لنا عليهِ حقوقُ الغوثِ والمَدَدِ
عارٌ علينا اذا شرَّفتَ بلدتَنا ونحنُ كالعُمُدِ الخرساءِ في البلَدِ
هذا ثناءُ غريقٍ في نداكَ يرى ثناكَ في الشعرِ مثلَ الرُوحِ في الجسَدِ
اذا أَردتَ لهُ توجيهَ مكرُمةٍ فقلْ قبلتُكَ لي عبدًا ولا تزِدِ

وقال في جواب رسالةٍ وردت اليهِ من عبد الباقي افندي العُمَريّ من بغداد تقريظاً لنبذةٍ وقف عليها من ديوانه

أتعلمُ ما هاجتْ بقلبي من الشغْلِ مُخدَّرةٌ تَسبي بأهدابها الكُحلِ
غزالــةُ إنسٍ لا غزالةُ رَبرَبٍ رَعَت حبَّةً للقلبِ لا عرْفجَ الرملِ
اتتني من الزَوراء تَسحَبُ ذيلها دَلالاً فزادتْ غُلَّةَ الشوقِ بالوَصلِ
بذَلتُ لها مَهْرَ العَروسِ من الحِلَى فعافتهُ إجلالاً فأمهرتُها عقلي
رَبيبةُ حُسنٍ صيَّرَتْني ربيبها ويا حبَّذا ما نِلتُ من شَرَفِ المِثْلِ
ظفِرنا بها من جُودِ أكرَمِ مُرسِلٍ علينا فكانتْ عِندَنا أكرَمَ الرُسْلِ
هو الجوهرُ الفردُ المعرَّفُ شخصهُ بنوعِ السجايا ليسَ بالجنسِ والفَصلِ
نتيجةُ دَهرٍ لا يقاسُ بفضلهِ صحيحُ القضايا صادِقُ الوَضعِ والحَملِ
هو العُمَريُّ السيّدُ الماجدُ الذي لهُ الشرَفُ المحفوظُ فرعاً عنِ الأَصلِ
لئن لم يكُ الفاروقُ أخلفَ غيرَهُ منَ النَسلِ أغنَى القومَ عن كثرةِ النسلِ
تَسامَى الى أنْ صارَ أعلَى من السُهَى وفاضَ الى أنْ صارَ أجرَى منَ الوَبْلِ
أشدُّ جلاءً في الخُطوبِ من الضُحَى وأمضَى يدًا في المُشكلاتِ منَ النَصْلِ
تخِرُّ لهُ الأقلامُ وهيَ نَواكِسٌ فيُكسِبُها فخراً على أنفَذِ النَبْلِ
تَصيدُ المعاني سانحاً بعدَ بارحٍ كما وَقفَ القنَّاصُ في مُلتقَى السُبْلِ
لهُ مِنَّــةٌ طَالَتْ عليَّ ونِعمــةٌ عَلَتْ فوقَ رأسي كالسَحُوقِ من النخلِ
اذا رُمتُ شكرَ الفضلِ أنهضتُ هِمَّتي فأقعدَها وِقرٌ جديدٌ من الفَضلِ

رمى البعضَ من شعري الضعيفِ بطرفهِ فأولاهُ تقريظاً فسادَ على الكلِّ
رأى كلُّ بيتٍ نفسهُ كقصيدةٍ فضاقَ بهِ ما كانَ يحويهِ من قبلِ
بك افتخرتْ يا كعبةَ الفخرِ نبذةٌ قدِ انتبذتْ أقصى مكانٍ من الجهلِ
تقولُ كفاني شاهدٌ مثلهُ فإنْ جسرتَ فقلْ ماذاكَ بالشاهدِ العدْلِ
قضى اللهُ بالبُعدِ الذي حالَ بيننا وهل يُرتجى من غيرهِ صلةُ الحبلِ
أرى بيننا شمَّ الجبالِ وفوقها جبالٌ من الأشواقِ سابغةُ الظلِّ
تصوغُ لنا شكوى النوى بيدِ الهوى فأقلامُنا تجري وأشواقُنا تُملي

وقال يمدح الامير قاسم ابن الامير تميم الدرعيّ احد امراء العرب
اقترحها عليه بعض امراء المغرب من اهل السياحة

رأى أطلالهم دمعي فسالا فأظمأني وقد روَّى الرمالا
عرفتُ لبعضها أثراً وبعضٌ عفتهُ الريحُ إذْ عصفتْ شمالا
ديارٌ للظبا صارتْ كناساً فما برحتْ لها الغزلانُ آلا
وأينَ ظباؤُها من ظبيِ إنسٍ يشقُّ عليهِ أنْ يُدعى غزالا
من العربِ الكرامِ عزيزُ قومٍ تمضَّرَ بينهمْ عمّاً وخالا
وثقنا منهُ بالتوحيدِ لمّا رأينا فوقَ وجنتهِ بلالا
أرقتُ لعصبةٍ في الحيِّ زمّوا فؤادي عندَ ما زمّوا الجمالا
وقد جدَّ الرحيلَ جميلُ صبري غداةَ البينِ إذْ شدّوا الرحالا
وقفنا في رسومِ الدارِ ندعو ولكنْ مَنْ يجيبُ لنا سؤالا

جرَتْ عبَرَاتُنا دالاً وميماً فأصبحَ جزْرُها ميماً ودالا
نُرَدِّدُ بينَ هاتيكَ الأثافي حنينَ النوقِ أبصرَتِ الفصالا
ونَلقى من عواصفِها غُبارًا حسِبْناهُ لأوجُهِنا جمالا
إذا ناحَ الحَمامُ أصابَ قلبي كأنَّ على حَناجِرِهِ نِبالا
وأذكُرُ من مُطوَّقهِ أيادٍ بطَوْقِ البرِّ قلَّدَت الرِجالا
أيادٍ ظلَّ يبسُطُها كريمٌ تَتيهُ المَكرُماتُ بهِ دَلالا
اذا قُلتُ السَحابُ كراحتَيهِ فقد شبَّهتُ بالشمسِ الهِلالا
فتًى يَستغرِقُ الأموالَ جُودًا ولو أنَّ الجِبالَ جعلنَ مالا
تَزيدُ جبينَهُ الأضيافُ بِشرًا كنَصلِ السيفِ توسِعُهُ صِقالا
كريمٌ شنَّ في الأموال حرباً فما كانتْ ولا كانتْ سِجالا
شرَى بالمالِ بينَ الناسِ حمدًا وربُّ الحمدِ مَن بَذَلَ النَوالا
وإنَّ المالَ كالصَهباءِ يُبدِي لَنا من نفسِ صاحبِهِ خِصالا
فيكتسِبُ اللئيمُ بهِ هَواناً ويكتسِبُ الكريمُ بهِ جَلالا
عرَفْنا القاسمَ الدِرْعيَّ شخصاً تَوَهَّمْنا الكِرامَ لهُ خَيالا
ينالُ دمَ الفوارسِ يومَ حرْبٍ وليسَ ينالُ من سَلَبٍ عِقالا
أشدُّ الناسِ في الغمَراتِ بأساً وأحسنُهم على الحالَينِ حالا
وأفصَحُ كلِّ ذي قولٍ مَقالاً وأنجَحُ كلِّ ذي فعلٍ فَعالا
تُفاجِي الوَفدَ نِعمتُـهُ اغتيالاً فتًى لا يَعرِفُ الحربَ اغتيالا
فليسَ القومُ يَنتظِرونَ وَعدًا ولا يَشكونَ من وعدٍ مِطالا

فتىً يُصلِي الحُسامَ بنارِ حربٍ فلو لم يَنطفِئْ بدمٍ لَسالا
ويفتخرُ الحديدُ براحتيهِ على الحجرِ الكريمِ وإِنْ تعالى
اذا حمَتِ النصالُ دِيارَ قومٍ فبعضُ القومِ يحمُونَ النصالا
وما تُجدِي النصالُ بلا أكُفٍّ تكونُ حدودُهنَّ لها مِثالا
تَكلَّفَ حاسدُوهُ لهُ طريقاً فزادَهمُ الضلالُ بها ضلالا
لَعَمْرُكَ لا يكونُ العفوُ مُهراً ولو كانَ النُضارُ لهُ نِعالا
وَفَدْنا بالقريضِ على ثَناهُ نُطاوِلُهُ فقَصَّرنا وطالا
اذا مرَّتْ قَوافِينا بِهَضبٍ أرانا من عظائمهِ جبالا

وقال يرثي الشيخ عبد الحميد ابن الشيخ جواد الموصلي

لا عينَ تَثبُتُ في الدُنيا ولا أَثَرُ ما دامَ يَطلُعُ فيها الشمسُ والقمرُ
يُبقِي لنا الخُبْرُ فيها بعدهُ خبَرًا الى زمانٍ فيمضي ذلكَ الخبَرُ
يا طالما طالَ حِرصُ الناسِ في حذَرٍ على الحياةِ فضاعَ الحِرصُ والحذَرُ
قد غرَّهم زُخرُفُ الدُنيا وبَهجتُها نِعمَ الغصونُ ولكنْ بِئسما الثمَرُ
معشوقةٌ في هواها باتَ كلُّ فتىً يَهيمُ والشيخُ عنها ليسَ يزدجرُ
هيهاتَ لا يَنتهي عن جهلهِ أبدًا مَن لم يكن قد نَهاهُ الشيبُ والكِبَرُ
مضى الزمانُ على هذا الغُرورِ فلم يَفطَنْ لهُ بَشَرٌ مذ قامتِ البَشَرُ
ما زالَ يَدفِنُ هذا الحَيُّ ميّتَهُ ويَدفِنُ الذِكرَ معهُ حيثُ يحتفرُ
الناسُ في جنحِ ليلٍ يخبِطُونَ بهِ جهلاً ويا وَيلهم اذ يطلُعُ السحَرُ

لا تنقضي ساعةٌ حتى تقولَ لهم ... يا أيُّها القومُ هبُّوا قد دنا السفرُ
ماذا نرجّي منَ الدنيا التي طُبعتْ ... على الدمارِ فلا تُبقي ولا تذرُ
تُبدي لنا كلَّ يومٍ في الورى عبرًا ... لكن بلا يقظةٍ لا تنفعُ العبرُ
هيهاتِ لا صاحبٌ في الدهرِ وا أسفا ... يبقى ولا عاشقٌ يُقضى لهُ وطرُ
قد ماتَ عبدُ الحميدِ اليومَ منقطعًا ... عنا كما شاءَ حكمُ اللهِ والقدرُ
مضى الشقيقُ لروحي فهيَ موحشةٌ ... وبانَ شطرُ فؤادي فهوَ منفطرُ
قد كنتُ أنتظرُ البشرى برؤيتِهِ ... فجاءني غيرُ ما قد كُنتُ أنتظرُ
إن كانَ قد فاتَ شهدُ الوصلِ منهُ فقد ... رضيتُ بالصبرِ لكنْ كيفَ أصطبرُ
أحبُّ شيءٍ لعيني حينَ أذكرُهُ ... دمعٌ وأطيبُ شيءٍ عندها السهرُ
هذا الصديقَ الذي كانت مودّتُهُ ... كالكوثرِ العذبِ لا يغتالُها الكدرُ
صافي السريرةِ محْضُ الودِّ لا ملَقٌ ... في لفظهِ لا ولا في قلبهِ وضرُ
عفٌّ الإزارِ حصيفٌ زاهدٌ ورِعٌ ... لا تزدهيهِ بدورُ الأفقِ والبدرُ
يغشى المساجدَ في الأسحارِ معتكفًا ... وقد طوتْ ليلَهُ الأورادُ والسورُ
هوَ الكريمُ الجوادُ ابنُ الجوادِ لهُ ... بالفضلِ يشهدُ بدوُ الأرضِ والحضرُ
يبكيهِ نظمُ القوافي والصحائفُ والـ ... أقلامُ والخطبُ الغرّاءُ والسمرُ
لا غروَ إنْ أحزنَ الزوراءَ مصرعُهُ ... فحزنُهُ فوقَ لبنانٍ لهُ قدرُ
وإنْ يكنْ فاتَهُ نهرُ السلامِ ففي ... دارِ السلامِ لهُ الأنهارُ تنفجرُ

مَضَى الي الله حيَّاَ اللهُ طَلعتَهُ بالمَكرُماتِ وحيَّاَ تُربَهُ المَطَرُ
لَئِن سَلاهُ فُؤَادي ما بقَيتُ فقد رَكبتُ في الحُبِّ ذَنباً ليس يُغتفَرُ
لا أَفلَحَ البينُ ما أَمضى مضاربَهُ كالبرق يَخطَفُ من إيماضِهِ البَصَرُ
نَسعى ونَجمَعُ ما نَجنِي فيَسلُبُهُ مِنَّا جزافاً ويَمضِي وَهوَ مُفتَقِرُ
إِنَّ الحيَاةَ كظِلٍّ مالَ مُنتقِلاً الى حيَاةٍ بدارِ الخُلدِ تُنتظَرُ
هي الطريق التي تُفضِي الى خطرٍ وحبَّذا السيرُ لولا ذلكَ الخطرُ
نُمسِي ونُصبِحُ في خوفٍ يطولُ بها فلا يَطِيبُ لنا وِرْدٌ ولا صدَرُ
اذا انجلَتْ غَمْرَةٌ قامت صواحِبها فليسَ تنفكُّ عن تأريخها الغُمَرُ

سنة ١٢٧١

وقال يرثي يوسف سيور قنصل دولة نابولي

لا تبكِ إِن جَدَّ بعضُ القومِ في السفَرِ اذا تيقَّنتَ أَنَّ الكلَّ في الأَثَرِ
واعجَلْ اذا قُمتَ للتوديعِ في غَلَسٍ فرُبَّما فاتكَ التوديعُ في السحَرِ
تَعدُو المنايا على الأَرواحِ خاطفةً منَ الأَجِنَّةِ حتى الشيخِ في الكِبَرِ
تُرَى أَيذهَبُ يومٌ لا يُقالُ بهِ قد ماتَ زيدٌ وماتتْ هندُ في الخَبَرِ
يا يومَ يوسُفَ في الايامِ نَحسَبُهُ نَظيرَ صاحبِهِ المشهورِ في البَشَرِ
يومٌ بهِ الناسُ قد شَحَّتْ قلوبُهمُ بالصبرِ إِذ جادتِ الأَجفانُ بالدُرَرِ
يومٌ تزَعزَعَ رُكنُ المكرُماتِ بهِ وأَكمَدَتِ الشمسُ من حزنٍ على القَمَرِ
يومٌ بهِ العُجْمُ قبلَ العُرْبِ نادبةٌ تقولُ أَينَ كريمُ البَدْوِ والحَضَرِ

اينَ الذي كانَ يُستَسقى الغَمامُ بهِ يوماً اذا ضنَّتِ الأَنواءُ بالمَطَرِ
أَينَ الذي كانَ يقضِي حقَّ خالقهِ في حالةِ الصفوِ أَو في حالةِ الكَدَرِ
اينَ الذي كانَ غوْثَ العائذِين بهِ وعِصمةَ الجار عِندَ الضنْكِ والضرَرِ
أَمسى وليسَ لهُ سمْعٌ ولا بَصَرٌ مَنْ كانَ في الناسِ مِلءَ السمْعِ والبَصَرِ
مَن لم تَسعهُ القُصورُ الشُمُّ باذخةً قد باتَ منحصِراً في أَضيقِ الحُفَرِ
قد كانَ يصدَعُ ريحُ الطيبِ مفرِقهُ وكانَ يُؤْذِي يديهِ ناعمُ الحِبَرِ
مُبارَكُ الوَجهِ محمودُ الخِصالِ لهُ قلبٌ سليمٌ من الأَدرانِ والوَضَرِ
قد عاشَ فينا سعيدًا بالغاً وَطَرًا وماتَ عنَّا سعيدًا بالغَ الوَطَرِ
سارَتْ لدَى نعشهِ الأَشرافُ ماشيةً تحتَ السَناجقِ ذاتَ الوَشْيِ والصُوَرِ
يبكي عليهِ بدَمعٍ فاضَ مُنسجماً من ليسَ يبكي لوَقْعِ الصارمِ الذَكَرِ
ويلاهُ من فتْكِ دُنيانا الغَرُورِ بنا وَهيَ الحبيبةُ نَهواها من الصِغَرِ
شِبْنا وشابَتْ وما شابَتْ صَبابَتُنا بِها ولا انتَبَهَتْ عينٌ الى السَهَرِ
هذا الطريقُ الى دارِ البَقاءِ لنا فلا تَفاوُتَ بينَ الطُولِ والقِصَرِ
وهو السَقامُ الذي عزَّ الدواءُ لهُ وليسَ تَنفَعُ منهُ شِدَّةُ الحَذَرِ
يا غافلينَ استفيقوا اليومَ واعتبِروا بما تلاقونَ في الدُنيا منَ العبرِ
الموتُ أَعظَمُ شيءٍ عِندَنا خَطَرًا والموتُ أَيسرُ من عقباهُ في الخَطَرِ

وقال يجيب الشيخ شهاب الدين العُمَريّ على ابيات ارسلها اليه من بغداد تقريظاً على المرثية التي رثى بها الشيخ عبد الحميد الموصلي

لِهٰذا الفَرْقِ دانَ الفَرْقَدانِ على خَجَلٍ فليسَ الفَرْقُ داني
وهذا القَدُّ تحسُدُهُ العَوالي على طَعنٍ يَشُقُّ بلا سِنانِ
بِرُوحي وَجنةٌ لاحَتْ وفاحتْ فكانَتْ وَردةً مثلَ الدِهانِ
عليها الخالُ قامَ كتاجِ مُلكٍ فكانَ لها العِذارُ كصَوْلجَانِ
عِذارٌ خَطَّ بالرَيحانِ سَطرًا يَشُقُّ على لِسانِ التَرْجُمانِ
كساها سُندُساً خُضرًا فأَلقَى عَلَيَّ الدمعُ ثَوبَ الأُرجُوانِ
اقولُ لِعاذلي مهلاً فاني أَرَى الإِحسانَ في حُبِّ الحِسانِ
فلَستُ نَظِيرَ صاحِبِكُمْ أُوَيسٍ ولَسْتُ لِصاحبي العُمَرِيّ ثاني
شِهابُ الدِينِ في الدُنيا غنيٌّ بحُبِّ العِلمِ عن حُبِّ الغَواني
شِهابُ الدِينِ في الزَوراءِ نُورٌ يُضِيءُ على أَقاصي المَغْرِبانِ
ثَوَى أَرضَ العراقِ فكانَ غَيثاً بهِ تُروَى الأَباعِدُ والأَداني
فغَنَّتْ وُرْقُ لُبنانَ ابتِهاجاً وقد بَسَمَتْ ثُغورُ الأُقحُوانِ
أَتاني منهُ تقريظٌ بديعٌ تَفَنَّنَ في المعاني والبَيانِ
حَكَى عِقْدَ الجُمانِ وليس كلٌّ يَليقُ بجِيدِهِ عِقدُ الجُمانِ
على بَلَدِ السَلامِ وساكِنِيها سَلامُ اللهِ من غُرَفِ الجِنانِ
أَتوقُ على السَماعِ الى حِماها كما اشتاقَ المُحِبُّ على العِيانِ
تُرَى عيني تَرَى مَن لا أَراهُ كما حَكَمَ القَضاءُ ولا يَراني

لَئِنْ سَمَحَ الزمانُ لنا بيومٍ فذاكَ اليومُ يومُ المِهْرَجانِ

وقال في رسالةٍ الى صديقٍ لهُ كان مسافرًا في بلاد المغرب

متى نرجو الثَبَاتَ مِنَ الزَمانِ وشَطراهُ كَأَفراسِ الرِهانِ

يُطارِدُنا بلا قَدَمٍ ويغزُو بلا سيفٍ يُسَلُّ ولا سِنانِ

يقودُ الجَيشَ والساعاتُ فيهِ هِيَ الأَعوانُ للحربِ العَوانِ

اذا رُمتُ الفِرارَ بهِ فإِنّي فَرَرْتُ منَ الطِعانِ الى الطِعانِ

عرَفنا الدَهرَ في الحالَينِ قِدْماً فهانَ بهِ علينا كلَّ شانِ

يمرُّ عليَّ يومُ البُؤْسِ فيهِ كما قد مرَّ يومُ المِهْرَجانِ

فِراقٌ واجتماعٌ كلَّ أَينٍ ونَوحٌ وأبتِسامٌ كلَّ آنِ

وما هذا ولا هذا بباقٍ ولكنْ كلُّ ما في الأَرضِ فانِ

بِعَيني مَن ترَى في البُعدِ عيني وأَحسبُهُ على بُعدٍ يراني

دنا مني فأَنأَتهُ الليالي نأَى عَنّي فأَدنَتهُ الأَماني

حبيبٌ لا يَليقُ اللومُ فيهِ نَعَمْ لكنْ تليقُ بهِ التهاني

وما كلُّ الأَحبَّةِ أهلُ لَوْمٍ ولا كلُّ الهوَى شَرَكُ الهوَانِ

هُوَ البَدرُ المُنيرُ بَغَى أُفُولاً فمالَ الصُبحَ نحوَ المَغرِبانِ

رَجَوْنا عَوْدَهُ والشهرُ ثانٍ فلم يَسمَحْ بهِ والعامُ ثانِ

تُذكِّرُنيهِ لائحةُ الدراري اذا سَطَعَت ورائحةُ الجِنانِ

وأَنصبُ شَخصَهُ غَرَضاً لعيني فترميهِ بمدمعِها الجُمانِ

على تلكَ الدِيارِ لنـا سَـلامٌ نُرَدِّدُهُ مع البَرقِ اليماني
وهل يَشفِي السَلامُ غليلَ شوقٍ لِصَبٍّ ليس يُشفى بالعيانِ

وقال في جواب رسالةٍ للسيد حبيب البغدادي

فعلَت كما فعلَت سُلافُ الساقي هيفاءُ تحكي الغُصنَ في الأَوراقِ
لَبِسَتْ منَ الوَشْيِ البديعِ مَطارِفاً ولها من الأَسرار حبْكُ نِطاقِ
أَحيَتْ بزَورتِها فُؤَادَ مُحِبِّها مِثلَ السليمِ أَتاهُ نفثُ الراقي
بَعَثَ الحبيبُ بها اليَّ حبيبةً هاجَتْ اليهِ بلابلَ الأَشواقِ
مكنونةٌ أَخذَت خُدُورَ صحائفٍ فاذا بدَت أَخذَت خُدُورَ تَراقِ
أَلقَتْ على بصري وسَمْعي صبْوةً فكلاهما من عُصبةِ العُشَّاقِ
يا سَيِّدًا مَلَكَ النفوسَ بلُطفِهِ فغدَت رقيقةَ رِقَّةِ الأَخلاقِ
أَسمعتَها نظمَ الحبيبِ فما دَرَتْ أَحبيبُ طيٍّ ام حبيبُ عِراقِ
قد جاءَني منكَ المديحُ كأَنَّهُ زَهرٌ يمدُّ لقفرةٍ برِواقِ
من صَنعةِ الأَقلامِ كانَ طِرازُهُ وطِرازُكم من صنعةِ الخلاّقِ

وقال في جواب رسالةٍ لمحمد عاقل افندي في الاسكندرية

أَهدَتْ لَنا نفحاتُ الرَوضِ في السَحَرِ خريدةٌ من ذَواتِ اللُطفِ والخفَرِ
خاضَتْ الينا عُبابَ البحرِ زائرةً فليسَ بِدْعٌ بما أَهدَتْ من الدُرَرِ
كريمةٌ من كريمٍ قد أَتَت فلها حقُّ الكرامةِ فرضاً عِندَ مُعتَبِرِ

أَهدَى الينا بها رَبُّ القريض كما أهدَى السَحابُ الينا صَيِّبَ المطرِ
محمدُ العاقلُ الشهمُ الذي اشتهرت ألطافهُ بينَ اهلِ البدوِ والحَضَرِ
في طيبِ مجلسِهِ علمٌ لمقتبسٍ وفي رَسائلِهِ جاهٌ لمُفتَخِرِ
رَحْبُ الذراعِ طويلُ الباعِ مقتدِرٌ قد نال أسرارَهُ من فضلِ مُقتَدِرِ
كانهُ النيلُ في فيضٍ وفي سَعَةٍ لكنَّ موردَهُ صفوٌ بلا كَدَرِ
ماضي اليَراعِ يوشّي الطرسَ عاملهُ فيبرِزُ الحِبْرَ في أبهَى من الحَبَرِ
تَجري على الصُحُفِ الأَقلامُ في يدِهِ فتحسُنُ الجمعَ بينَ البيضِ والسُمُرِ
أَصَبْتُ من بحرِ علمٍ لُجَّةً طفحتْ فكُنتُ من غرَقٍ فيها على خَطَرِ
تَخُوضُ فيها الجواري المنشآتُ بنا من النُهَى لا منَ الأَلواحِ والدُسُرِ
أَهلاً بزائرةٍ غرَّاءَ قد نَزَلَتْ في القلبِ مرفوعةً منهُ على سُرُرِ
أَحيتْ كليمَ فُؤَادٍ لي فقلتُ لهُ أُوتيتَ سؤْلكَ يا موسَى على قَدَرِ

وقال جواباً لحمد محمود افندي من الاسكندرية عن تقريظٍ
اتاهُ منهُ لنبذةٍ وقف عليها من ديوانه

رَبيبةٌ من ذَواتِ الغُنجِ والحَوَرِ سَبَتْ فُؤَادي فلم تُبقي ولم تَذَرِ
قد هاجتِ الشوقَ مني نحو مُرسلِها فأَصبحَ السَمْعُ محسودا من البَصَرِ
أَهدَى بها حَمَدُ المحمودُ مَكرُمَةً منهُ فكانَ جليلَ العينِ والأَثَرِ
هو الكريمُ الذي تَسمُو مَواهبُهُ عن النُضارِ فيُهدِي أنفسَ الدُرَرِ
أَفادني من عطاياهُ بنافلةٍ جاءَت على غيرِ ميعادٍ ولا خَبَرِ

خيرُ الكرام الذي يُعطيكَ مُبتدِئاً وأَبهجُ الرفد رفدٌ غيرُ مُنتظرِ

اللوذعيُّ الذي في مِصرَ مجلسهُ وذِكرُهُ لا يزالُ الدهرَ في سَفَرِ

جِهادُهُ في سبيلِ العلمِ مُلتزَمٌ وهمُّهُ الدرسُ في الآياتِ والسُوَرِ

قد جاءني مدحهُ عفواً فحمَّلني شُكراً ثقيلاً عظيمَ القَدْرِ والقَدَرِ

لَبستُ حُلَّةَ فخرٍ منهُ زاهرةً بالحُسنِ لكنَّها طالَتْ على قِصَري

راقَتْ بعينَيهِ أَبياتٌ قد انتشرت في مِصرَ كالحَشَفِ المطروحِ في هَجَرِ

هاتيكَ أَسعدُ أَبياتٍ ظَفِرتُ بها فإِنَّها جعلَتْني أَسعدَ البَشَرِ

عينٌ قدِ استحسنَتْ مرأًى فطابَ لها واللهُ يعلمُ سِرَّ العينِ في الصُوَرِ

أَخافُ إِنْ قُلتُ لم يصدُقْ لهُ نَظَرٌ مَن كان في كلِّ أَمرٍ صادقَ النظرِ

وقال في رسالةٍ الى محمد عاقل افندي وحَمَد محمود افندي
المذكورَين في الاسكندرية

بَكَى حتى بكَيتُ على بُكاهُ جَريحٌ عينُهُ نزَفَتْ دِماهُ

يُسائلُ أَينَ حَلَّ رِكابُ ليلَى ويَنسَى أَنَّ ليلَى في حَشاهُ

هوَى قلبٍ تعلَّقَهُ اختياراً فصارَ عَنِ اضطرارٍ مُنتهاهُ

ونارُ الحُبِّ يُوقِدُها غُرُورٌ ولكنْ ليسَ يُخمِدُها انتباهُ

تَقُودُ بنا العواطِفُ راكباتٍ طَريقاً لا نُقيمُ على هُداهُ

فنَهوَى مَن تراهُ العينُ طوراً ونَهوَى تارةً مَن لا تَراهُ

هَوِيتُ النازلِينَ دِيارَ مِصرٍ وقلبي قد أَحَلَّهما حِماهُ

هُما القَمَرانِ في أَكنافِ أَرضٍ ... يَغارُ النَجمُ منها في سَماهُ
كِلا الرَجُلَينِ من أفرادِ عَصرٍ ... يُقصِّرُ كُلُّ عصرٍ عن مَداهُ
وكِلْتُهما حُسامٌ مَشرَفيٌّ ... تَلُوحُ اذا اُستُطِيرَ بهِ المِياهُ
أَصابا كُلَّ مَحمِدَةٍ وفَضلٍ ... لهُ بينَ الوَرى شَرَفٌ وجاهُ
فذاكَ مُحَمَّدٌ يُثنَى جميلاً ... عليهِ وذاكَ من حَمْدٍ ثَناهُ
يَصُولُ يَراعُ كلٍّ في يَدَيهِ ... بأَنفَذِ ما تَصُولُ بهِ قَناهُ
وأَبلغِ ما تُقَلِّبُهُ قُلوبٌ ... وأَفصَحِ ما تَفُوهُ بهِ الشِفاهُ
أَطاعَهُما القَرِيضُ فكانَ عَبدًا ... بأَسهارِ الليالي مُشتَراهُ
ولو عَرَفَتهُما الأَعرابُ قِدْماً ... لَخرَّتْ نحوَ شِعرِهما الجِباهُ
على الإِسكَندَريّةِ كلَّ يومٍ ... سَلامُ اللهِ مُعتَنِقاً رِضاهُ
لَئِنْ يكُ فاتَها جَبَلٌ ففيها ... جِبالٌ في معارِجِها يُتاهُ
بها الجَبَلانِ من عِلمٍ وحِلمٍ ... وحَزمٍ قد أَقامَهُما الإِلهُ
عَلَينا قام ظِلُّهما مديداً ... ونورُ الشمسِ يَسطَعُ من وَراهُ
نَهيمُ الى ضِفافِ النيلِ شَوقاً ... وإِنْ بَعُدَتْ علينا ضِفَّتاهُ
ونَرصُدُ كلَّ غاديةٍ عَساها ... تَرَشَّفَتِ المَواطِرَ مِنْ صَفاهُ
هِيَ الدُنيا تَغُرُّ بِها الأَماني ... وأَينَ مَنِ الذي غَرَّتْ مُناهُ
أَماتتْ في هَواها كلَّ نفسٍ ... وكلَّ فُؤادِ صَبٍّ في هَواهُ
تَدُورُ بنا على عَجَلٍ رَحاها ... وداعي الموتِ قد دارَتْ رَحاهُ

اذا غَرَسَ الفَتَى فيها رَجاءً فلا يرجو الحَياةَ الى جَناهُ

وقال يمدح الشيخ سعيد ابن الشيخ بشير جنبلاط

لكلِّ كَرَامةٍ زَمَنٌ يَعودُ كما يَخضرُّ بعدَ اليُبسِ عُودُ
وإنَّ الدهرَ يَبخلُ بعدَ جُودٍ وبعدَ البُخلِ نَنظُرُهُ يجودُ
لَئِنْ فاتَ البلادَ قديمُ عَصرٍ فها قد جاءَها عَصرٌ جديدُ
وإِنْ شَقِيَتْ بلادُ الشُوفِ قِدْماً فإِنَّ اليومَ صاحِبَها سَعيدُ
كريمٌ شادَ بينَ الناسِ ذِكرًا بهِ الآباءُ تَحيا والجُدُودُ
أَعادَ لنا البشيرَ وما كفاهُ فكانَ على مُجَرَّدِهِ يَزيدُ
عَرَفناهُ على بُعدٍ ولكنْ تَعاظَمَ إِذْ دَنا ذاكَ البَعيدُ
وما كَذَبَ السَماعُ بهِ ولكنْ تَزَكَّتْ عِندَ رُؤْيتِهِ الشُهودُ
رئيسٌ في عَشائِرِ آلِ قَيْسٍ تَسيرُ لَدَى مَواكِبِهِ البُنودُ
يَشُبُّ النارَ في سِلْمٍ وحَرْبٍ وفي الحالَينِ ليسَ لها خُمُودُ
هوَ الرُكنُ الذي لولاهُ كادت قواعدُ طُورِ لُبنانٍ تَميدُ
إِذا كانتْ بِلادُ الشُوفِ تُدعَى جَوانِبَ خَيمةٍ فَهُوَ العَمودُ

وقال يمدح بعض المشايخ المدرّسين

هَجَرَتْ فَبِتُّ بمُقلةٍ لم تَرقُدِ فأَنا على الحالينِ راعي الفَرقَدِ
يا طالَما حَكَتِ النُجومَ بحُسنِها حَتَّى حكَتها في المَقامِ الأَبعَدِ

سُبحانَ من طبَعَ القُلوبَ على الهوَى فتَراهُ يَقصدُها وإِنْ لم يُقصَدِ

لا خيرَ في قلبٍ بلا شغلٍ ولا أَرَبٍ فذلكَ قِطعةٌ من جَلمَدِ

ولَقد وَقفتُ على المَنازِلِ باكياً بينَ العقيقِ وبينَ بُرقةِ ثَهْمَدِ

ما كانَ من شِيَمي البُكاءُ وانما يأْني الزَمانُ بشيمةٍ لم تُعهَدِ

ولَرُبَّ طَيفٍ زارَني تحتَ الدُجَى فلَقيتُهُ طَرَباً بلَهْجةِ مَعبَدِ

وسأَلتُ زَورَتَهُ الغَداةَ فقالَ لي مَهْلاً اذا ما جَنَّ لَيلُكَ فاْرصُدِ

يا جائِرِينَ على ضَعيفٍ حائرٍ لا يَهْتَدي ويَوَدُّ ان لا يهتَدِي

ما في يدي سيفُ الإمامِ ولا أَرَى قَلَماً لشَيخِ القُطرِ يجرِي في يدي

العالمُ العلمُ الذي من ظِلِّهِ عَلَمٌ على تَيْماءَ حتى المِرْبَدِ

يَلقاهُ طالبُهُ بمُقلةِ خاشعٍ ويَراهُ حاسدُهُ بمُقلةِ أَرمَدِ

قابلتُهُ فنَظَرتُ شخصاً رَيثما جالستُهُ فاذا ببحرٍ مُزبِدِ

ولَكَمْ سَمعتُ بهِ فحينَ رأَيتُهُ ضَحِكَ العِيانُ على السَماعِ المُسنَدِ

رجلٌ لَدى الأَسماءِ يُحسَبُ مفرَدًا لكن لَدَى الأفعالِ ليسَ بمفرَدِ

لو أَنَّ فُسحةَ علمِهِ في عُمرِهِ لَرَجَوْتُ أَنْ يَبقَى ليَومِ المَوعدِ

أَرضَى الالهَ وخَلقَهُ كمُؤَلِّفٍ يوماً بنُونِ النحْرِ ضَبَّ الفَدفَدِ

فيَظَلُّ يجهَدُ في المَدارسِ يومَهُ أَبَدًا ويُصبحُ عاكفاً في المَسجِدِ

أَهدَيتُهُ من آلِ عيسى غادةً أَلقَى بها الإعرابَ آلُ محمَّدِ

فاذا اقتَصَرتُ فلا لِأَنَّ صِفاتِهِ نَفِدَتْ ولكنْ ضاقَ ذَرعُ المُنشِدِ

وقال في رسالةٍ الى الامير خالد الوهّاب في اليمن عن لسان صديقٍ لهُ من الامراء

قِفْ بالدِيارِ وحَيِّ القومَ عن كَثَبِ فكم لنا عِندَ ذاكَ الحَيِّ من أَرَبِ

دارٌ تَرَكتُ بها قَلبي على ثِقَةٍ من حفظهِ إِنهُ في ذِمّةِ العَرَبِ

أَودَعتهُ مَن يَصُونُ الجارَ مؤْتَمَناً ولا أَمانَ بكفيهِ على الذَهَبِ

الحافظُ العهدِ تأْبي الغدرَ شيمتهُ والصادقُ القولِ معصوماً من الكَذِبِ

هوَ الصديقُ السليمُ القلبِ من وَضَرٍ وَهْوَ الأَميرُ الكريمُ النفسِ والنَسَبِ

ما خابَ راجيهِ في ضِيقٍ وفي سَعَةٍ ومَنْ دعا خالدَ الوهَّابَ لم يَخِبِ

انّي عقَدتُ لهُ عهداً أَقُومُ بهِ في القُربِ والبُعدِ بينَ الحَزْبِ والحَرَبِ

يَزُورُني منهُ طَيفٌ عِندَ هجرَتِهِ فكانَ عني على الحالَينِ لم يَغِبِ

رُوحي الى اليَمَنِ الميمونِ طائرةٌ على جَناحٍ من الأَشواقِ مُضطَرِبِ

أَستخدِمُ الرِيحَ في حَمْلِ السَلامِ لهُ مني فتخطَفُهُ الأَنواءُ في السُحُبِ

يا حبَّذا بُرَقُ الأَعراب من بُرَقٍ وحبَّذا هضَبُ الأَعرابِ من هضَبِ

وحبَّذا كلُّ رَبعٍ في منازِلِهِمْ كأَنَّما السُمْرُ فيهِ غابةُ القَصَبِ

وكلُّ مَرعًى بهِ الأَنعامُ سائمةٌ كأَنها كُثُبٌ قامتْ على كُثُبِ

وكلُّ دارٍ بها الضِرغامُ مؤْتَلِفٌ بالظَبْيِ بين عَرُوضِ البَيتِ والطُنُبِ

يأْتونَ من نَحْرِ ذي الدِرعِ المَنيعِ دُجَى ليلٍ الى نحرِ ذاتِ السَرْجِ والقَتَبِ

لا تَنطفي نارُهم الاَّ على وَدَكٍ يجري فيفصلُ بينَ النارِ والحَطَبِ

بَلَغتَ يا أَيُّها الوهَّابُ ما بَلَغوا وفُقتَهُمْ بجَمالِ اللُطفِ والأَدَبِ
وَرِثتَ خيرَ أَبٍ في المجدِ مُشتهِرٍ ولو عَداكَ أَبٌ أَورِثتَ خيرَ أَبِ
هٰذِهْ صَحيفةُ مُشتاقٍ يذكِّرُكم عَهدًا لَنا عندَكم من سالفِ الحِقَبِ
إِنْ فاتني الكاتبُ المحبوبُ منظَرُهُ فإِنني اليومَ أَرضَى منهُ بالكُتُبِ

وله بديعيَّةٌ قد التزم فيها تسمية الجناس والنوع

عاجَ المتيَّمُ بالأَطلالِ في العَلَمِ فأَبرَعَ الدمعُ في استهلالهِ العَرِمِ
دَمعٌ جرَى عن دَمٍ او عَنْدَمٍ خَضِلٍ يَسقي الركابَ ولكنْ ليسَ بالشَّبِمِ
حيٌّ على حيِّ ميٍّ ميتٌ لَحِقتْ بذَيلِها نفسُهُ لو تَمَّ ريُّ ظَمِي
يَصبو على الذِكرِ سكرًا كيفَما ذُكِرتْ لهُ فقد أَنَّ أَنَّى اشتُقَّ لفظُ فمِ
ما لي أُلفِّقُ صُحفَ العُذرِ في طَرَفٍ من غَدرِ مَن فيهِ مالي لا يَفي بدَمي
قد أَطلقَ اللحظَ في لفظٍ يحرِّفُهُ فراحتِ الرُوحُ بينَ الكَلْمِ والكَلِمِ
وَقَى وَقَدْ وَقَدَ الأَحشاءَ سرُّ هَوًى بها ليرفُو بِلَى الأَطماعِ في الذِمَمِ
من دُرِّ دُرْدُرِ ثَغرٍ طابَ مَرشَفُهُ كم سالَ سَلْسالُ دَمعٍ فيهِ مرتكِمِ
ثَبَتُّ في فِتنةٍ شَبَّتْ فَشِبْتُ ففي شبيبتي شيبةٌ شَنَّتْ بني جُشَمِ
رَمَى هوَى الغيدِ بي في البيدِ رافلةً عِيسُ النوَى في النَواحي بي بلا خُطُمِ
آرامُ خَيفٍ كرامٌ في أَساوِدِها بِيضٌ صِحاحٌ تُخيفُ الأُسْدَ في الأَكَمِ
قَضَتْ بخيبةِ جفنٍ فضَّ في شَجَنٍ دَمعًا كدُرٍّ طُلاها اللامعِ العِصَمِ

لا عطَّلَ اللهُ دمعاً سالَ وهوَ دمٌ   عكساً ولا حالَ وردٌ لاحَ كالعلمِ
يحلو الضنى في الهوى عندي مغايرةً   في العاشقينَ لمن يشكو من السقَمِ
هيهاتِ هيهاتِ ما أرجوهُ من رشاٍ   وقد تكرَّرَ منهُ اليأسُ في القدمِ
مهما أشارَ بهِ في اليومِ قلتُ نعمْ   وليسَ لي عندهُ في الدهرِ من نعمِ
خطَّ العذارُ على مصقولِ عارضهِ   حسابَ أسراهُ توليداً من الرقَمِ
أغمضتُ شكوايَ من جورٍ ففسَّرَها   بجمعِنا منهُ بينَ الخصمِ والحكمِ
يا طالما مثَّلتْ عينايَ صورتَهُ   كمنظرٍ في غديرِ الماءِ مرتسمِ
بكيتُ فافترَّ فانجابتْ لنا دررٌ   حتى تطابقَ منثورٌ بمنتظمِ
هازلتُهُ في اتّساعِ الجدِّ توريةً   فقالَ سلْ من أحلَّ الصيدَ في الحرَمِ
قلتُ اقضِ قالَ اعتزلْ قلتُ امضِ قالَ أقِلْ فأبطلَ القبضُ ما وجَّهتُ في السلَمِ
قابلتُهُ خاشعَ الأبصارِ مبتسماً   فصدَّ عنّي دلالاً غيرَ مبتسمِ
لمَّا رأى مدمعي شبهَ الشقيقِ جرى   راعى النظيرَ فغطَّى الوردَ بالعنَمِ
خيَّرتُهُ بينَ عيني والحشا فثوى   عيني ليحجبَها عن سائرِ النسَمِ
طيُّ الهوى نشرَتْهُ عبرةٌ عبرَتْ   بزفرةٍ فمزجتُ الماءَ بالضرَمِ
أدمجتُ شكوايَ منهُ في العتابِ وما   يجدي العتابُ ولا الشكوى معَ الصمَمِ
أمسى يعنّفني اللاحي فقلتُ ترى   أما اكتفيتَ بما راجعتَ قالَ لمَ
فقلتُ إنَّكَ فردٌ لا نظيرَ لهُ   إذ رمتُ إبهامَ سِمنِ الوصفِ بالورَمِ
ماذا تحاولُ يا شعبانُ من رجبٍ   بمعنويِّ ملامٍ منكَ مهتضمِ

أَنتَ الصَبُورُ على ذَمٍّ تُصادِفُهُ ... في مَعرِضِ المدحِ ذو حِلمٍ عن التُهَمِ
أَبدعتَ في اللومِ لؤماً لم يُلِمَّ بهِ ... فَصلٌ من الحُكمِ او فَضلٌ من الحِكَمِ
لولا التهكُّمُ في نُصحي ائتمرتُ بهِ ... إِنَّ النَصيحةَ عِندي أَحسنُ الشِيَمِ
أَحكَمتَ في الخيرِ سِرّاً بارعاً حَسَناً ... فأَترُكْ مؤَارَبَتي يا طاهرَ الحُرَمِ
قدِ اشتهرتَ بتَشْهيمِ الرُقَى عَلَماً ... فأَنتَ أَشهَرُ من نارٍ على عَلَمِ
يا راحلينَ انظُرونا نَقتبِسْ طرَفاً ... من نُورِكم فهو يَهْدِي العينَ في الظُلَمِ
جرَّدتُ قلبَ شَجيٍّ سارَ إِثْرَكُمُ ... مُستتبعاً غُمضَ جَفنٍ باتَ لم يَنَمِ
أَطمعتُ عيني برَصدِ الطَيفِ مُنتظِراً ... زيارةَ الزُورِ في ضِغثٍ من الحُلُمِ
حَصَرتُ مُلحقَ أَجزاءِ الهوَى فانا ... أَهلُ الهوَى بِمِلاحِ الأَرضِ كُلِّهِمِ
بَكَيتُ حَوْلاً ولكنْ غيرَ مُعتذِرٍ ... وغيرَ مُستدرِكِ التلميحِ بالنَدَمِ
طرَّزتُ زَهرَ الرُبَى بالدمعِ مُنسجِماً ... في طَيِّ مُنسجِمٍ في طَيِّ مُنسجِمِ
في مَنزِلِ السرِّ مني فِتنةٌ هتكَتْ ... سِتري فأَردفتُ دمعي غيرَ مُحتَشِمِ
تَمَّتْ في القلبِ صَفْوَ الحُبِّ مُحترِساً ... مَعَ التَمَكُّنِ من سَعيٍ الى اللَمَمِ
حتى عَصاني صَبري بعدَ طاعتهِ ... وطاعني بذلُ دَمعٍ كانَ في عِصَمِ
وعَرَّضَ الحُبُّ نفسي للبَلآءِ ولَمْ ... أَكُنْ بمُتلِفِ نفسٍ غيرَ مُغترِمِ
سُهدٌ ووَجدٌ وتَعديدٌ أَنُوحُ بهِ ... وزَفرةٌ كأَجيجِ النارِ في الأَجَمِ
وأَدمعٌ أَربعٌ ضُمِّنَتْ مُزدوِجاً ... منها فَرائدَ ياقوتٍ فقُلتُ عِمي

رَجَوتُ أَن ترجِعَ الأَيامُ تجمعَنا هيهاتِ لا نتجَ أَرجوهُ من العُقُمِ
ذَيَّلتُ بالنَوحِ دمعاً لا أُلامُ بهِ ومَن بَكى لِفراقِ الإلفِ لم يُلَمِ
دَبَّجتُ صفرةَ خَدّي بالدُموعِ جرَت حُمرًا وأَسوَدُ راسي أَبيضٌ عن أَمَمِ
بالَغتُ مُلتزِماً ما ليسَ يلزَمُني حتى دُعيتُ إِمامَ العِشقِ في الأُمَمِ
فلو أَطعتُ انسجامَ الدمعِ حينَ جرى لأَغرقَ الرَكبَ فوقَ الأَينُقِ الرُسُمِ
ولو تنفَّستُ فوقَ البحرِ حينَ غلا غليلُ صَدري لَخُضتُ البحرَ بالقَدَمِ
يا جيرةَ العَلَمِ المردودَ صاحبُها صَدرًا لعَجْزٍ يُنادِي جيرةَ العَلَمِ
سارُوا وما التفَتُوا نحوَ القتيلِ بهم نَفسي فِداكُم كرِهتم مَنظَرَ الرِمَمِ
قالوا أَصبنا فلا تُوجِبْ مَلامتَنا نعَمْ أَصابُوا فؤَادًا بالسِهامِ رُمي
يَكفِيني عنِ السُهدِ طُولُ الليلِ بَعدَهُمُ مُستطرِدًا من قَصيرِ الذَيلِ كالهِمَمِ
قد أَطمعَتْهُ بما أَرضاهُ عن كَثَبٍ سُهولةُ الطَرْفِ فاقتادَتْهُ كالنَعَمِ
مرْضِيً فدَعْ أَملاً لا يستحيلُ بهِ بلْ يحتَسي الآلَ ماءً عدٌّ في ضَرَمِ
هُمُ الكِرامُ لهم بينَ الكِرامِ هوًى منَ الكِرامِ وتَرديدٌ منَ الكَرَمِ
فطابَ ترصيعُ شِعري في الثَنا لهُمُ وخابَ تشريعُ فِكري في المُنى بِهِمِ
أَنَّى يُناقضُهمْ مَن لا يُماثِلُهم حتى يرُدَّ لهم عادًا الى إِرَمِ
ما الزَهرُ والزُهرُ في أُفقٍ وفي أُفقٍ أَشهَى وأَشهَرُ من تفريعِ ذِكرِهِمِ
فَوِّفْ وصُغْ جُمَلاً وانشِدْ وطِبْ زَجَلاً وانزِلْ على حَرَمٍ منْ أَشطُرِ الخِيَمِ
لي بينَها قَمرٌ في طَرْفِهِ حَوَرٌ في ثَغرِهِ دُرَرٌ والسِمطُ من سَقَمي

سَاوَى على لَوحٍ ياقوتٍ لعارضهِ سَطرَينِ من خَطِّ رَيحانٍ بلا قلمِ
أَبكِي فأُودِعُ وَرْدًا ضِمنَهُ خَجَلاً إِنَّ الحَيَا يُنبِتُ الأَزهارَ في الأَكَمِ
شَبَّهتُ شيئينِ من أَعطافهِ ودِما دمعي بشيئينِ موجِ البحرِ والدِيَمِ
وقُلتُ هل كانَ لولا البحرُ من مَطرٍ فصَحَّ لو كانَ يجدي مذهَبُ الكلِمِ
بَشَّرتُ طَرْفي بمَرْآهُ فبشَّرَني مُشَاكِلاً بالعَذابِ الهُونِ والنِقَمِ
مَن كانَ يبخَلُ عنّي بالكلامِ فهل أَرجُو لهُ في اجتماعِ الشملِ من كَرَمِ
أَهوَى العَذُولَ الذي أَمسَى يُعلِّلُني بذِكرهِ فهْوَ عندي خيرُ مُغتَنَمِ
يُصوِّرُ الذِكرُ لي مَيمُونَ طَلعتهِ وَهْمًا فيُوضِحُ لي عن وَجههِ الوَسِمِ
يَحْميهِ ماضي لِسانٍ طالَ مُنعطِفًا يَفُوهُ باللُغزِ منسُوبًا الى البَكَمِ
لو مَرَّ من قَمَرٍ شهرٌ ولم أَرَهُ لم أَلقَهُ بعدَها إِلاَّ بِطَرْفِ عَمِي
رُمتُ الأَحاجي بخَدَّيهِ فقُلتُ لهُ رادَفتَ رَحْلَ لَظًى يا ظَبْيَ ذي سَلَمِ
لا عيبَ فيهِ سِوَى عينٍ اذا مُدِحتْ في معرِضِ الذَمِّ عُدَّتْ من سيُوفِهِمِ
ووَجنةٍ ذاتِ آثارٍ ترشِّحُها دَمًا وقد خَدَشَتْها رِقَّةُ النَسَمِ
لمَعنَيَيهِ ائتلافٌ وهْوَ قد فتَنَ ال أَبصارَ بالحُسنِ والأَسماعَ بالرَنَمِ
تَعطَّفَتْ فوقَ ذاكَ الرِدفِ قامتُهُ تَعطُّفَ الغُصنِ لَمَّا مالَ في القِمَمِ
يا بارعَ الحُسنِ لي فيكَ الشِفاءُ وقد طَلَبتَ قتلَ مريضٍ عن سِواكَ حَمِي
أَراكَ تَفتَنُّ في قتلي بلا سَبَبٍ بُشراكَ قد نلتَ فخرًا كانَ لم يُرَمِ
سَعَت الى عدَمي في مصرَعٍ قَدَمي ولم تَنَلْ هِمَمي جزءًا من الشِمَمِ

ما زَالَ عقدُ يميني وَجهَ نـادرةٍ كادَت تُؤَثِّرُ فيهِ أَحرُفُ القَسمِ

تأَلَّفَ اللفظُ بالمَعنى لِواصِفِهـا كما تأَلفَ بالأَوزانِ في النَغَمِ

محظُورةُ الصيدِ من دُونِ الظبا كَرَماً لنُكتةٍ قيلَ فيها ظَبيةُ الحَرَمِ

اذا تزَاوجَ دمعي فافتَضَحتُ بهِ خافَتْ رقيباً فصدَّتْ صدَّ مكتتِمِ

حيًّا ليالي بُدُورٍ في الخُدُورِ لَقَـد أَعارَنا الدَّهرُ إِياها فلم تَـدُمِ

لم تلقَ عيني لها عيَناً ولا أَثَرًا فلاحَ في الوَهمِ رَأْيُ الشِركِ من أَلَمِ

تَظَلُّ بيضُ الظُبَى تحْمي مَضاجعَها فلا مجازَ اليها دُونَ سفكِ دَمِ

أَلدهرُ أَغرَبُ ما في الدهرِ من بِدَعٍ يَبينُ فيهِ الصبَى في قبضةِ الهرَمِ

شيخٌ لهُ الليلُ حبرٌ والضُحى وَرَقٌ يُنشِي فُنونَ اختِرَاعِ اللَوحِ والقلَمِ

أَحبابَنا في حياةٍ نحنُ مُوجزَةٍ فيها الغِنَى بالرِضَى والذُخرُ في الرُّجمِ

فلا يَدُومُ علينا قَبضُ نائبـةٍ ولا يَدُومُ لكم بَسطٌ من النِعَمِ

إِنّي تجَاهلتُ في دُنيايَ معرفةً هل كانَ في أَهلها مسٌّ من اللَمَمِ

دارٌ قدِ استَخدَمَتْ عن صبوةٍ غَلَبَتْ من عهدِها المَلكَ المخدومَ كالخَدَمِ

عَنيفةٌ وَزَّعَتْ توشيعَ طاعتِهـا عدلاً على المَعْشَرَينِ العُربِ والعجَمِ

تَنْفي بإِيجابها الغاراتِ هُدْنَتهـا فلا تعُدُّ ليالي الأَشهرِ الحُرُمِ

بِكْرٌ عجُوزٌ وَلُودٌ حُرَّةٌ أَمَةٌ قَامتْ بتَنسيقِ وَصفٍ غيرِ ملتئمِ

يُريكَ عنوانَها في الناسِ مُطَّرِدًا كِسرَى بنُ ساسانَ ربُّ التاجِ والغَنَمِ

نَظَلُّ نُرسِلُها في لُؤمِها مَثَلاً ولا نَزالُ بها لَحْماً على وَضَمِ

هِيَ الدنيَّةُ ندعوها لذلكَ باْلُ   دُنيا اُتِّفاقاً وما يُسمَى بحيثُ سُمي
دارُ الخرابِ خرابُ الدار شيمتُها   وعكسُ آمال آل المال والنِعمِ
قد أَوغَلَ الناسُ في حبِّ الغِنى سَفَهاً   وعاشقُ المال عبدٌ خادمُ الصَنَمِ
لا يَصحَبُ المرءُ شيئاً من غِناهُ ولو   سَلَّمتُ ذاكَ لكانتْ صُحبَةَ العَدَمِ
تَجانَفَ القومُ عن تهذيبِ أنفسِهِم   فلا يُراعُون للتأديب من حُرَمِ
مـا غيَّرَ اللهُ عنهم عقدَ نِعمتِهِ   الاَّ وقد غيَّرُوا ما في نفوسهمِ
كلٌّ يرُوحُ بلا زادٍ سِوَى عَمَلٍ   حَتَّى المُلوكُ فلا تَستَثْنِ من أرَمِ
أَينَ الذين رَوَى الراوونَ من دُوَلٍ   وأَينَ مَن أرَّخوهُ من ذَوي العِظَمِ
شِيبٌ ومُردٌ وأَجنـادٌ وأَلْوِيَةٌ   تَفنَى جميعاً كأَنْ ما قام لم يَقُمِ
أَجسامُهم للثَرَى تُعطَى وأَنفُسُهم   للهِ والمالُ للأعقاب في القِسَمِ
لا بُدَّ للجمعِ من داعٍ يُفرِّقُهُ   لكن تَفاوُتُهُ في الطُرْقِ والهِمَمِ
والأَمسُ واليومُ في الترتيب مثلُ غدٍ   لَهْوٌ ولِعْبٌ يَزُجُّ السُمَّ في الدَّسَمِ
بئسَ الحَيَاةُ التي طابت اوائلُهـا   ان لم يكن طابَ منها حسنُ مُختَتَمِ

وقال في واقعةٍ جرت

ماتَ الحبيبُ كانهُ لم يُولَدِ   وسَلا المُحِبُّ كانهُ لم يُفقَدِ
والحُزنُ يُنشئهُ الحبيبُ كما نَشا   فاذا بَلِي كبَلائهِ لم يَعتَدِ
يا مَن نَراهُ اليومَ يَغلبهُ البُكا   سنَراكَ يَعصيك التباكي في غدِ
هَبْ ني فُؤَادكَ من شُجُونِكَ جمرةً   أَرأَيتَ وَيحَكَ جمرةً لم تَخمَدِ

كم يجهدُ الباكي المعدِّدُ نوحهُ والميتُ لا يدري بنوحِ معدِّدِ
الميتُ لا يدري بحالة قائمٍ والحيُّ لا يدري بحال موسَّدِ
لو دام هذا الحزنُ ألقى ربَّهُ في اللحدِ قبل بلى الحبيبِ الملحدِ
من غابَ عن عينٍ فسوفَ يغيبُ عن قلبٍ فتلكَ وثاقهُ في المشهدِ
لو انصفَ الباكونَ انفسهم بكوا حزناً عليها في انتظار الموعدِ
هل يأمنُ الباكي هجومَ حمامهِ ما بين مسحِ دموعهِ المتردِّدِ
ما لي تكلفتُ النصيحةَ مرشداً في ما اعوزُ به نصيحةَ مرشدِ
جملٌ اتيتُ بها اعتراضاً حيثُ لا عملٌ فما قامت مقامَ المفردِ
قد كنتُ ارغبُ ان أرى قلبي كما أهوى ولكن ليسَ قلبي في يدي
والقلبُ مثلُ العهنِ إنْ جاريتهُ لكن اذا عاصيتهُ كالجلمدِ
آهاً لهذا الموتِ لا يرثي لمن يبكي ولا يحنو على المتنهدِ
كم شقَّ اكباداً وأبكي أعيناً ولكم يَشُقُّ على المدى من أكبدِ
والموتُ ليس بجيِّدٍ لكنَّما لولاهُ كانَ الحالُ ليسَ بجيِّدِ
لولا قديمُ الموتِ لاصطنعَ الورى موتاً فماتَ الناسُ بالمتجدِّدِ
لو قامَ من قتلتهُ سطوةُ مثلهِ ضاقت بكثرتهمْ رحابُ الفدفدِ
والقتلُ قبلَ الموت كان قدِ ابتدا اذ كان حتفُ الأنفِ لمَّا يبتدي
ولقد رأيتُ الأسْدَ أحسنَ خلَّةً من جنس هذا الناطقِ المتمرِّدِ
الناسُ تقتلُ كلَّ يومٍ بعضها والأسدُ تقتلُ غيرها اذ تعتدي
كلٌّ يخافُ من المنون لوقتهِ ونراهُ يجهدُ في الغنى كمخلَّدِ

هذا على حكم الجُنُونِ وانما قد أَصبحَ المجنونُ غيرَ مقيَّدِ
يا صاحِ ذَرْ عنك التغفُّلَ وانتَبِهْ لا تنظُرِ الدُنيا بطَرْفٍ أَرمدِ
سَفَرٌ بعيدٌ في مفاوزِ قَفْرةٍ فالوَيلُ إِنْ سافرتَ غيرَ مزوَّدِ

وقال يمدح خليل باشا وزير حلب اقترحها عليهِ
الخواجا نصرالله الخوري

أَتَدرِي ما بقلبكَ من جراحِ فَتاةٌ طَرْفُها شاكي السلاحِ
تُديرُ على الندامى مقلتاها كُؤُوسَ منيَّةٍ وكُؤُوسَ راحِ
مُهفهفةُ القَوامِ رَنَتْ بعينٍ ذكرتُ بها الأَسنَّةَ في الرماحِ
تَسلُّ اللحظَ من جَفْنٍ مريضٍ كما تفترُّ عن دُرَرٍ صحاحِ
وَقفتُ بربعها فبكيتُ حتى تباكَتْ وُرْقُهُ بعدَ النُواحِ
وَسَمتُ الأَرضَ دمعًا إِثرَ دمعٍ فبعضٌ كاتبٌ والبعضُ ماحِ
لَقد عبثَتْ بنا أَيدي الليالي فراحَ القومُ أَدراجَ الرِياحِ
تَبطَّنَ كلَّ وادٍ كلُّ نادٍ تَطيرُ بهِ المَطِيُّ بلا جَناحِ
قَصدَنا منزِلَ الشهباءِ ليلاً وقد سالت بنا خِلَلُ البطاحِ
فأَغنتَنا النسائمُ عن دَليلٍ ونيرانُ الخليلِ عن الصَباحِ
اذا زُرتَ الوزيرَ على صَلاحٍ فقُلْ للرَكْبِ حيَّ على الفَلاحِ
وقُلْ للدهرِ ما لكَ من سبيلٍ علينا في الغُدُوِّ وفي الرَواحِ
هو الظِلُّ الظَليلُ بأَرضِ قومٍ وَقاهُمْ حرَّ هاجرةِ الضَواحي

جرَتْ سُودُ اليَراعِ براحتَيهِ فإِنْ قصرتْ جرَتْ بِيضُ الصِفاحِ
اقامَ الرُعبَ في الأَكبادِ حتى أَحاطَ بكلِّ نفسٍ كالوِشاحِ
فأَيقظَ كلَّ جفن فيهِ غُمضٌ ونبَّهَ كلَّ قلبٍ غيرِ صاحِ
هُمامٌ قد تصدَّرَ في مقامٍ يَبِينُ الجِدُّ فيهِ من المُزاحِ
قَضَى حقَّ الوِزارةِ فاقتضاها بحُكمِ العَدلِ والحقِّ الصُراحِ
سليمُ القلبِ ذو عِرضٍ مَصُونٍ كريمُ النفسِ ذو مالٍ مُباحِ
لِهَيبتهِ شكائمُ في الرَعايا تَرُدُّ الجامحِينَ عن الجِماحِ
أَتى كالغيثِ تَرْوَى كلُّ أَرضٍ بهِ بينَ اغتباقٍ واصطباحِ
فصفَّقَتِ الغُصونُ لهُ ابتهاجاً وأَصبحَ باسماً ثَغرُ الأَقاحي
عرَفنا حمدَهُ في القلبِ لكن عجَزْنا في اللِسان عنِ امتداحِ
فلَيسَ على عُلاهُ منِ انحطاطٍ بذاكَ ولا علينا من جُناحِ
أَيا مَنْ أَفعمَ الحُسَّادُ ذُلاًّ وأَفحمَ كلَّ مُعترِضٍ ولاحِ
لَقد وافاكَ نصرُ اللهِ فوْزًا يُبشِّر بالمسرَّةِ والنجاحِ
فكُنْ باللهِ مُعتصِماً رشيدًا مَهيبَ السُخطِ مأُمولَ السَماحِ

وقال يرثي الامير حيدر ابي اللمع الذي كان والياً في جبل لبنان

المَرْءُ في الدُنيا خيالٌ قد سرَى والعَيشُ مِثلُ الحُلمِ في سِنَةِ الكرَى
والناسُ رَكْبٌ قد اناخَ بمَنزِلٍ فبَنَى على الطُرُق المَدائنَ والقُرَى
لا مرحبًا إِنْ جاءَتِ الدُنيا ولا أَسَفًا اذا ولَّتْ وما الدُنيا ترُى

هيَ كالسَرابِ يَزيدُ مُهجةَ واردٍ ظَمَأً ويملأُ مُقلتيهِ منظرا

غرّارةٌ يسبي الحكيمَ خِداعُها مكرًا ويُطغِي الفيلسوفَ الأكبرا

لاحت لنا نارُ الحُباحِبِ في الدُجى منها فخِلنا أنَّها نارُ القِرى

عِشنا كأنَّا لم نعِشْ ونموتُ عن كَثَبٍ كأنَّا لم نكُنْ بينَ الوَرَى

ذَهَبَ الزمانُ ومَنْ طَواهُ مُقدَّماً وكذاكَ يذهبُ من يليهِ مؤخَّرا

نبكي ونضحكُ للمنيَّةِ والمُنَى وكِلاهما عبثٌ يدورُ مُكرَّرا

بِتنا نُنادي حيدرًا ويحي وما يجدي اذا بِتنا نُنادي حيدرا

هذا الأميرُ قضى فسالت أكبُدٌ ومدامعٌ وجرى القضاءُ بما جرى

لم تحمِهِ البيضُ الصوارمُ والقنا والشوسُ والجُردُ السلاهبُ والذُرى

هذا الذي كُنَّا نعيشُ بظلِّهِ قد صار تحتَ ظِلالِ رمسٍ أقفرا

هذا الذي ضَبَطَ البلادَ بكفِّهِ قد باتَ مغلولَ اليدينِ معفَّرا

يا طالما أغنى الفقيرَ بجودِهِ واليومَ صار أضرَّ منهُ وأفقرا

أمسى وحيدًا في جوانبِ حفرةٍ مَن كان يجمعُ في حِماهُ عسكرا

منَّا السلامُ بكل تكرِمةٍ على مَن لم يمدَّ الى وداعٍ خِنصِرا

قامت تُشيّعُهُ الرجالُ مُشخَّصاً ومضت تُشيّعُهُ القلوبُ مصوَّرا

أَولى العبادِ برحمةٍ مَن لم يكُنْ عرَفَ المظالمَ في العبادِ ولا درى

وأحقُّ بالإحسانِ مَن لم يُهمِلِ ال معروفَ قطُّ ولم يُباشِرْ منكرا

بكتِ الأراملُ واليتامى حسرةً لمَّا رأت قلبَ السماحِ تحسّرا

وتَنهَّدَ المجدُ الذي ربَّاهُ من صِغَرٍ فكانَ لهُ أَبًا ومدبّرا
سَلَبَ الزمانُ منَ الأفاضلِ دُرَّةً لو كَلَّفوهُ بمثلِها لتَعَذَّرا
ولَرُبَّما نَفِدَ الزمانُ وذِكرُهُ نُملي بهِ جملاً ونَكتُبُ أَسطُرا
قد كانَ عوفًا في الوفاءِ ولم يَزَلْ في الحلمِ معنًا والسماحةِ جعفَرا
واذا تَفَقَّدتَ المحامدَ كلَّها أَلفيتَ كُلَّ الصيدِ في جوفِ الفرا
كلٌّ يُبالِغُ في المديحِ بشعرِهِ ويظَلُّ مادِحُهُ الأَمينُ مُقَصّرا
ومتى طَلَبْنا رِيبةً في نفسهِ كانَتْ لنا عنقاءَ مَغرِبَ أَيسرا
ذاكَ الذي لم يَتَّخِذْ لكنوزِهِ عرَضًا من الدُنيا فصادَفَ جَوهرا
حَقٌّ على الخُطَباءِ ذِكرُ صِفاتِهِ مَثَلاً شَرُودًا حينَ تعلُو المِنْبرا
بَحرٌ حَواهُ النَعشُ فوقَ مَناكِبٍ تسعى ولم نَعهَدْ كذاكَ الأَبحُرا
وفَريدةٌ في الرَمسِ قد دُفِنَتْ وكم من مَعدِنٍ تحتَ التُرابِ تَستَّرا
وَيلاهُ من هذي الحياةِ فانها كالظِلِّ تحتَ الشَمسِ يمشي القَهقَرَى
إِنَّ الحياةَ هيَ الشَبابُ وان تَزِدْ نَقَصتْ كلفظٍ بالزيادةِ صُغِّرا
نرجو من الدُنيا الدَوامَ ونفسُها كَطَعامِها مما يُباعُ ويُشترى
دُوَلٌ وأَجيالٌ تَمرُّ وتنقضي فيها وتَبقَى الكائناتُ كما تَرَى
فسقَتْ غَوادِي الفَضلِ تُربةَ فاضلٍ ممَّن يُؤَرِّخُ كانَ غوثًا للوَرَى
كُنَّا نُؤَرِّخُ فضلَ مِنحةِ كفِّهِ صرنا نؤَرّخُ رَمسَهُ تحتَ الثرَى

سنة ١٨٥٤ — سنة ١٨٥٤

وقال يجيب خليل افندي الخوري عن ابياتٍ امتدحهُ بها

أَخَذَت نحوي سبيلا فَسَقَتْني سَلْسَبِيلا
بِنتُ فِكرٍ من خليلٍ قد شَفَتْ مني غليلا
ذُقْتُ مِنها منْ لَفْظٍ كان بالسَلْوَى كفيلا
ومَعانٍ كنَسيم ال رَوضِ إِذْ هَبَّ أَصِيلا
هَيَّجَتْ عِندي شجوناً سكَنَتْ دَهراً طَوِيلا
وبَنَتْ للشوقِ عِندي أَربُعاً كانت طُلولا
ماأَنا والشعرَ أَصبو والصِبَى جَدَّ الرَحِيلا
كُلَّما أَنشَدتُ بيتاً شِمْتُ لي منهُ عذُولا
ضاعَ هذا العُمْرُ وَيحي ومَضَى الاَّ قليلا
إِنْ قَتَلْتُ الدهرَ خُبْراً فلكَمْ أَلقَى قَتِيلا
انما نحنُ نَباتٌ يَنقضِي جِيلاً فجِيلا
كُلَّما جَفَّ نَضِيرٌ أَطلَعَ الرَوْضُ بَدِيلا
يا هِلالاً قد أَرانا في الدُجَى وَجهاً جميلا
سوفَ نَلقَى منكَ بدراً كاملاً يُدعَى خليلا

وقال يجيب المعلم مارون النقاش عن رسالةٍ
بعث بها اليهِ من ترسيس

نَزَعَ القَريضُ إلى حمى نَقَّاشهِ   كالطَيْر مبتدِرًا إلى أَعشاشهِ
حَمَلَتْهُ أَجنِحَةُ الصبابة فاستوَى   مُتَمَتِّعــاً منها بلينِ فراشهِ
يا حبَّذا ذَاكَ المزارُ فانهُ   وِرْدٌ بِهِ يُرْوَي غليلُ عِطاشهِ
خَلَعَ الحبيبُ عليهِ بَهْجَةَ أُنسهِ   وعلى منازِلِنـا دُجَى إِيحاشهِ
يا دارَ من أَهوَاهُ حيَّاكِ الصبا   وسَقاكِ مُزْنُ الصُبحِ صفوَ رَشاشهِ
ان كانَ قد سَكَنَتْ عليكِ رِحالُهُ   فالقلبُ لم تسكُنْ بلابلُ جاشهِ
طُبِـعَ الزَمَانُ على تَقَلُّبِ حالهِ   وعلى تَلَوُّن وَجهِهِ ورِياشهِ
ما زَالَ يَنصَحُنا بنَكبَةِ غيرِنا   ويَظُنُّهُ المنصوحُ من غُشّاشهِ
لا يذكُرُ الإِنسانُ امرَ مَعادِهِ   اذ كان مُشتَغِلاً بأَمر معاشهِ
يَستأْمِنُ الجزّارُ وهوَ يَرَى المُدَى   يَخْطَفْنَ حَوْلَ نِعاجِهِ وَكِباشهِ
يا مُسعِفاً دهري عليَّ بهَجْرِهِ   لا تُسعِفِ البازي على خُفّاشهِ
أَنْعِمْ بتَرْداد الرسائل مُنعِشــاً   مَن أَنتَ مُقتَدِرٌ على إِنعاشــهِ

وكتب اليهِ بعد ذلك

ماذا الوُقوفُ على رُسوم المَنزِلِ   هيهاتِ لا يُجدِي وُقوفُكَ فاْرحَلِ
تلكَ الأَثافي في العِراصِ تخلَّفتْ   أَظَنَنْتَ قلبكَ بينَهـا فتأَملِ

دارٌ عفتها الذارياتُ فأبرزت فيها خطوطاً مثل رقمِ الجُمَّلِ
ومتى سألت ربوعها عن أهلها صدر الجوابُ عن الصبا والشمألِ
هيهاتِ ما دارُ الحياةِ بمنزلٍ يُرجى ولا ماءُ الحياةِ بمنهلِ
ولطالما سرَّت فساءَت فانقضت فكأنَّ ذلك كلَّهُ لم يحصلِ
يا أيُّها النحريرُ جهبذُ عصرهِ ما لي أُنبِّئك علمَ ما لم تجهلِ
ان المُقدِّمَ للحكيمِ إفادةً كمُقدِّمٍ للشمسِ ضوءَ المشعلِ
بَعُدَ المزارُ على مشوقٍ لم يكن يُشفى على قُربِ المزار الأوَّلِ
يُدني اليهِ الوهمُ دارَ حبيبهِ حتى يكادُ يمسُّها بالأنملِ
للناسِ أيَّامٌ تمرُّ كأنَّها خيلُ البريدِ مغيرةً في الهوجلِ
ان كنتَ تأمنُ جانبَ الماضي بها فالخوفُ بينَ الحال والمُستقبلِ
ذهبَت بما ذهبَت فما تركَت سوى ذِكرى الحبيبِ ويومِ دارةِ جُلجُلِ
والذِكرُ قد يؤذي الفؤادَ وإن حلا كالمسك يَصدعُ مفرِقَ المُستعمِلِ
زادُ المُودِّعِ نظرةٌ فاذا انقضت وقفَ الرجاءُ على الحديثِ المُرسَلِ
إن كانَ قد بَعُدَ اللقاءُ لعلَّةٍ فابعث اليَّ بلُهنةِ المتعلّلِ

وقال يمدح الامير عمر بن الامير هاشم التغلبي اقترحها عليهِ
صديقٌ لهُ من اهل السياحة

أجارتنا هل للنسيمِ وُصولُ اليكِ فلي منهُ الغداةَ رسولُ

مَضَى وأَرَاهُ لم يَعُدْ فلعَلَّهُ قَضى نَحْبَهُ اذ راحَ وَهوَ عليلُ
تَمَنَّعتِ بينَ الشُوسِ والبِيضِ والقَنا وكُلٌّ بمنع الطارقينَ كفيلُ
وما كانَ يجدِي لو بَرَزتِ من الحِمَى وأَنتِ على عهدِ النِفارِ جَفُولُ
أَيا دارَها بالوادِيَينِ قريبةً نَراكِ ولكنْ ما اليكِ سَبِيلُ
لئن عَمِرَت منكِ البُيوتُ فانما لَدَيكِ قُلوبُ العاشقينَ طُلولُ
لَنا فيكِ خَوْدٌ تَحسُدُ السُمْرُ عِطفَها فيبدو على أَعطافِهِنَّ ذُبولُ
عزيزةُ قومٍ حبُّها قد أَذَلَّني نعمْ كلُّ مَن يهوَى الجَمالَ ذليلُ
أَقامتْ عُبَيدَ الخالِ في الخَدِّ حارساً على الوَرْدِ أَنْ يَسطُو عليهِ جَهُولُ
وأَحرَزَتِ الدِرياقَ في الثَغرِ إِذ رَأَتْ أَفاعيَ ذاكَ الشَعْرِ وَهْيَ تَجُولُ
تَذَكَّرتُ ما لم أَنسَ من وَقفةٍ لنا خِلالَ التَنايا حينَ جَدَّ رَحِيلُ
بَكَتْ فاستَهَلَّ الكُحلُ في صَحنِ خَدِّها فحاكى صَدا الصَمْصامِ وَهوَ صقيلُ
تقولُ نِساءُ الحَيِّ إِنّي خليلُها كَذَبنَ فما لِلغانياتِ خليلُ
لئن كانَ بعدَ البَينِ قد حال عهدُها فعهدُ الهَوَى في القلبِ ليسَ يحُولُ
خليليَّ انَّ الخِلَّ في كلِّ بَلدةٍ كثيرٌ ولكنَّ الوفيَّ قليلُ
اذا لم يكُنْ لي منكما اليومَ مُسعِدٌ فانَّ تَحِيَّاتِ الصِحابِ فُضولُ
تُرِيدُ رِجالٌ نَجدةً لِيَ بالمُنَى وتِلكَ سِهامٌ ما لَهُنَّ نُصولُ
وكم قائلٍ في الناس ليسَ بفاعلٍ وكم فاعلٍ في الناس ليسَ يقولُ
وأَحسَنُ من نُطقِ الغَبِيِّ سُكوتُهُ وأَحسَنُ من مجدِ السَفيهِ خمولُ

وَمَن رامَ مجداً فليكُنْ كابن هاشمٍ وإلاّ فلا كي لا يُقالَ دَخيلُ

منَ السادةِ الأشرافِ أَمّا بنانُهُ فسُحبٌ وأَمّا جُودُهُ فسيولُ

يُلبّي دُعاءَ المستجيرِ وبينَهُ وبينَ المُنادِي في المَسافةِ مِيلُ

لهُ الكَرَمُ الجَمُّ الذي شنَّ غارةً على الفقرِ حتى خرَّ وَهوَ قتيلُ

مديدٌ بسيطٌ وافرٌ مُتقارِبٌ سريعٌ خفيفٌ كاملٌ وطويلُ

اتيناهُ كُلُّ الرَّكْبِ مِنّا رَبيعةٌ وكُلُّ المطايا شَدْقَمٌ وجَديلُ

فكانَ كرَيْعانِ الضُّحى كُلَّما دَنا يَزِيدُ علينا بَسطةً ويَطُولُ

لئنْ فاتَ نجداً رِيفُ مِصرَ ونِيلُها ففي نجدَ رِيفٌ من نَداهُ ونِيلُ

يلوحُ اذا جَنَّ الدُّجى ضَوءُ نارهِ فذلكَ داعٍ للقِرَى ودَليلُ

كريمُ السجايا وَجهُهُ وثَناؤُهُ وصُنْعُ يديهِ كُلُّهنَّ جميلُ

تَرَحَّلُ عنهُ في الصَباحِ كَتيبةٌ وتَعشُو اليهِ هَجْمةٌ ورَعِيلُ

اذا افتخَرَتْ عُرْبُ البوادي فَفَخْرُها لهُ غُرَرٌ من تَغلِبٍ وحُجُولُ

وهل كعَدِيٍّ في مَشارِفِ تُبَّعٍ وهل لكُلَيبٍ في الحِجازِ عديلُ

أَعادَ حِمَى عمروٍ حِمَى وائلٍ لهم وأَضرَمَ تلكَ النارَ وَهْيَ تَهُولُ

أَشَمُّ يَهابُ السيفُ مَسَّ أَديمهِ ويَرتَدُّ عنهُ الطَرْفُ وَهوَ كليلُ

أَلَذُّ شَرابٍ عِندَهُ دَمُ فاتكٍ وأَطرَبُ صوتٍ رَنَّةٌ وصليلُ

وأَحمَى دُرُوعِ القارعيهِ هزيمةٌ وأَفضَلُ غُنمِ الطالبيهِ قُفُولُ

خزائنُهُ بِيضٌ وسُمْرٌ وأَدرُعٌ ونَبْلٌ وتُرسٌ مانعٌ وخُيولُ

وأَعجَبُ منهُ انهُ بنُضارهِ كريمٌ ولكن بالحديدِ بخيلُ
كريمُ يدٍ لا يَنْزِلُ البَكْرُ عندَهُ ولا يقتضي حقَّ الرَضاعِ فَصيلُ
اذا نَزَلَ العافي حِماهُ فانما الـ نَزِيلُ أَميرٌ والأَميرُ نزيلُ
تقومُ الرُدَينيَّاتُ حولَ قبابهِ كما قامَ في الرَبْعِ الخَصيبِ نَخيلُ
وقومٌ اذا الداعي دَعا يا لَتَغلِبٍ تَسابَقَ منهم فِتيةٌ وكهولُ
زَجَوْنا اليهِ كالمَطايا قرائحاً عليهنَّ من نَسْجِ القَريضِ حُمولُ
لَئِن قامَ عن تقصيرِنا منهُ عاذرٌ فمنَّا عليهِ ناصحٌ وعَذُولُ
أَرَى الشِعرَ مِثلَ الماءِ يجري فبعضهُ أُجاجٌ وبعضٌ بالزُلالِ يَسيلُ
وأَعذَبُهُ ما في معانيهِ عظمةٌ وفي اللفظِ منهُ رِقَّةٌ وقَبولُ
وفي الشعرِ لَفظٌ دُونَ معنًى كأَنَّهُ فَعُولٌ مفاعيلٌ فَعُولُ فَعُولُ
تَناهَبَهُ أَهلُ الزمانِ الذي مضَى فلم يَبْقَ الاَّ أَرسُمٌ وفُضولُ
وماذا تَفِي تلكَ الثُمالةُ حقَّ مَن لهُ كلُّ صعبٍ في القَريضِ ذَلُولُ
يَكادُ يَذُوبُ الشعرُ من خَجَلٍ بهِ لَدَيهِ فيُمحَى خَطُّهُ ويَزُولُ

وقال في رسالةٍ الى الشيخ ابرهيم الاحدب الطرابلسي

بكلِّ ظَبْيَةِ وَحشٍ ظَبيةُ الأَنَسِ ماذا نعادِلُ بينَ العَفْوِ والفَرَسِ
ان كانَ في الجيدِ والعينَينِ بينهُما شِبهٌ فأَينَ جمالُ الثَغْرِ واللَعَسِ
رَبيبةٌ من بني الرَيَّانِ مُترَفةٌ ترنو بلَحْظٍ لأُسْدِ الغابِ مفترِسِ

سبحان من صاغ ذاك الثغر من بردٍ   لها وألهب ذاك الخد بالقبسِ
فتاكة اللحظ غرّتني لواحظها   لما رأيت عليها فترة النعسِ
تبيت في حرسٍ من لحظ عاشقها   يا ويحهُ وهو منها ليس في حرسِ
يلوح ضوءُ جبينٍ تحت طرّتها   يا للعجاب اجتماعُ الصبح والغلسِ
وتنتضي السيف من جفنٍ مضاربهُ   أمضى من السيف في كف الفتى الشرسِ
مليحةٌ قصّرت عنها الحسانُ كما   قد قصّرت كلُّ مصرٍ عن طرابلُسِ
عن بلدةٍ زانها اللهُ العليُّ بما   أفادها من عطايا روحه القدُسِ
أنشا بها كنزَ أسرارٍ لسائلهِ   أشفى من المطر الهامي على اليبسِ
فضّاضُ مشكلةٍ خوّاضُ معضلةٍ   روّاضُ مسئلةٍ من كلّ ملتبسِ
الناظمُ الناثرُ الشهمُ الكريمُ لهُ   بالفضل يشهدُ طيبُ النفسِ والنفَسِ
سهلُ الطباعِ سليمُ القلبِ من وَضَرٍ   صافي الصفاتِ نقيُّ العرضِ من دنسِ
يزفُّ من كلمٍ كالدرِّ ساطعةٍ   أبكارَ فكرٍ كضوءِ الصبحِ منبجسِ
خرائدٌ من بنات العُربِ قد فتنت   بحسنهنَّ بناتُ التُركِ والفُرُسِ
اذا افاضَ لسانٌ منهُ في جدلٍ   مضى فابلى لسانَ الخصمِ بالخرَسِ
لا يصطلي نارَ إبرهيمَ مجتهدٌ   ولا تنالُ علاهُ كفُّ ملتمسِ
يا غائباً بانَ عنا غيرَ ملتفتٍ   وذكرُهُ في حمانا غيرُ مندرسِ
ان لم تكن نظرةٌ منكم أفوزُ بها   فنظرةٌ من كتابٍ منك مقتبسِ

―――――

وقال في جواب رسالةٍ بعث بها اليهِ محمد عاقل افندي
كاشف زاده في الاسكندرية

هذه رسالةُ صَبٍّ دائم القَلَقِ ... الى حبيبٍ جميلِ الخَلْقِ والخُلُقِ
تَضمَّنتْ نارَ شَوقٍ بينَ أَضلُعِهِ ... فاَعجَبْ لهُ كيفَ يُهدِي النارَ في الوَرَقِ
عليلـةُ اللفظِ والمعنى مجرَّدةٌ ... صحيحةُ العَزْمِ في الأَسفارِ والطُرُقِ
راحت تخُوضُ اليهِ البحرَ خائفةً ... من نَقدِهِ اذ يَراها لا من الغرَقِ
هذا الصديقُ الذي تَبقَى مَوَدَّتُهُ ... للدَهرِ خالصةً من شُبهةِ المَلَقِ
تَمضِي الليالي ولا تُلقِي بهـا اثرًا ... الاَّ كما أَثَّرَ الصَمْصامُ في الدرَقِ
محمـدٌ العاقلُ المشهورُ تسميةً ... بالحمدِ والعقلِ طِبْقَ الذاتِ في النَسَقِ
يتلولنا سُورةَ الإخلاصِ مَنطِقُهُ ... وَوجهُهُ ظَلَّ يتلو سُورةَ الفَلَقِ
لَئِن تكُنْ عينُ تلكَ الشمسِ غائبةً ... فقد أَقامَتْ علينا رايةَ الشفَقِ
رِسالةٌ كبَياضِ العينِ رُقعتُها ... وذلكَ الخَطُّ فيها أَسوَدُ الحَدَقِ
تِجارةٌ بينَنَا واللهِ قـد رَبِحَتْ ... مِمَّن أَرَى فَضلَهُ كالطَوقِ في عُنُقي
يُهدِي اللآلي ويُهدَى بعدَها خَرَزًا ... منا فلا زالَ رَبَّ الفَضلِ والسَبَقِ

وقال في رسالةٍ بعث بها الى صديقٍ لهُ

قِفْ بالعَقيقِ وسَلْ نَسيمَ رياحِهِ ... هل من سَلامٍ تحتَ طَيِّ وِشاحِهِ
ولعلَّـهُ بالجِزْع بـاتَ عَشيَّةً ... فتَوَسَّدَ الريحانَ بينَ بِطاحِهِ
دارَ الأَحبَّةِ جادَ مَغناكِ الحَيَـا ... وكَساكِ بُرْدَ خِزامِهِ وأَقاحِهِ

ان كانَ بانَ الرَكْبُ عنكِ بعينهِ فقُلوبُنا لم تخْلُ من أشباحِهِ
طُبِعَ الزَمانُ على العِنادِ فلم يزَلْ يغتالُ بينَ غُدُوّهِ ورَواحِهِ
فالوَيلُ بينَ صَباحِهِ ومَسائِهِ والعَولُ بينَ مَسائِهِ وصباحِهِ
لِلدهرِ في الأحكامِ بابٌ مُغلَقٌ لا يَهتدِي أحَدٌ الى مِفتاحِهِ
شَهْدٌ وَصابٌ في مشارِبِ أهلِهِ والكلُّ يرتَشِفُونَ من أقداحِهِ
يَتَقَلَّبُ الثَكْلانُ في أحزانِهِ كتَقَلُّبِ الجَذْلانِ في أفراحِهِ
فيَطيبُ للجذلانِ صوتُ غِنائِهِ ويَطيبُ للثَكْلانِ صَوْتُ نُواحِهِ
ولَقَدْ غزَتْ قلبي الهُمومُ بجَيْشِها دَهرًا فكانَ الصبرُ خيرَ سِلاحِهِ
والصبرُ يكفي القلبَ جُرحًا حادثًا ان كانَ لا يَشفِي قديمَ جِراحِهِ
روَّضتُ نفسي بالرِضَى مُنذُ الصِبَى فَجَنَيتُ طِيبَ النفسِ من أدواحِهِ
والنفسُ كالمُهرِ الجَمُوحِ اذا نَشَا في جهلِهِ أعياكَ رَدُّ جِماحِهِ
ان انتَ لم تُصلِحْ طريقَكَ يافعًا فاذا كبِرتَ عجَزْتَ عن إصلاحِهِ
والجهلُ مثلَ الداءِ يرسُخُ في الفتَى فيَسُدُّ عن بُقراطَ نَهجَ فَلاحِهِ
وبمُهجتي شَوقٌ قديمٌ لم يزَلْ لقديمِ حُبٍّ حالَ دُونَ بَراحِهِ
شوقي الى تلكَ الديارِ وأهلِها شَوقُ الطَرُوبِ الى النَديمِ وراحِهِ
رَبعٌ يَسُرُّ الناظرينَ بحُسنِهِ ويُبَشِّرُ العافي بحُسنِ نَجاحِهِ
الفخرُ بينَ بُرُوجِهِ وسُرُوجِهِ والنصرُ بينَ سيُوفِهِ ورِماحِهِ
ولَقد كتَبتُ الى الحبيبِ رِسالةً تَشتاقُ صَفحَتُها اغتنامَ صِفاحِهِ

لو طارَ شوقٌ قبلَها بصَحيفةٍ طارَتْ اليهِ على خُفُوقِ جناحِهِ
ضَمَّنتُها مما تَضمنَّهُ الحَشا ما يعجزُ المِنطيقُ عن إِيضاحِهِ
حَسْبُ اللبيبِ إِشارةٌ يَغْنَى بها داعيهِ بالإِيماءِ عن إِفصاحِهِ
هَيهاتِ لا يَهْدِي ضياءُ الصُبح مَنْ لا يَهتدي بالضوءِ من مِصباحِهِ

وقال في جواب رسالةٍ وردت اليهِ من الشيخ عبد الهادي نجا الابياري
احد علماءِ الجامع الازهر بالقاهرة

تقولُ لقلبي رَبَّةُ الأَعيُنِ النُجْلِ أَفِقْ لا تَقِفْ بينَ الصَوارمِ والنَبْلِ
قَدِ اْستَعْبَدَتْهُ عينُها وَهْيَ عبدةٌ فيا ويلَ عبدِ العبدِ ذُلٌّ على ذُلِّ
فَتاةٌ يَغارُ العِقدُ من حُسنِ جيدِها وتَضحكُ عُجْباً مُقلتاها على الكُحلِ
بَكَيتُ وقد أَرْخَتْ سُدولَ قِناعِها فقالَتْ جرَتْ هذي السَحابةُ بالوَبْلِ
مُهفهَفةُ الأَعطافِ تَخطِرُ كالقَنا بمُعتدِلٍ لا شيءَ فيهِ من العَدْلِ
تَكادُ لهَضْمِ الكَشحِ تجغلُ عِقدَها نطاقاً كما يُستَبدَلُ المِثْلُ بالمِثلِ
أَسالَتْ على وَردِ الخُدودِ ذُؤَابةً لِخَوْفِ ذُبولٍ قد تَلَقَّتْهُ بالظِلِّ
وخَطَّتْ لخَوفِ العَينِ بالوَشمِ رُقيةً على مِعصَمَيها كالفِرِندِ على النَصْلِ
تَبدَّتْ وما أَعمامُها من قُضاعةٍ تُعَدُّ ولا أَخوالُها من بني ذُهلِ
وما رَفَضَتْ منهم سوَى الجُودِ والوَفا ولا حَفِظَتْ منهم سوَى النَهبِ والقَتلِ
يلومونَني ان احمِلَ الذُلَّ في الهَوَى كأَنهُمُ لم يَنظُروا عاشِقاً قَبلي

اذا لُمتَ من لا تَكسِرُ القيدَ رِجلُهُ فانك اولى بالمَلامــةِ والعَذلِ
الى الله اشــكو جَوْرَ فاتنتي التي لَئِنْ رَضِيت قلبي فقد زِدْتُها عقلي
واشكُرُ مَولانا الكريمَ الذي بهِ غَدَت مُهجتي عن كلِّ ذلكَ في شُغلِ
إمامٌ من الأَفراد قُطبُ زَمانهِ ومالكُ رِقِّ العلمِ في العقلِ والنَقلِ
عليهِ من الهادي الذي هوَ عبدُهُ سلامٌ عِدادَ القَطرِ او عَدَدَ الرَملِ
هو العالمُ العلاَّمةُ العاملُ الذي لَدَى ربهِ قد قامَ بالفرْضِ والنَفْلِ
اذا ما رَقِي مَتْنَ المَنابرِ خاطباً تقولُ رَسُولٌ جاءَ في فتْرَةِ الرُسْلِ
أَتاني كِتابٌ منهُ أَحيَــا بوَفدِهِ فُؤَادي كفيضِ النِيلِ في البَلَدِ المَحْلِ
أَحَبُّ الى الأَسماع من لَحْنِ معبدٍ وأَعذَبُ في الأَفواهِ من عَسَلِ النحلِ
تَفَضَّــلَ بالمدح الذي هوَ أَهلُهُ فلم أَستَطِعْ شكرًا على ذلك الفَضلِ
لئن لم يُصِبْ ذاكَ الثَنآءُ فَحَبَّذا تَكَلُّفُ مثلِ الشيخِ ذلكَ من أَجلي
لكَ اللهُ يا مَن جَلَّ ذِكرًا ومِنَّةً فحُقَّ لهُ التَفضيلُ في الإِسمِ والفعلِ
ويا مَن تُلَبِّيهِ القوافي مُغيرةً بأَخفَى على الأَبصارِ من مَدرَجِ النَمْلِ
اليكَ عَرُوساً تَستحي منكَ هَيْبَةً لِذَاكَ قد التَفَّتْ وسارت على مَهْلِ
قد استُودِعَت قلبي الكليمَ وما دَرَتْ فكانَ كذاكَ الصاعِ في ذلكَ الرَحْلِ
أَتُوقُ الى تلكَ الديارِ وأَهلِها جميعاً كما تاقَ الغَرِيبُ الى الأَهلِ
واني لأَرضَى بالكِتابِ على النَوَى اذا لم يكُنْ لي من سبيلٍ الى الوَصلِ

وقال في جواب رسالةٍ وردت اليهِ من بعض المشايخ في الاسكندرية

لِمَنِ الخِيامُ ومَن هنُالكَ نازِلُ   أَتُرَى بِهِنَّ رَبيعةٌ ام وَائِلُ
كَذَبَتْكَ نَفسُكَ بل غَطارِفةُ الحِمَى   قومٌ لَدَيهِمْ ذِكرُ تُبَّعَ خامِلُ
هٰذِهْ خِيامُ الهاشِميَّةِ حَولَها   مِلْءَ العُيونِ مَنازِلٌ ومناهِلُ
ومَناصِلٌ وذَوابِلٌ وجحافِلٌ   وقنابِلٌ ورواحلٌ وقوافِلُ
غَرْثَى الوِشاحِ لها قَوامٌ رامحٌ   تغزو القُلوبَ بهِ وطَرْفٌ نابلُ
ومن العُجاب نَرَى قتيلاً ساقطاً   يبغي اللِقا فيَفِرُّ منهُ القاتلُ
أَفدِي المُحجَّبَةَ التي مِن دُونِها   للدمع في عيني حِجابٌ سادلُ
يا طالما رَدَّتْ أُميمةُ سائلاً   أَفَلا يُرَدُّ اليومَ هذا السائلُ
يا ظبيةً في الحَيِّ نَبغِي صيدَها   فتَصِيدُنا عُنْفاً وليس تُخاتِلُ
لا سَهمَ غيرُ لحِاظِها ترمي بهِ   قَنَصاً ولا غيرَ الفُروعِ حبائلُ
أَنتِ الجميلةُ فوقَ كلِّ جميلةٍ   فالحَقُّ أَنتِ وكُلُّهُنَّ الباطلُ
قد قامَ عُذرِي في هَواكِ فليسَ لي   في الناس غيرَ الحاسدينَ عواذلُ
اهواكِ لا عارٌ عليَّ لأَنَّني   أَهوَى الكِرامَ فما يقولُ القائلُ
مارَستُ أَخلاقَ الحليمِ فخانني   دَهرٌ لأَخلاق السفيهِ يُشاكلُ
وعدَلتُ عن شِيمِ الجَهُول فظَنَّ بي   جَهلاً لأَنّي عن هواهُ ناكلُ
واذا أَتتني مِدحةٌ من جاهلٍ   فهيَ المَذَمَّةُ لي بأَنّي جاهلُ

رُمتُ الوَفآءَ من الزمانِ واهلهِ فظفِرتُ منهُ بما يجودُ الباخلُ
وسألتُ عن ذِممِ الودادِ فقيل لي مَهلاً كأنَّكَ عن محمَّدَ غافلُ
ذاكَ الصديقُ وان تنآءَت دارُهُ عنا وان حالَ الزمانُ الحائلُ
انَّ ابنَ وُدِّكَ من يراكَ بقلبهِ لا من يراكَ بعينهِ فيُغازِلُ
قد قيَّدَت قلبي على بُعد المَدَى بالحُبِّ من تلك السُطورِ سلاسلُ
القلبُ يَعلَمُ أنَّهنَّ جواهرٌ والعينُ تزعمُ أنَّهنَّ رسائلُ
الشاعرُ الفَطِنُ اللبيبُ الكاتبُ ال لَبِقُ الأَديبُ اللوذعيُّ الفاضلُ
في كفِّهِ البيضآءِ سُمْرُ يَرَاعةٍ لَعِبَتْ لها بالمُعرَباتِ عواملُ
حلوُ الفكاهةِ والقريض مهذَّبٌ أقلامُهُ عسَّالةٌ وعواسلُ
لو كان مآءُ النيلِ مرًّا آجنًا حلَّتْهُ أنفاسٌ لهُ وشمائلُ
طَودٌ لَدَيهِ كلُّ طَودٍ رِبْوَةٌ بَحرٌ لديهِ كلُّ بحرٍ ساحلُ
يَنْتابُنا بالمَكرُماتِ تبرُّعًا والمَكرُماتُ فرائضٌ ونوافلُ
بيني وبينكَ يا محمَّدُ شُقَّةٌ تُطوَى اليها في البلادِ مراحلُ
وفواصلُ الأَوطانِ غيرُ مُضِرَّةٍ ان لم يكن بين القُلوبِ فواصلُ
تاهتْ بك الإسكندريَّةُ عِزَّةً فبَدَتْ عليها للسُرورِ دلائلُ
ان كانَ في جِيدِ الصَعيدِ قلائدٌ منها فما جيدُ العواصمِ عاطلُ
يا كَعْبَةَ الأَدَبِ التي حجَّت لها من كل فجٍّ للقريض قبائلُ
أغرَقتَنا في بحرِ فضلك جملةً فكأنَّنا ضَرْبٌ وانتَ الحاصلُ

جئنا بأَبياتٍ لديكَ سخيفةٍ لَوْلاكَ ما عَمَرَتْ لَهُنَّ منازِلُ
شاميةٌ نَقَصَتْ معانيها وان أَهدَى بها في اللفظِ بحرٌ كاملُ
ما أَكثَرَ الشعَرَاءَ حينَ تَعُدُّهم سَرْدًا ولكنَّ الفحولَ قلائلُ

وقال في رسالةٍ كتب بها الى الشيخ عبد الهادي نجا
الابياري بالقاهرة

قِفْ بالدِيارِ اذا الليلُ البهيمُ سَجا وقُلْ طريدٌ الى نار الفريقِ لجَا
تَرَى الصَوارمَ شُهبًا تَستضيءُ بها فان بَدَتْ ميَّةٌ فالصبحُ قد بَلَجا
يا دارَ ميَّةَ حيَّاكِ الحياءُ وان لم نرتَشِفْ منك قَطرًا ينعشُ المُهَجا
ان يمنعِ القومُ إلمامي فما منعُوا أَنْ أَنظُرَ الحيَّ او أَستَنشقَ الأَرَجا
لي فيكِ فتَّانةٌ لام العَذُولُ بها جهلاً فقُلتُ هو الأَعمَى فلا حرَجا
أَجلَلتُ عينيَّ كبرًا بعدَ رُؤْيتها عن رؤْيةِ الغير حتى البَدرِ جنحَ دُجَى
خَوْدٌ لها طيبُ أَنفاسٍ اذا ارتجزَت غَنَّت لها الوُرقُ في عِيدانِها هزَجا
معسولةُ الثغْرِ في لأَلآئهِ فَلَجٌ دمعي النَضيدُ يُباهي ذلكَ الفَلَجا
شكَوتُ من ضِيقِ تلكَ العينِ ظالمةً قالت اذا اشتدَّ ضيقٌ فانتظِرْ فرَجا
وان أَرَدتَ نَجاةَ الرأْيِ من سفَهٍ فاذهَبْ ونادِ بأَعلى الصوت يا ابنَ نَجا
ذاكَ الذي لا يَرُوعُ الوَجدُ مُهجتَهُ ولا يُناظرُ طَرْفًا للمَهَى غَنِجا
ذاكَ المُحبُّ بَياضَ الصُحْفِ لا نَعَجًا في عارضٍ وسَوادَ الحبرِ لا الدَعَجا
ذاكَ الإِمامُ الحصيفُ الكاملُ العَلَمُ الـ فَرْدُ الذي لا تَرَى في خُلقهِ عِوَجا

مُستجمعُ الفضلِ في علمٍ وفي عَمَلٍ   تآلفا فيهِ كالبحرَينِ قد مَرِجا
هانت على قلبهِ الأيَّامُ صاغرةً   اذ كانَ يَعرِف ما في طيِّها دُرِجا
فلا تراهُ لدى الإيسارِ مُبتهِجاً   ولا تراهُ لدَى الإعسار منزعجا
وَداعةٌ في وَقارٍ عزَّ جانبُهُ   كالماءِ بالراح في الأقداح قد مُزِجا
وهِمَّةٌ من بَقايا الدَهرِ قد أخذَت   سبعَ الطِباقِ الى محرابِها دَرَجا
تُدبّجُ الصُحْفَ بالأقلام راحتُهُ   فتلكَ بيضُ خدُورٍ تلْبَسُ السبَجا
قد أزهرَ الأزهرُ الضاحي بطَلْعتهِ   كالبدرِ من مَشرِقِ الافلاكِ قد خرَجا
لقاؤهُ في عيونِ الكاشحينَ قذًى   ولفظُهُ في صدورِ الحاسدِينَ شَجا
طَودٌ ترَى في ضواحي مصرَ موْقفَهُ   وظِلُّهُ في رُبى لُبنانَ قد نُسِجا
عَهدِي بها النيلُ يَسقي ريفَها ترَعاً   فصارَ آخرُ يَسقِي أرضَنا خُلُجا
يا كَعبةَ العلمِ لم تحججْ لهَا قدَمي   لكنَّ قلبي قضَى في خَيفِها حِجَجا
إنْ كانَ قد جاءَ منكَ الخيرُ مُنفرِداً   فطالما جاءَ منكِ الخيرُ مزْدوِجا

وقال في رسالةٍ الى محمود افندي نسيب ناظر ديوان دمشق

لِمَنْ طَلَلٌ بِوادي الرمل بادِ   تخُطُّ بهِ الرياحُ بلا مِدادِ
وَقفتُ بناقتي فيهِ فكُنَّا   ثَلاثةَ أرسُمٍ في ظِلِّ وادِ
على مَن لا سَلامَ لها علينا   سلامٌ لا يُرَدُّ على البِعادِ
تَعشقْنا الحِجازَ وقد سَمِعنا   بمنزِلها على ذاتِ الإِصادِ

نَؤُومٌ عينهــا سَلَبَتْ منامي فصارَ لهــا رُقــادٌ في رُقادِ
رَضيتُ بطَيفهــا لو زارَ حِينــاً وكيفَ يزُورُ طيفٌ في السُهادِ
بحيلةُ مُقلةٍ بَرَزَتْ كسيفٍ فجاءتهــا الغدائرُ بالنجـادِ
رَأَيْتُ دَمي بوَجنتِها فأَرْخَتْ ذُوَّابتَهَــا تُشيرُ الى الحِدادِ
لِعَينكِ يا أُميَّةُ مــا برأسي وما في مُقلتيَّ وفي فُؤَادي
تَطِيبُ لأَجلها بِالشيَبِ نفسي فقد صارت تَخافُ منَ السوادِ
أَمِنتُ على فُؤَادي من حريقٍ بحُبِّكِ حينَ صار الى الرَمادِ
وقد أَمِنَت قرُوحَ الدمعِ عيني لِأَنَّ الدمعَ صار الى النَفادِ
دعَوتُ بني الصفاءِ لكشفِ ضرٍّ أَذُوبُ لهُ فكانوا كالجمادِ
وما كلُّ أَمرِئٍ يا أُمَّ عَمْرٍو بمحمودٍ اذا هتَفَ المُنادي
هَوِيتُ من البِلادِ دِمَشْقَ لَمَّا هَوِيتُ أَبْنَ النَسيب منَ العِبادِ
ولَيسَ أَبنُ النَسِيبِ اليومَ فيهــا سِوَى جبَلٍ على كَبِدِ الوِهادِ
نَسيبٌ من نَسيبٍ من نَسيبٍ كأَكعابِ القَناةِ على اطِّرادِ
كِرامٌ لو تَقَصَّاهُــمْ نَقيبٌ لَعَدَّ كِرَامهُمْ من عهدِ عادِ
اذا قلَّبتَ في محمودَ طرْفاً ترَى قمَرًا تبوَّأَ صدْرَ نادِ
تراهُ في المعاني قَيْسَ عَبْسٍ وفي الأَلفاظِ قُسَّ بني إِيادِ
كرِيمُ الخُلق ممدوحُ السَجايا كريمُ النفسِ محمودُ الأَيادِي
أَرَقُّ من الزُّلالِ العَذْبِ لُطفاً وأَثبتُ من ثَبِيرٍ في الوِدادِ

فتىً لا يزدهيهِ التيهُ كِبراً ولو أمسى على السبعِ الشدادِ
تحلُّ المكرماتُ حماهُ شوقاً وقد سارتْ اليهِ بغيرِ حادِ
أصحُّ الناسِ في الغمراتِ رأياً وأهداهمْ الى سُبُل الرشادِ
وأسجاهم بمسئلةِ لخصمٍ وأرواهم بفائدةٍ لِصادِ
يهبُّ الشوقُ في قلبي اليهِ هبوبَ الريحِ في رجلِ الجرادِ
ويعذُبُ ما تيسرَ منهُ عندي كمسغبةٍ تحبُّ كلَّ زادِ
ألا يا منعماً بقديمِ وصلٍ بدأتَ فهل لبدئكَ من معادِ
لئن حجبت اليكَ العينُ يوماً فإنَّ القلبَ دامَ على الجهادِ

وقال في جواب رسالةٍ من محمد عاقل افندي المذكور آنفاً

أتتني بلا وعدٍ من المنزلِ الأسنى ربيبةُ خدرٍ تجمعُ الحُسنَ والحُسنى
فرشتُ لها بيضَ القصورِ مطارفاً فلم ترضَ الا أسودَ القلبِ للسكنى
رقيقةُ معنىً صيرتني رقيقها لما أبرزت من رقةِ اللفظِ والمعنى
دنتْ فتدلَّت دانياتٌ قطوفها عليَّ فكانت قابَ قوسينِ او أدنى
أتتنا تخوضُ البحرَ جاهدةَ السُرى من البحرِ لكن صادفت عندنا حزنا
وفاتتْ مياهَ النيلِ تطلبُ قمرةً تُعيضُ الصدى عن ذلك المَوردِ الأهنى
مخدَّرةٌ لمياءُ غرثى الوشاحِ لو رأى قيسُ لُبنى حسنها صدَّ عن لُبنى
لقد أُلبست ثوبَ البياضِ وختّمت عقيقاً بهِ عن ظرفِ أخلاقها يكنى
عقيلةُ قومٍ زفّها اليومَ عاقلٌ كريمٌ يشوقُ القلبَ والعينَ والأذنا

أتتني على بُعدِ المَزارِ تعودُني وقد علمت أني لوجدي به مُضنى
كريمُ الثنا أثنى عليَّ بوصفه ومن لي بأنْ أُثني عليه كما أثنى
انا الآلُ لكنْ لا أقولُ غررتُه ولكنَّ عينَ الحُبِّ قد تخلُقُ الحسنا
وجدنا به الخِلَّ الوفيَّ فلم تكن عن الغولِ والعنقاء أطماعُنا تُثنى
يزيدُ على طول الزمانِ ودادُهُ فينمو نموَّ الغرسِ في الروضة الغنّا
أديبٌ لبيبٌ شاعرٌ ناثرٌ لهُ جواهرُ أبياتُ القريضِ بها تُبنى
لطائفُ معناهُ أرقُّ من الصبا وأطربُ من صوتِ الهزارِ إذا غنّى
أصابتْ يداهُ اليُمنَ واليُسرَ في الورى فأيمنتِ اليُسرى وأيسرتِ اليُمنى
هو العُمَريُّ الطاهر النسبِ الذي تمتَّعَ بالألطافِ مِنْ منٍّ مَنْ منّا
ضَمِنتُ له حفظَ المودَّةِ طائعاً وأودعتُ ذاكَ القلبَ في يدهِ رهنا

وقال مجيباً الشيخ ابرهيم الاحدب عن ابياتٍ
ارسلها اليه من طرابلس سنة ١٢٧١

لاحتْ فقلنا كوكبُ الصبحِ بانْ قالتْ نعمْ لكنْ على غُصنِ بانْ
جميلةُ الطلعةِ وضّاحةٌ صارت بها السبعُ الدراري ثمانْ
هيفاءُ في وجنتِها وردةٌ يا منْ رأى الوردَ على الخيزُرانْ
قد تلفتْ في يدِها مُهجتي عمْداً ولم يثبُتْ عليها الضمانْ
ما بينَ عينيها وأكبادِنا داهيةٌ بِكرٌ وحربٌ عوانْ
اذا شكونا ما لقينا بها تقولُ قد قُدِّرَ هذا فكانْ

في خَدِّها نارُ المَجُوسِ التي قامَ لَدَيها الخالُ كالمُوبَذانْ
او نارُ إبرهيمَ مَشبوبةً في مُهَجِ الحُسَّادِ ذاتِ الدُخانْ
هذا خليلُ اللهِ والناسِ في الـ دِينِ وفي الدُنيا فنِعْمَ القِرانْ
أَشَمُّ ماضي العَزمِ ماضي اليَدِ الـ بَيضاءِ ماضي الرأيِ ماضي اللِسانْ
الشاعرُ الواري الزِنادِ الذي تَحكي قَوافيهِ عُقودَ الجُمانْ
يَصدَعُ من أَقلامِهِ عاملٌ للحَقّ فيهِ والهُدَى تَرْجُمانْ
يَستَبِقُ المَعنَى الى قلبِهِ واللفظُ كالفُرْسانِ يومَ الرِهانْ
في كل فَنٍّ من بَلاغاتِهِ يَجلُو بَيانُ السِحرِ سِحرَ البَيانْ
مُهَذَّبُ الأَخلاقِ مَيمونُها رَيَّانُ طَلْقُ الوَجهِ طَلْقُ البَنانْ
ثَناؤُهُ لم يَخلُ منهُ فَمٌ وذِكرُهُ لم يَخلُ منهُ مَكانْ
رَقَّت معانيهِ ودَقّت كما رَقَّت نُسَيماتُ الصَبا في الجِنانْ
يُنسِي جَرِيرًا نَظمُ أَبياتِهِ ونثرُهُ يُنسِي بديعَ الزَمانْ
رَبُّ القَوافي المُطرِباتِ التي سُكْري بها لا بسُلافِ الدِنانْ
تُقَيِّدُ القلبَ بأَسبابِها اذا انْتَقاها الطَرْفُ طَلْقَ العِنانْ
ورُبَّ حَسناءِ المُحيَّا انْجَلَتْ مِثلَ اللآلي في نُحورِ الحِسانْ
البَسَها ثَوبَ سَوادٍ بهِ تاهَتْ فعافَتْ حُلَّةَ الأُرْجُوانْ
يا أُنْسَ يومٍ قد أَتَتْني ضُحًى أَشهى من النَيرُوزِ والمِهْرَجانْ
وَهَبتُها عَيني وأُذْني فلم تَرضَ لها إلَّا صَميمَ الجَنانْ

يا خيرَ مَن صامَ وصلَّى ومَن   قامَ خَطِيباً وارتَدَى الطَيْلَسانْ
اليكَ عَذراءَ سعَتْ نحوَكمْ   بِقَدَمِ الصبِّ وقلبِ الجَبانْ
خافَتْ منَ الذنبِ بتقصيرِها   فأَقبلَتْ تطلُبُ منك الأَمانْ

وقال يجيب فتى من اصحابهِ عن ابياتٍ امتدحهُ بها

رَأَى قَصَبَ السباقِ بَنُو الزَمانِ   فَجَدُّوا مثلَ أَفرَاسِ الرِهانِ
ولكن قَلَّ سابقُهم اليها   كما قَلَّتْ صَنادِيدُ الطِعانِ
تَناوَلَ رُتبَةَ الفُضَلاءِ بَعضٌ   بِراحتِهِ وبَعضٌ باللِسانِ
ولو كانَ الكَلامُ يُقيمُ شأناً   لَكانتْ كلُّ نفسٍ ذاتَ شانِ
تَفَانى اليومَ اهلُ النَقْدِ حَتَّى   رَأَينا الزُجَّ قُدَّامَ السِنانِ
فهم لا يَنظُرونَ الى كلامٍ   ولكن ينظُرونَ الى فُلانِ
رِجالُ الدَهرِ مثلَ الدَهرِ تَمضي   ويُخلَفُ أَوَّلٌ منها بِثانِ
فلا يَخلُو زَمانٌ من رِجالٍ   ولا تَفنَى الرِجالُ من الزَمانِ
أَصابَ الشعرُ نَوْبَةَ آلِ عِيسَى   فأَعطاهمْ نَصيباً في المَعاني
لَئِنْ لَمْ يَشرَبوا بِدِنانِ رومٍ   فقد يُرْوِي الظَما رَشْحُ الدِنانِ
وفي بيروتَ غُصنٌ ليسَ يُدعَى   بغُصنِ البانِ بل غُصنِ البَيانِ
اذا أُعطِيَ النُموَّ فعن قليلٍ   نَراهُ دَوحةً تُعطِي المَجاني
أَتاني بالقريضِ فَتًى شُجاعٌ   يُرَنِّحُ مَعْطَفَ الشيخِ الجَبانِ

تكلّفَ لي مديحاً لستُ منهُ ... فكانَ كأنهُ خصمٌ هجاني
فتىً في الصدرِ منهُ فؤادُ كهلٍ ... وفي بردَيهِ غصنُ الخيزُرانِ
رأينا عندهُ خطَّ القوافي ... وخطَّ عذارهِ يتسابقانِ
اذا الآدابُ لم تكُ بالسجايا ... فليستْ بالزمانِ ولا المكانِ
وان أعطى المؤدِّبُ فضلَ علمٍ ... فلا يعطي الحذاقةَ في الجنانِ
ولا يعطي الفخارَ أبٌ كريمٌ ... اذا طرحتْكَ نفسكَ في الهوانِ
فكُنْ من رهطِ باهلةٍ أديباً ... ولا تكُ من بني عبدِ المَدانِ

وقال يرثي صديقهُ المعلم مارون النقاش حين توفي في ترسيس سنة ١٨٥٥

مَنْ كانَ منكَ أميراً أيُّها الرِمَمُ ... ومَن هُمُ الجُندُ والأتباعُ والخَدَمُ
ومَن هوَ البطلُ الحامي الديارِ ومن ... كانت لهُ الخُطَبُ الغرّآءُ والحِكَمُ
اينَ الذي كانتِ الدُنيا تَضجُّ بهِ ... رُعباً وكان عليهِ الجيشُ يزدحِمُ
من كانَ يهزِمُ أبطالَ الرجالِ ترى ... هل كانَ من وجهِ ذاكَ الدودِ ينهزِمُ
الكُلُّ صاروا تراباً لا قِوامَ لهُ ... يدوسهُ في الطريقِ الخُفُّ والقدمُ
قدِ استوى العبدُ والمولى على نسقٍ ... وضاعَ بين الترابِ السيفُ والقلمُ
بئسَ الحياةُ التي موجودُها عدمٌ ... ياليتَ لا كانَ موجودٌ ولا عدمُ
حلمٌ راهُ الفتى في طيِّ رقدتهِ ... ليلاً فأصبحَ لا نومٌ ولا حُلُمُ
كم غرَّتِ الناسَ واستهوتْ أفاضلَهُمْ ... فتاةَ في قفرها العلّامةُ العَلَمُ

زاغت عن الرُشدِ فيها كلُّ باصرةٍ واُستهلكت في هواها العُرْبُ والعجمُ

لا أَوحشَ اللهُ دارًا من أَحبتِنـا كانت معاهدُها بالأُنس تبتسمُ

بلى قد استوحشتْ منهم ونحن على آثارِهم نُؤْنِسُ الأَجداثَ حيثُ هُمُ

هيهاتِ ما للمنايـا هُدنـةٌ أَبدًا كلّا ولا عندهنَّ الأَشهرُ الحُرُمُ

هُنَّ الأَبيَّاتُ لا يطمعنَ في سَلَبٍ فما لهُنَّ سوى الأَرواح مغتنمُ

وَيلاهُ قد هُدِمت أَركانُنا عبثًا وهل على الأَرضِ رُكنٌ ليس ينهدِمُ

نرجو من الدهرِ أَنْ يرعى لنا ذِممًا يا وَيحنـا ومتى كانت لهُ ذِممُ

ماتَ الحبيبُ الذي ماتَ السرورُ بهِ من القُلوبِ وعاشَ الحُزنُ والضرمُ

من بعدِهِ صار صوتُ النوحِ يُطربُنا وَجدًا وتُزعِجُنـا الأَوتارُ والنغمُ

مَضى وفي كلِّ قلبٍ بعدَهُ كمدٌ يبقى وفي كل جسمٍ بعدَهُ سقمُ

كأَنهُ من قُلوبِ الناسِ مُقتطَعٌ فكلُّ قلبٍ بهِ من فقْدِهِ أَلمُ

لم تخلُ من صوبِ دمعٍ بعدمصرعِهِ عينٌ ولم يخلُ من ذِكراهُ قطُّ فمُ

ولم نجِدْ قبلَهُ من أُمةٍ رَجلًا بكتْ عليهِ شعوبُ الناسِ والأُممُ

قد كُنتُ أَشكو بعادَ الدارِ من قِدمٍ فحبَّذا اليومَ ذاكَ البُعـدُ والقِدمُ

وكانت الدارُ ترجو أَن تراهُ غدًا كالأَمسِ فاُغتصبتْها شخصهُ الرُّجمُ

يا من قضى نحبَهُ في دار غربتهِ أَنتَ الغريبُ اذا ما عُدَّتِ الشيمُ

ما أَنصفتكَ جفوني وَهْيَ باكيةٌ دمعًا فمثلُكَ من يُبكى عليهِ دمُ

أَيُّ الفضائلِ ليست فيك كاملةٌ وأَيُّ عيبٍ نَراهُ فيك يتّهمُ

فيك التقى والنقا والعلم مجتمعٌ والحلم والحزم والإحسان والكرم

نرثيك بالشعر يانقاش بردته والشعر يرثيك حتى تنفد الكلم

تبكي عليك القوافي والمحابر وال أقلام والصحف والآراء والهمم

وكلُّ ديوان شعرٍ كنت تنظمه وكلُّ ديوان قومٍ فيك ينتظم

وكلُّ طالب علمٍ فاته مددٌ وكلُّ طالب رفدٍ فاته نعم

حقٌّ علينا رثاءٌ فيك ننشده لكن أحبُّ الى أسماعنا الصمم

أكاد من فرط لهفي حين أكتبه أمحو المداد بدمعي وهو ينسجم

قصفت ياغصن بانٍ في الصبى أسفاً لما انثنيت وقد مالت بك النسم

كنا نرجّي ثماراً منك يانعةً فسابقتنا المنايا وهي تقتحم

ويحي ترى هل لنا في الأرض مجتمعٌ وهل ترى شملنا في الدهر يلتئم

وهل نرى ذلك الوجه الذي نسخت أنواره تحت أطباق البلى الظلم

ان كنت قد سرت عن دار الفناء فقد نلت البقا حيث لا شيبٌ ولا هرم

ان السعيد الذي كانت عواقبه بالخير في طاعة الرحمن تختتم

وقال ايضاً يرثيه

لا تجزعي يانفسِ من حكم الردى إن كان ما لا بدَّ منه ولا فدى

لا خير في هذي الحياة فإنّها تزداد سوءاً كلّما طال المدى

سحقاً لها من سكرةٍ لا تنجلي إلاّ وحادي البين فينا قد حدا

حُلمٌ يُسَرُّ بِهِ الفتَى فِي نومهِ جهلاً ويَضحكُ حينَ يذكُرُهُ غدا
هيهاتِ ليسَ مُهذَّبٌ بينَ الوَرَى زاغ الحكيمُ ومَنْ بحكمتهِ اقتدَى
لا يَصرفُ الإنسانُ قيمةَ دِرهمٍ عبثاً ويصرِفُ عُمرَهُ الغالي سُدَى
نَسعَى لنمتلكَ الحُطامَ لغيرِنا من قومنا ولقد يكونُ منَ العِدَى
ومنَ العجائبِ أَن يقومَ خطيبُنا يَهدِي العبادَ بحيثُ ضلَّ فما اهتدَى
قد شابتِ الدُنيا وشابَ زمانُها معَها وظَلَّ الموتُ فيها أمرَدا
سَيفٌ على طولِ المَدَى يفرِي ولا يَنبُو ولا يَشكو الفُلولَ ولا الصدَا
والعيشُ بعدَ الموتِ في دارِ البَقَا لا قبلَهُ فالموتُ يُحسَبُ مَولِدا
والموتُ يختارُ النفيسَ لنفسهِ منَّا كما نختارُ نحنُ فما اعتدَى
قد نالَ منَّا دُرَّةً مكنونةً كانت لبهجتِها الدراري حُسَّدا
كنْزٌ ذخرناهُ لنا فاغتالَهُ لِصُّ المنيَّةِ خاطفاً متمرِّدا
هذا شقيقُ الرُوحِ فارقَ في الحَشَا بيتاً لهُ قد صارَ شطراً مُفْرَدا
ليلي لوحشتهِ طويلٌ أسودٌ ولوِ استطعتُ جعلتُ صُبحِي أسوَدا
أَسفي على النقَّاشِ نُخبةِ عصرِهِ في كلِّ فنٍّ مُطلَقاً ومُقيَّدا
أَسفي على غُصنِ النقَا أَسفي على بدرِ الدُجَى أَسفي على بحرِ النَدَى
نُوحي عليهِ يا حَماماتِ اللوَى معَنا وسكِّتْنَ الهزارَ اذا شَدَا
وابكِي عليه يا غَماماتِ الضُحَى عنَّا فإنَّ الدمعَ منَّا استُنفِدا
نوحي عليهِ أيُّها الدارُ التي كانت ببهجتهِ تنادي معبَدا

نُوحي عليهِ ايها الكُتُبُ التي ... كانت أَعَزَّ جليسهِ حيثُ أُنتدَى
تَسقِي ببيروتَ المَدامعُ دارَهُ ... وثَراهُ في تَرْسيسَ يَسقيهِ النَدَى
خافت عليهِ أن يُبارِحَ وَجْهَها ... فتبطَّنَتْهُ بقلبها مُتوطِّدا
يا أَيُّها الذَهَبُ المُصفَّى جوهرًا ... مالي رأيتُكَ في الثَرَى مُتَرمِّدا
يا أَيُّها الحَجَرُ الكريم المُصطفَى ... مالي رأيتُكَ صِرتَ عظماً أَجْرَدا
يا أَيُّها السيفُ الصقيلُ المُنتضَى ... مالي رأيتُكَ في تُرابٍ مُغمَدا
أَرثيكَ ثُمَّ أَراكَ تطلُبُ فوقَ ما ... أَرثي فأَغتَرِمُ الرِثاءَ مُجدَّدا
منا السَلامُ عليك لكن يا تُرَى ... هل من يُبلِّغُكَ السَلامَ مُرَدَّدا
هل تَسمَعُ الداعي اليك مُلبِّيًا ... أم يستجيبُ صُراخَهُ رَجعُ الصدَى
نبكي عليك ولو رأَيتَ بكاءَنا ... لَبَكَيتَ انتَ لأَجلِنا مُتنهِّدا
لم تترُكِ الأَحزانُ قلباً سالمًا ... منا فكيفَ نُطيقُ أن نَتَجلَّدا
مارونُ خُذْ بيدِي فإِني ساقطٌ ... ان كانَ أَبقَى الدَهرُ منك لنا يدا
ما كانَ ضَرَّكَ لو سمحتَ بنَظْرةٍ ... قبلَ الفِراقِ بها اكونُ مُزوَّدا
هَلاَّ بعثتَ مُبرِّدًا أَشواقَنا ... برِسالةٍ نُرْوِي برُؤْيتها الصدَى
مالي رأَيتُكَ لا تقومُ بموعدٍ ... ولَقَد عهِدتُكَ ليس تُخلِفُ موعِدا
قد كُنتُ أَنتظِرُ المُبشِّرَ باللقا ... فإذا بناعيك المُبكِّرِ قد غدا
يا وَيحَ قلبي هل تَعُودُ الى الحِمَى ... هيهاتِ ليس العَودُ عندكَ أَحمدا
مَن كان يبغي أن يراكَ فقُلْ لهُ ... مَهلاً فانك في الطَريقِ على هُدَى

ان كُنتَ عفتَ اليومَ جيرتَنا فقد ... جاورتَ ربَّكَ في علاهُ سرمدا
او غبتَ عن نظرٍ فقد خلّفتَ بالـ ... تاريخِ ذكراً في القلوبِ مخلدا

سنة ١٨٥٥

وقال في جواب تقريظٍ بعث بهِ اليهِ السيد عبد الله افندي مصيب من بغداد

شوقٌ يهيجُ وقلبٌ طالما خفقا ... ومقلةٌ في الدجى علَّمتُها الأرقا
ومهجةٌ في الهوى العذريّ ذائبةٌ ... اذا جرى الدمعُ زادت نارُها حرقا
مَن منصفي يا لقومي في المحبةِ من ... ظبيٍ أنا عبدُهُ وهوَ الذي أبقا
لمَّا توارى محيّاهُ بكيتُ دماً ... كالشمس غابتْ فأبقتْ بعدها شفقا
مهفهفُ القدِّ لدنُ العطفِ معتدلٌ ... كالغصنِ قد حمَل الديباجَ لا الورَقا
خطَّتْ يدُ الحسنِ في مصقولِ جبهتهِ ... سطراً ملخَّصُهُ سبحانَ مَنْ خلَقا
جرَحتُ خدَّيهِ بالألحاظِ عن خطاءٍ ... فاقتصَّ من كبدي ظلماً وما رفقا
وطالما سرقتْ عينايَ نظرتَهُ ... فقالَ لا بُدَّ لي من قطعِ مَنْ سرَقا
لمَّا رأى سحرَ عينَيهِ العذارُ طوى ... كشحاً وخطَّ لهُ في عارضيهِ رُقى
تلكَ الأساطيرُ شاقتني محاسنُها ... حتى رأيتُ سطوراً تبهرُ الحدَقا
قلائدٌ خلتُها حبراً على ورقٍ ... فكانتِ الدرَّ لا حبراً ولا ورَقا
منظومةٌ بيدٍ كالبحرِ زاخرةٍ ... مَن خاضَ لجَّتَها لا يأمَنُ الغرَقا
نفسي الفداءُ لعبدِ اللهِ من رجلٍ ... كالغيثِ مندفقاً والصبحِ منبثقا

أَصحُّ من خطَّ قرطاساً وأَبلغُ من أملى وأفصحُ مَنْ بالضادِ قد نطقا

هوَ المُصيبُ الذي لم يخطِ منطقهُ الاَّ بمدحٍ أتاني منهُ مختلقا

لئن تسربلتُ من عُجبي بهِ حُللاً فقد تعلمتُ من أَلطافهِ خُلُقا

سقَى الحيا أَرضَ زوراءِ العراقِ كما سقت رُبى الشام منها وابلاً غدقا

عَلمتُ أنَّ الصبا من نحوِها خطرت لمَّا رأيتُ شذا أنفاسها عبقا

شوقي الى ربعها الميمون طائرُهُ شوقُ العليلِ الى ما يُمسكُ الرمقا

ربعٌ هو الفلكُ الأعلى فقد طلعت فيهِ النجومُ اللواتي تصدعُ الغسقا

يا حبَّذا نهلةٌ تروي الحشاشةَ من نهر السلامِ الذي قلبي بهِ علقا

ان لم أنلْ جرْعةً منهُ فوا ظمإِي ولو سقاني هتونُ الغيثِ مندفقا

وقال يرثي البطريرك مكسيموس مظلوم حين وفاتهِ بالاسكندرية

نادى منادِي البينِ حيَّ على السُرى فتنبَّهوا يا غافلين من الكرى

سفرٌ طويلٌ شاسعٌ فتزوَّدوا زاداً يبلّغكم الى وادي القُرى

هذا هوَ الحقُّ اليقينُ فما لكم تلهونَ عنهُ كالحديثِ المُفترى

كم ترقُدونَ وعينهُ سهرانةٌ ولكمْ تراكم مُقلتاهُ ولا يُرى

يخشى الفتى من حيثُ يدري نكبةً وتُصيبهُ من حيثُ لم يكُ قد درى

يبغي الفرارَ من المنيَّةِ جاهداً والى المنيَّةِ كلَّ يومٍ قد جرى

قُلْ للذي رامَ الفخارَ بنفسهِ أنتَ الثرى ومنَ الثرى والى الثرى

مَن يفتخرْ فبصالحِ العمَلِ الذي ... كُنّا نعدُّ له الرئيسَ الأكبرا
السيّدُ الحبرُ المعظَّمُ شأنُهُ ... ومكانُهُ المرفوعُ في أعلى الذُرى
العالمُ العلَمُ الإناءُ المُصطفَى ... والكاشفُ الخطبَ الشديدَ اذا اعترى
ذاكَ المُكلّلُ تاجُ قيصرَ رأسَهُ ... شرفاً وليسَ عليهِ دولةُ قيصرا
ذاكَ الذي بيمينهِ قامتْ عصا ... موسى التي منها الجمادُ تفجّرا
ذاكَ الذي شقَّ القلوبَ فكادَ أنْ ... يجري منَ الأجفانِ بحرًا أحمرا
ذاكَ الذي أبكي هيا كلَ بيعةٍ ... قد كانَ يُضحكها وأبكى المنبرا
ذو الهمّةِ العُليا التي أضحى بها ... فردًا يقودُ الى النوائبِ عسكرا
وخليفةُ الرُسُلِ الذي هيهاتِ أن ... يُؤتَى له بخليفةٍ بينَ الورَى
المُهتدِي الهادي الامينُ لشعبهِ ... كالماءِ يجري طاهرًا ومُطهّرا
ذو الغيرةِ العظمى التي اتّقدت بهِ ... مثلَ اللظَى بينَ الهشيمِ تسعّرا
دقَّت معانيهِ ورقَّ نسيمُها ... وسمَت على اوهامِنا أنْ تحصرا
فاذا طلبناها فقد رُمنا السُهَى ... واذا ذكرناها فتقنا العنبَرا
رُكنٌ هوَى بديارِ مصرَ فأوشكتْ ... منهُ رُبى لُبنانَ أن تتفطّرا
ضجّت بهِ الإسكندريّةُ هيبةً ... فكأنَّ فوقَ سريرهِ الإسكندَرا
يا أيُّها الطُورُ الذي عبثتْ بهِ ... أيدي المَنونِ فمالَ محلولَ العُرَى
غدرَت بك الأيّامُ مظلوماً كما ... تُدعَى فألقت في التُرابِ الجوهرا
يجري القضاءُ بما أرادَ ولم يكن ... مِمَّنْ يُراعي ما نُريدُ اذا جرى

كأسٌ اذا فاتَ النديمَ مُقدَّماً ذَكَرَ العهودَ فلم يَفُتْهُ مُؤَخَّرا
هذا فِراقُ الدهرِ لا نُحصِي لهُ عَدَدَ السنينَ ولا نعدُّ الأَشهُرا
من أَجلهِ خُلِقَ الزمانُ وأَهلُهُ وكلاهما يمضِي عليهِ كما تَرَى

وقال يهنئ الخواجا سليم بسترس بعودتهِ من سفر وسلامتهِ من مرض

غُضّي جفُونَكِ يا عيُونَ النرْجسِ إِنَّ المَلاحةَ للعيُونِ النُّعَّسِ
لا تَنظُري وَجهَ الحبيبِ فطالما فتَنَ العيُونَ مُنكِّساً للأَرْؤُسِ
إِنْ كان هذا الوَردُ يحكي خدَّهُ فلِمَ اُستظَلَّ بكمّهِ في المجلِسِ
واذا اُدَّعتْ سُمْرُ الرماحِ قَوامَهُ صَدَقَتْ ولكن أَينَ لِينُ الملمَسِ
رَشأٌ تجلّى في رفيعٍ أَطلسٍ كالبدرِ يَطلُعُ في الرقيعِ الأَطلَسِ
حَسَدَتْ مَراشِفَهُ السُلافةُ واستحى من حسنِ بهجتِهِ طِرازُ السُندُسِ
نَسَجَ العِذارُ على صفائحِ خدّهِ زَرَداً يَقيهِ نواظرَ المُتفرّسِ
وذكا اللهيبُ بـهِ فقال لثغرِهِ لا يَطمعِ الظامي ببرْدِ الأَكؤُسِ
يا مَن أَرَتْني وَجناهُ صَحيفةً كانت عليَّ صحيفـةَ المتلمّسِ
أَنكرتُ صَدّاً من حبيبٍ موحِشٍ فأَصبتُ رَدّاً من حبيبٍ مؤْنِسِ
عادَ الحبيبُ الى الديارِ عَشيّةً تَرَكَ الحِجارةَ كالجواري الكُنَّسِ
أَلقَى عليها فضلَ بهجتِـهِ كما تغشَى الجليسَ بفضلِ ذَيلِ البُرْنُسِ
فَرْعٌ كريمٌ يُستطابُ وانما طيبُ الفُروعِ بحَسْبِ طيبِ المَغْرِسِ

يزهو القريضُ بهِ ويحلو نظمُهُ فيروحُ بين مُشطَّرٍ ومُخمَّسِ
شُغِفَت بهِ العِلَلُ التي قد شاهدت شغَفَ القُلوبِ بهِ وحُبَّ الأَنفُسِ
لو كانَ يَستَشفِي العليلُ بنفسهِ أَغناهُ لُطفُ صِفاتهِ عن رُوفُسِ
هذا ابنُ موسَى الخالدِ الذِكرِ الذي في كل سفرٍ ذِكرُهُ لم يُطمَسِ
اثرٌ تيَمَّنا بهِ من بعدِهِ كالبعض من آثارِ بيتِ المَقدِسِ
يا أَيُّها الرَجلُ السليمُ فؤَادُهُ أَنتَ السليمُ فلم تزَلْ في مَحْرَسِ
لا زلتَ مُعجزَةَ لكلِّ كريهةٍ مثلَ الكلامِ على لِسانِ الأَخرَسِ

وقال يهنئهُ ببناءِ دارٍ لهُ

كَثيبٌ فوقَهُ غُصنٌ رطيبُ وبُرجٌ فيهِ بدرٌ لا يَغيبُ
يَرُدُّ ضياؤهُ الأَبصارَ عنهُ فليسَ يخافُ من عينٍ تُصيبُ
عَلى أَركانهِ نصرٌ عَزيزٌ وفي أَبوابهِ فتحٌ قريبُ
ومن وَجهِ الإِلهِ لهُ كفيلٌ ومن عينِ السُعودِ لهُ رقيبُ
تُناظِرُهُ الثُرَيَّا وَهْيَ تجري دُجًى فتَكادُ من حسَدٍ تذوبُ
وتَلقاهُ الصبا سَحَرًا فتَمْضي ومنهُ فَكاهةٌ فيها وطِيبُ
اذا ضاقت جوانبُهُ بوَفْدٍ توَسَّعَ صَدرُ صاحبِهِ الرحيبُ
تُرافِقُها الصبابَةُ من حِماهُ ولكن لا تُرافِقُها القُلوبُ
سليمُ القلبِ ممدوحُ السَجايا لهُ من إِسمِهِ السامي نصيبُ

تجمعتِ المحاسنُ فيهِ جمعاً   صحيحاً وانتفتْ عنهُ العيوبُ
وفيٌّ العهد ذو قولٍ كفعلٍ   فلا مذِقُ اللسانِ ولا كذوبُ
اذا حلمتْ له عينٌ بوعدٍ   وفاهُ قبلَ أنْ يأتي الغروبُ
صفالك ياابن موسى إرثُ موسى   فانك بعدهُ الخلفُ النجيبُ
لديكَ المنُّ والسلوى جميعاً   وهذا الطورُ عندك واللهيبُ

وقال يرثي الشيخ محمد الحوت المتوفى سنة ١٢٧٦

قِفْ فوقَ رابيةٍ تجاهَ المسجدِ   وقُلِ السلامُ على ضريحِ محمّدِ
واتْلُ الفواتحَ فوقَ تربتهِ التي   حُفَّت بأملاكٍ تروحُ وتغتدي
هذا صفيُّ اللهِ خيرُ عبادهِ   وأبرُّ كلِّ موحّدٍ متعبّدِ
ما زالَ يسعى كلَّ يومٍ باحثاً   في يومهِ عمّا يحاسَبُ في غدِ
علَمٌ من الأقطاب أصبحَ مفردًا   في العالمينَ بفضلهِ المتعدّدِ
قد صحَّ وضعُ الحوتِ في لقَبٍ لهُ   اذ خاضَ في بحر العلومِ المزبدِ
صافي السريرةِ مخلصٌ للهِ في   عملٍ سليمُ القلبِ عذبُ الموْردِ
متواضعٌ فوقَ الكرامةِ كلَّما   قامتْ علاهُ يقولُ للنفس اقعُدي
لم تغْوهِ الدنيا فكانَ نصيبهُ   نصَبَ العبادةِ لا نصابَ العسْجدِ
حزِنَ القريبُ عليهِ ملتاعاً كما   حزِنَ البعيدُ على الحديث المسندِ
لم تبقَ عينٌ في البلادِ عليهِ لم   تدمعْ ولا شفةٌ لهُ لم تحمدِ
بيروتُ نوحي في الأصائلِ والضُّحى   حزناً عليهِ ولا أقولُ تجلّدي

قدغاب عنكَ وفيكَ بدرٌ مشرقٌ … بدرُ التمامِ إزاءَهُ كالفرقدِ
بدرٌ يدورُ على العيونِ فتنجلي … أبصارُها وعلى القلوبِ فتهتدي
ما عيبَ قطُّ بريبةٍ اذ لم يزَلْ … طُولَ الحياةِ لنفسهِ بالمرْصَدِ
يُشكَى اليهِ ليسَ منهُ فانهُ … عن كل سوءٍ كانَ مكفوفَ اليدِ
يا أيُّها الميْتُ الذي يبقى لهُ … في ارضنا ذِكرٌ ليوم الموْعدِ
قد متَّ في الدُنيا كأنَّكَ لم تمُتْ … والبعضُ ماتَ كأنَّهُ لم يُولَدِ

وقال يرثي صديقاً لهُ

أرثي ويا ليتَ شعري مَنْ سيرثيني … قد حانَ ذلكَ ام يبقَى الى حينِ
كُلٌّ أسيرُ المَنايا لا فِداءَ لهُ … فيحسَبُ الحيُّ ميتاً غيرَ مدفونِ
قلْ للذي تاهَ في دُنياهُ مفتخراً … ضاعَ افتخارُكَ بينَ الماءِ والطينِ
اذا تفقَّدتَ في الأجداثِ معتبرًا … هُناكَ تنظُرُ تيجانَ السلاطينِ
ويلاهُ من هذهِ الدُنيا وزهْرتها … فتلكَ أضعفُ من زهرِ البساتينِ
نُمسي ونُصبحُ في الدُنيا على خطَرٍ … فليسَ يومٌ ولا ليلٌ بمأمونِ
قد ملَّ قلبي حياةً لا جمالَ لها … الاَّ مشُوباً بتشويهٍ وتهجينِ
قلبٌ أرى في ديارِ الشام منزلَهُ … وصبرهُ في ديارِ الهندِ والصينِ
في كلِّ يومٍ بلاءٌ غيرُ محتسَبٍ … ولوعةٌ بفراقٍ غيرِ مظنونِ
لم يترُكِ الدهرُ عيناً من أحبّتنا … لكنَّهُ تركَ الآثارَ تُشجيني

لَهفي على ذلكَ البدرِ الذي كَسفَتْ جمالَهُ الأَرضُ لو يَبقَى كعُرجُونِ
من بعدِهِ أَظلَمتْ أَبصارُنا فرأَتْ نهارَ أيلولَ فيها ليلَ كانونِ
ويلاهُ كم في صُروفِ الدهرِ من عَجَبٍ وأَنتَ في البحثِ عنها غيرُ مأذونِ
يُعطِي ويمنعُ لا حَمْدَ الكريمِ ولا عُذْرَ البخيلِ ولا حفظَ القوانينِ
كم سادَ في الدينِ والدُنيا بحوزتِهِ مَن ليسَ يَصلُحُ للدُنيا ولا الدينِ
وماتَ من تَشتهِي الدُنيا سَلامتَهُ وعاشَ مَن موتُهُ أَشهَى الرَياحينِ
هذا قَضآءُ الذي في عرشِ قُدْرَتِهِ يُصرِّفُ الامرَ بينَ الكافِ والنونِ
فاصبِرْ وإِنْ شِئتَ فاجزَعْ إِن قدَرْتَ على دفعِ البلآءِ وتعديلِ الموازينِ

وقال يمدح الامير امين رسلان الوالي في جبل لبنان

لِمنِ الهوادجُ في عرآءِ الهوْجلِ تحتَ القبابِ تَشُقُّ ذَيلَ القسطلِ
يَتتبَّعُ الآثارَ قلبي خلفَها فلوِ انثَنَيْنَ وَطِئنَهُ بالأَرجُلِ
ابراجُ أَقمارٍ تغيبُ نهارَها فيها وتَطلُعُ في الظلامِ المُقبلِ
حَمَّلْنَني ما لو تَحَمَّلَ بعضَهُ حُمْرُ النياقِ لَما نَهضْنَ بمَحْمَلِ
لي ذاتُ خدرٍ بينَهُنَّ أَنا لها وأَوَدُّ لو رَضِيَتْ فقالَتْ أَنتَ لي
قامَتْ تَصُولُ منَ الرِماحِ بأَبيضٍ ومنَ السُيوفِ بأَسوَدٍ لم يُصقَلِ
ولقد أَقولُ لمَنْ أَقامَ بمَرْصَدٍ ما كانَ ضَرَّكَ لو أَقَمْتَ بمعزِلِ
أَقصِرْ عَناكَ وحيثُ حلَّتْ نعمةُ الـ رُوحِ الأَمينِ على محمَّدَ فانزِلِ

زُرْ ذلكَ الرَبْعَ الخصيبَ وقِفْ بهِ ... يوماً وُقوفَ الآملِ المُتأَمِّلِ
يومٌ يحقُّ له التذكُّرُ بعدَ ما ... طالَ المَدَى لا يومُ دارةِ جُلجُلِ
هذا ابنُ رِسلانَ التنوخيُّ الذي ... هوَ في السَراةِ من الطرازِ الأَوَّلِ
هذا الذي تُروَى مآثرُهُ كما ... يُروَى الحديثُ عن النبيِّ المُرسَلِ
مولىً يظَلُّ السعدُ يخدُمُ بابَهُ ... ويَسيرُ حولَ رِكابهِ في الجحفلِ
غَلَبَ الطوالعَ نجمُهُ فتضاءَلت ... كالشمسِ تُزري بالسِماكِ الأَعزلِ
فاذا مشَى تمشِي المواكبُ خلفَهُ ... واذا استقرَّ يحُلُّ صدرَ المَحفلِ
واذا تكلَّمَ يُنصِتونَ كأنهُ ... يدعو بآياتِ الكِتابِ المُنزَلِ
مُتَوَقِّدُ الأَفكارِ لو برَزَت لنا ... أَغنَتْ عنِ المِصباحِ بالصُبحِ الجلي
يَرمِي صُروفَ الحادثاتِ بأَسهمٍ ... منْ لحظِهِ فيُصيبُ عينَ المَقتَلِ
ما زالَ يفعَلُ ما يقُولُ وإنَّني ... في المدحِ لستُ أَقولُ ما لم يفعلِ
ما زلتُ كالراوي الأَمينِ وربَّما ... غَلَبَ الهيامُ فكُنتُ كالمُتغزِّلِ
بمُحَمَّدٍ وأَبي مُحمَّدَ أَشرقَتْ ... دارُ الإِمارةِ كالثُريَّا تنجَلي
فرعٌ نَشا من خيرِ أَصلٍ طاهرٍ ... والشَهدُ لا يأْتي بماءِ الحَنظَلِ
قابلتُهُ فاذا غُلامٌ أَمرَدٌ ... وخبَرتُهُ فاذا بشيخٍ أَكمَلَ
يَروِي حديثَ الأَوَّلينَ كأنهُ ... من عهدِ طَسْمٍ شاهدٌ لم يَغفُلِ
أَبصرتُ من أَلطافهِ ما لم يَسَعْ ... لفظُ الرُواةِ فكانَ ما لم يُنقَلِ
ورأَيتُ سِرَّ ابيهِ فيهِ مُصوَّراً ... كالشَخصِ يبدو من وراءِ سَجَنْجَلِ

ان لم تُصبْ قَدَمي الحلول بدارهِ ... فالقلبُ فيها نازلٌ لم يرحلِ
هيَ أفضلُ الأوطانِ عندي رُتبةً ... ولذاكَ قد خصصتُها بالأفضلِ
دارٌ بها نيلُ الفوائدِ والمنى ... ولها العوائدُ في الجميلِ الأجملِ
لا غيرَّ الرحمنُ عادتَهُ على ... من لم يغيِّرْ عادةً لمؤمِّلِ

وقال في رسالةٍ كتب بها الى ابرهيم بك كرامة في القسطنطينية

أعرفتَ رسمَ الدارِ ام لم تعرفِ ... بينَ العقيقِ وبينَ دارةِ رفرفِ
دارٌ عهدناها مراتعَ للظبا ... فغدتْ مسارحَ للضواري الخُطَّفِ
خطّتْ صفائحَها الرياحُ فنقَّطتْ ... أيدي السحائبِ غُفْلَ تلكَ الأحرُفِ
فترى الرسومَ تلوحُ حولَ خطوطِها ... مثلَ الجداولِ حولَ خطِّ المُصحفِ
ولقد وقفتُ على المنازلِ وقفةً ... نصبتْ لعيني هولَ يومِ الموقفِ
ناديتُها كالمستجيرِ وانما ... ماذا يفيدُ نداءُ قاعٍ صفصفِ
يا أيُّها الركبُ الذينَ تحمَّلوا ... هل كانَ يُثقلُكم فؤادُ المُدنفِ
تبعَ الركابَ فما استطاعَ لحاقَها ... وبغى الرجوعَ فلم يجدْ من مصرفِ
خلتِ الديارُ فلا كرامةَ عندها ... تُرجى ولا ابنُ كرامةٍ للمُعتفي
هيهاتِ إنَّ ابنَ الكرامةِ حلَّ في ... دارِ الخلافةِ بالمقامِ الأشرفِ
سبحانَ ذي العرشِ المجيدِ فقد بدتْ ... في شخصِ إبرهيمَ صورةُ يوسفِ
أصلى بنارِ فراقهِ قلبي ولا ... بردٌ هناكَ ولا سلامَ فتنطفي

ذاكَ الكريم ابنُ الكِرامِ ومَنْ لهُ ال　　ذِكرُ الشهيرُ ومنْ لهُ اللُطفُ الخَفي
ورِثَ الكرامةَ عن أبيهِ وجدِّهِ　　لٰكنَّهُ بتليدِها لا يكتفي
شَهِدَت لهُ الأتراكُ بالفضلِ الذي　　شهِدَت بهِ الأعرابُ دُونَ تكلُّفِ
قد نالَ ما هوَ أهلُ ما هوَ فوقهُ　　فانظُرْ لأيِّهما الهَناءُ وأنصِفِ
سِمَةٌ تليقُ بهِ فنعمَ المُصطفى　　منَّ الكريمُ بها فنِعمَ المُصطفِي
يا راحلاً لو تستطيعُ دِيارُهُ　　رَحلَت اليهِ بحيثُ لم تَتَوَقَّفِ
إن كُنتَ أنتَ صرَفْتَ وَجهكَ نائياً　　عنّا فذِكرُكَ عندَنا لم يُصرَفِ
منّي اليكَ رِسالةٌ في طيّها　　شَوقُ الشَجي وتَحيَّةُ الخِلِّ الوَفي
أشحنتُها كالفُلكِ في فُلكٍ على　　بحرٍ الى بحرٍ لذيذِ المَرشَفِ
عَلِمَتْ بأنَّ القلبَ نحوكَ قدمضى　　فسعَتْ على آثارِهِ كالمقتفي

وقال يرثي بعض الفضلاءِ وكان قد تُوُفّي بالداءِ الاصفر كتب بها الي رئيس قومهِ

يا راحلينَ الى الدِيارِ الباقيهْ　　لا تعمرُوا دارَ الخَرابِ الفانيهْ
تلكَ الدِيارُ هي المُقامُ وانما　　هذي الدِيارُ مراحلٌ في الباديهْ
وَيحِي متَى تُصْحُونَ من سُكرٍ بلا　　خمرٍ ومن نومٍ بعينٍ ساهيهْ
ان كانَ غرَّكُمُ الغُرورُ بأمرِكم　　فتذَكَّروا امرَ القُرونِ الخاليهْ
يا سائراً والموتُ مِلءُ طريقِهِ　　إحذَرْ فأنتَ على شَفيرِ الهاويهْ
واعلَمْ بأنَّكَ ليس تخطو خَطْوَةً　　مأمونةً من أنْ تَكُونَ القاضيهْ

يلهو الجَهُولُ عن المَنِيَّةِ زاعماً ... أَنَّ المنيَّةَ عنهُ أمستْ لاهيَه
الناسُ أَمثالُ الفرائسِ حولها ... رُسُلُ المنيَّةِ كالذئابِ الضاريَه
يَتَجنَّبُ المَرْءُ البَلاءَ وطالما ... فاتَتْهُ داهيةٌ فصادفَ داهيَه
واذا تعافى مُدنَفٌ من عِلَّةٍ ... فعلَيهِ أُخرَى ليسَ منها عافيَهْ
أَشكُو مُصابَكَ يا شكُورًا لم تكُنْ ... يوماً لهُ في الدَهرِ نفسٌ شاكيَه
يا طائعاً أمرَ الالهِ وزاجرًا ... عن تَرْكِ طاعتهِ النُفوسَ العاصيَه
ياصاحبَ القلبِ السليمِ كأنهُ ... قد صيغَ من عذْبِ المياهِ الصافيَهْ
والصادقَ الكَلِمِ التي لسَدادِها ... كانت تَقُودُ الى الهُدَى بالناصيَه
والناصحَ البَرَّ الوَدُودَ المُستوِي ... قولاً وفعلاً خُفْيةً وعلانيَه
واللازمَ التهذيبِ في أعمالهِ ... مثلَ الْتزامِ الشعرِ حرفَ القافيَهْ
لمَّا دَعاكَ اللهُ من فِردَوسهِ ... لَبَّيتَ مُمتثِلاً بنفسٍ راضيَهْ
ما كانَ ذاكَ العزمُ إلاَّ ليلةً ... حتى نزَلتَ بِدارهِ في الثانيَهْ
سَكَبَ الإِلهُ عليكَ رَحمتَهُ كما ... كانت مراحمُ قلبكَ المُتواليَهْ
لم تبكِ عينٌ منكَ قطُّ بسوءَةٍ ... وعليكَ صارت كلُّ عينٍ باكيَهْ
جبلٌ رفيعٌ هزَّهُ ريحُ القضا ... والريحُ يَعصِفُ بالجبالِ العاليَهْ
ريحٌ توهم فيهِ لوناً أصفرًا ... مَن ظنَّ فيهِ لَهيبَ نارٍ حاميَهْ
هوَ زُبدةُ الأمراضِ في جُمهورِها ... مثلَ الخُلاصةِ من بيوتٍ الكافيَهْ
فلَو اتَّخذتَ اليهِ في أفعالهِ ... نَسَباً لكانَ النحرَ وَهيَ الساقيَهْ

تبًّا لها من ضربةٍ فتَّاكةٍ كثُرَتْ لوقعتها الشجاجُ الداميه
فتكت به ولعلَّها اعتذرتْ لنا اذ لم تكُنْ وقعت برأسِ الزاويَهْ
أنتَ المُرادُ ولا أُسمّي غنيةً منّي عَنِ اسمِكَ بالصفاتِ الغانيه
وإذا سلمتَ فأنتَ شمسٌ قد كفت عن ضوءِ كلّ الأنجمِ المُتواريَهْ

وقال يمدح الامير امين رسلان

عُنوانُ كلّ مديحٍ راسخِ القدَمِ تركُ التغزُّلِ والتمويهِ في الكَلِمِ
فإن مدحتَ الأمينَ المُستغاثَ بهِ فالهجْ بليثِ الشرى لا ظبيِ ذي سلَمِ
قُلْ للأميرِ جزاكَ اللهُ مكرُمةً فأكرمُ الناسِ عندَ اللهِ ذو الكرَمِ
والناسُ ضربانِ ذو سيفٍ وذو قلمٍ وأنتَ تجمعُ بينَ السيفِ والقلَمِ
أُثني عليكَ بلفظٍ لستُ أحسبُهُ مدحاً لكم بل حديثاً عنكَ في الأُمَمِ
وأحسنُ المدحِ ما صحَّ الحديثُ بهِ وصدَّقتْهُ شهودُ الفعلِ والشيَمِ
وأفضلُ الحاكمينَ القائمينَ فتىً ذو حكمةٍ فيزينُ الحُكْمَ بالحِكَمِ
قد اعتركتَ صروفَ الدهرِ مُخترطاً سيفَ العزائمِ والآراءِ والهِمَمِ
فكنتَ معقدَ تاجٍ فوقَ هامتِها بعدَ الجهادِ وكانتْ موطئَ القدَمِ
مددتَ راحةَ قنّاصٍ يعاضدُها حظٌّ سعيدٌ يصيدُ الصقرَ بالرَخَمِ
فما هممتَ بأمرٍ غيرَ مقتدرٍ ولا بدأتَ بأمرٍ غيرَ مختتمِ
يا أثبتَ الناسِ في قولٍ وفي عملٍ على التمادي وأوفى الناسِ بالذِمَمِ

بيني وبينكَ عهدٌ في عشائرِنا يجرِي على سنَّة المخدومِ والخدمِ
انا على عادةِ الأجدادِ من قِدَمٍ فكُنْ على عادةِ الساداتِ من قِدَمِ

وقال يمدح محمد باشا وزير تونس اقترحها عليهِ بعض اصحابهِ

الى المَغاربِ تَسعَى الشمسُ والقمَرُ فذاكَ فخرٌ بهِ تزهو وتفتخرُ
أرضٌ مباركةُ الأقطارِ صالحةٌ اذا أتَى الريحُ منها أقبلَ المطرُ
سَلْ أرضَ مصرَ إذا ما جِئتَ ساحتَها من أينَ فيضُ مياهِ النيلِ يُنتظَرُ
إن كانَ في مصرَ نهرٌ شابهُ كدرٌ فضمنَ تونُسَ بحرٌ ما بهِ كدرُ
هوَ الوزيرُ الذي أضحى يُشدُّ بهِ أزرُ الكرامِ ويُرجَى عندهُ الوطرُ
تهوِي على ذيلِهِ الأفواهُ لاثمةً كأنهُ رُكنُ بيتِ اللهِ والحجَرُ
محمدُ الأحمدُ المحمودُ نائلُهُ وسعيُهُ حيثُ يرضَى اللهُ والبشرُ
الباسمُ الثغرِ والأبطالُ عابسةٌ والثابتُ القلبِ والاكبادُ تنفطرُ
اذا انتضَى يومَ حربٍ صارماً ذكرًا فليسَ أفتكَ منهُ الصارمُ الذكَرُ
أعزُّ شيءٍ عليهِ متنُ سابحةٍ تجرِي وأهونُ شيءٍ عندهُ البدرُ
مؤيدٌ بيمينِ اللهِ مقتدرٌ يرعَى العبادَ بعينٍ نومُها السهرُ
لو لم يكنْ صدرُهُ بحرًا لما برزَتْ لمشهدِ الناسِ من ألفاظهِ الدررُ
كرامةٌ في بلادِ الغربِ مشرقةٌ ونعمةٌ للرعايا ساقها القدرُ
تُهدَى اليهِ القوافي وهيَ سافرةٌ من مشرقِ الأرضِ يجلو وجهها السفرُ

يا ناسخَ الظُلمِ من أَقطارِ دَولتهِ كظُلمةِ الليل يمحو جنحَها السَحَرُ
قد قُمتَ بالبرِّ والعدلِ القويمِ بها كأَنَّما أَنتَ عبدُ اللهِ او عُمَرُ
لكَ التهاني بما أُوتيتَ من ظَفَرٍ بل للرَعايا التي أَولى بها الظفَرُ
أَنلتَهمْ زهرةَ الدُنْيا فكانَ لهُمْ عَرْفُ النَسيمِ وفي الأُخرى لكَ الثَمرُ

وقال في جواب رسالةٍ من الشيخ عبد الهادي نجا الابياري

اسُ العِذارِ على خَدَّيهِ قد كَتَبا حديثَ فِتنتَهِ الكُبرى فما كَذَبا
ما زالَ يَخضرُّ ذاكَ الآسُ مُزدَهياً وكيفَ يَخضرُّ نبتٌ جاوَرَ اللهَبا
فتىً منَ العربِ العَرْباءِ منطقهُ لكن شَمائلُهُ لا تَعرفُ العرَبا
غَضُّ الصِبا لَيِّنُ الأَعطافِ معتَدِلٌ لهُ فكاهةُ رَيحانٍ ولُطفُ صبـا
ما زالَ وَجدِي بهِ ينقادُ عن سببٍ حتّى رَأَيتُ لزُهدي في الهوَى سبَبا
لَهَوْتُ عن غزَلٍ فيهِ بعارضةٍ من النَسيبِ بخَوْدٍ تفتِنُ الأُدَبا
رِسالةٌ من ضواحي مِصرَ قد وَرَدَتْ كأَنَّها فَلَكٌ قد ضُمِّنَ الشُهُبا
بديعةُ النَظمِ خُطَّت بالمِدادِ ولو أَصابَ كاتبُها أَجرَى لها الذَهَبا
للهِ من كاتبٍ أَقلامُهُ نَظمَتْ عِقْـدَ اللآلي بلا سِمطٍ فواعجَبا
يفْتَنُّ في فِتنةِ الأَلبابِ مُبتدِعاً اذا قضَى او رَوَى او خَطَّ أَو خطَبا
مُهذَّبٌ ترفَعُ الأَوهامُ حِكمتَهُ حزْماً اذا قامَ للتدريسِ مُنتصِبا
يُقضَى لهُ حينَ يُفتِي في مجالسِـهِ بالسَبْقِ ممَّن رأَى في كَفِّهِ القَصَبا

عبدٌ أُضيفَ الى الهادي فنالَ هُدًى ... منَ المُضافِ اليهِ كانَ مكتسبا

أقوى الورى سنداً أعلى الذرى عُمُداً ... أندى الكرامِ يداً خيرُ الأنامِ أبا

طلقُ اليراعةِ طلقُ الوجهِ طلقُ يدٍ ... طلقُ اللسانِ اذا السيفُ الصقيلُ نبا

كالبحرِ مندفقاً والصبحِ منبثقاً ... والسهمِ منطلقاً والغيثِ منسكبا

سهلُ الخلائقِ لا يهتاجهُ غضبٌ ... حتى توهمتهُ لا يعرفُ الغضبا

يُغضي عن الجهلِ من حلمٍ ومكرُمةٍ ... عيناً لها اللحظاتُ تخرقُ الحُجُبا

أراد للنفسِ وضعاً من وداعتهِ ... يوماً فطارتْ بها فوقَ العلى رُتبا

لا يبرحُ المرءُ حيثُ اللهُ يجعلُهُ ... ومن رأى النجمَ تحتَ الماءِ قد رسبا

متى تزرْ شيخنا المفتي الكبيرَ ترى ... أبا حنيفةَ في محرابهِ انتصبا

ترى التلاميذَ تستملي فوائدَهُ ... كأنَّهُ البحرُ يسقي ماءَهُ السُحُبا

كنزُ العلومِ الذي يغنى الفقيرُ بهِ ... منَ العطايا ويبقى فوقَ ما ذهبا

بحرٌ على أرضِ مصرٍ مدَّ لُجَّتَهُ ... فنالتِ الشامَ حتى جاوزتْ حلبا

أهدى الينا بيوتاً كلَّما ضربتْ ... طيَّ الحشا وتداً مدَّت لهُ سببا

تلكَ العذارى التي في الريفِ قد وُلِدت ... وأثبتَ اليمنُ الأقصى لها النسبا

بتنا نتوقُ الى مصرٍ لرؤيتهِ ... ونرصدُ الريحَ هل تأتي لنا بنبا

يمثّلُ الوهمُ هاتيكَ الديارَ لنا ... حتى كأنّا وردنا نيلها العذبا

عزَّ اللقاءُ فرددْنا رسائلنا ... كمن تيمَّمَ حيثُ الماءُ قد نضبا

من ليسَ يقدرُ في وصلِ الأحبّةِ أنْ ... يستخدمَ الخيلَ فليستخدمِ الكُتُبا

وقال يهنئ البطريرك اكليمنضوس بحُوث بارتقائهِ كرسيّ البطريركية سنة ١٨٥٦

أَقولُ اليومَ صارَ الشرقُ شرقًا … فشمسُ الحقّ حلّتْ منهُ أُفقا
وإنَّ اللهَ يصنعُ كلَّ عدلٍ … فيُعطي كلَّ عبدٍ ما استحقّا
تهلّلَ ذلكَ التاجُ ابتهاجًا … فكانَ مُسبِّحًا لو حازَ نُطقا
وأوشكتِ العصا تخضرُّ خصبًا … فتُعطينا منَ الثمراتِ رزقا
لقد خلفَ الزمانُ اليومَ عمّن … مضى عنّا وأيُّ الناس يبقى
كواكبُ لا يغيبُ البعضُ حتى … نرى في مُرتقاهُ البعضَ يرقى
تقلّدَ بالرعايةِ خيرُ راعٍ … رعاياهُ بماءِ البرّ تُسقى
يسدُّ على ضواري القفرِ بابًا … ويفتحُ للمراعي الخُضرِ طُرْقا
نراهُ أبرَّ أهلِ اللهِ قلبًا … وأحسنَ خلقهِ خلقًا وخُلقا
اذا كلّلتَ مفرقَهُ بتاجٍ … رأيتَ جبينَهُ أجلى وأنقى
تردّى بالسوادِ فقلتُ بدرٌ … ودامَ كمالُهُ فوجدتُ فرقا
وخلنا صدرَهُ بحرًا فلمّا … رأينا الدرَّ تمَّ الشبهُ طبقا
بيُمناهُ العزيزةِ صولجانٌ … يحطّمُ هامةَ الطاغوتِ سحقا
لهُ طرفٌ بأقصى الشام يبدو … وآخرُ في أقاصي مصرَ يُلقى
أرى الإسكندريّةَ كلَّ يومٍ … تُهنّئُ بعدَ حسرتِها دمشقا
تطهّرَ قلبُها من كلِّ حزنٍ … وقد فاضَ السرورُ عليهِ دفقا

أَتى الكُرْسِيَّ رافعهُ افتخارًا ... ومالكُ أَمرِهِ فتقًا ورتقا
يعيدُ سلامةً ويكفُّ حربًا ... ويهدِمُ باطلاً ويقيمُ حقّا
ويُضحِكُ أُنسهُ مَنْ كانَ يبكي ... ويُسعِدُ لُطفهُ من كانَ يشقى
فيُشرِقُ منهُ بالتاريخِ صُبحٌ ... يقولُ اليومَ صارَ الشَرقُ شرقا

١٨٥٦

وقال في جواب رسالة الى عبد الباقي افندي العمري في بغداد

أَسأَلتَ بانَ الجزعِ وَهوَ يُصفّقُ ... كيفَ الثنيَّةُ بعدَنا والأَبرقُ
وهَلِ الأَجارعُ أُمطِرَت بعدَ النَوى ... يومًا وهل تلكَ الخمائلُ تُورِقُ
ياجيرَةَ الحيِّ الذينَ تحمّلوا ... ما كنتُ أَحسبُ أَننا نتفرّقُ
أَستغفِرُ اللّٰهَ العظيمَ بأَنني ... فارَقتُكم وبقيتُ حيًّا يُرزَقُ
ولَقد بكَيتُ على الدِيارِ فساءَني ... دَمعٌ لهُ سعةٌ وطرْفٌ ضيّقُ
والدَمعُ من بعضِ المياهِ قليلُهُ ... يُروِي ولكنَّ الكثيرَ يغرّقُ
هل مُبلغٌ عنّي التحيّةَ ظَبيةً ... عن مسكِ نكهتِها اللطائمُ تُفتَقُ
تلقَى معاطِفَها الغصونُ فتنثني ... خجَلاً وتلقاها النجومُ فتخفِقُ
بَدَوِيَّةٌ من آلِ مُرَّةَ قد حلا ... نهبُ القُلوبِ لَها بطرْفٍ يَسرِقُ
مِن خالِ وَجنتِها بَلاءٌ أَسوَدٌ ... من وَشمِ بُلجتِها عدوٌّ أَزرَقُ
يا دُرَّةَ الغوّاصِ طيَّ خبائِها ... وَيحي متى هذا الخِباءُ يُمزَّقُ

لو تُطبَعُ الأَحداقُ فيهِ رَأَيتَهُ كالدِرعِ من حَدَقٍ اليهِ تُحدِّقُ
إِنْ لم تُصِبْ قَدَمٌ اليكِ تطرُّقًا خوفَ الرقيبِ فللقُلُوبِ تطرُّقُ
قد كانَ لي قلبٌ فطارَ بهِ الهوَى فأَنا بِلا قلبٍ أَهيمُ وأَعشَقُ
وَجدٌ توَقَّدَ في خِلالِ أَضالعٍ قد كانَ يحرِقُها فصارَتْ تُحرِقُ
قد أَيمنَ الصبرُ الذي أَعددتُهُ للنائباتِ ورَكْبُ شوقي معْرِقُ
شَوقٌ يَهيجُ الى الذي يَنسَى بهِ شَوقَ الجَمالِ الهائمُ المُستغرِقُ
العالمُ الصدرُ الكبيرُ الشاعرُ الـ فَطِنُ الشهيرُ الكاتبُ المُتأَنِّقُ
عَلَمٌ يمدُّ على العراقِ رواقَهُ وبهِ العواصمُ تستَظِلُّ وجِلَّقُ
أَبقَى لهُ الباقي الذي هوَ عبدُهُ شِيَمًا من الفاروقِ لا تتفرَّقُ
منها الوَداعةُ والزَهادةُ والتُقَى والعَدلُ والحِلمُ الذي لا يَقلَقُ
بدرٌ بأُفقِ الشَرقِ لاحَ وضوءُهُ في الخافِقَينِ مغرِّبٌ ومشرِّقُ
ما زالَ في شرَفِ الكمالِ فلم يكُنْ نَقصٌ ولا خسفٌ بهِ يتعلَّقُ
هوَ ذلكَ الرَجلُ الذي آثارُهُ لا تُقتفَى وغُبارُهُ لا يُلحقُ
ولهُ الفتوحُ اذا تمرَّدَ ماردٌ في كلِّ مُعضلةٍ وعزَّ الأَبلقُ
تأْتي نَفائِسُهُ اليَّ سوابقًا وهوَ الذي في كلِّ فضلٍ يَسبِقُ
ولعلَّها كالصبحِ يَسبقُ شمسَهُ والشمسُ تدنو بعدَ ذاكَ فتُشرِقُ
سُرَّتْ برُؤْيةِ خطِّهِ العينُ التي أَبدًا لرُؤْيةِ وَجهِهِ تتشوَّقُ

أَثَرُ الأَحبةِ يُستلَذُّ بــهِ كما   يَلتَذُّ وَسنانٌ بطيفٍ يَطرُقُ
عَمِرَتْ فوائدُهُ البعيدَ بنيلِها   مثلَ القريبِ ونيلُها يتدفقُ
كالبحرِ يُهدِي من جواهرِهِ الى   مَنْ لا يراهُ كمَنْ بهِ يتعمقُ
يا أَيُّها القمرُ الذي من دُونِهِ   طَبَقُ المَفاوِزِ لا السحابُ المُطبِقُ
ان كُنتَ قد أَبعدتَ عنَّا نازحاً   فالبعدُ أَشجى للقُلُوبِ وأَشوَقُ
أُثني عليكَ كأَنَّني متفضِّلٌ   ولكَ التفضُّلُ عندَ من يتحققُ
لو لم يكُن لكَ ما نطقَتْ بمدحِهِ   فترَى بماذا كانَ شعري ينطِقُ

وقال في جواب تقريظٍ لكتابهِ مجمع البحرين من الشيخ
شهاب الدين العمري في بغداد

سَلِ ابنةَ القومِ هل تدري بما صنعَتْ   أَلحاظُها بفُؤادٍ فيهِ قد رتَعَتْ
مليحةٌ قَطَعَتْ من مُهجتي طرَفاً   وليتَها حاسبتْني بالذي قطعَتْ
صُبحٌ اذا سفرَتْ غُصنٌ اذا خطرَتْ   ظَبْيٌ اذا نفرَتْ مِسكٌ اذا سطعَتْ
أَجفانُها خلَعَتْ سقماً عليَّ ولا   لَوْمٌ عليها فمن أَثوابِها خلعَتْ
لَئِنْ تكُنْ عن سوادِ العينِ غائبةً   فإِنَّها في سوادِ القلبِ قد طلَعَتْ
وإِن أَتى من شِهابِ الدينِ مُقتبساً   كتابُ أُنسٍ وقدغابَتْ فلا رجعَتْ
حيَّا الحيا أَرضَ زَوْراءِ العراقِ ضُحًى   فتلكَ أَرضٌ لأَهلِ الفضلِ قد جمعَتْ
لَئِنْ مضَت دَولةُ المُلكِ القديمِ بها   فدولةُ العلمِ منها قطُّ ما انقطعَتْ

فيها الرجالُ المشاهيرُ الذينَ بهم ... منارةُ العلمِ فوقَ النجمِ قد رُفِعت

من كلِّ أَبلجَ واري الزندِ في يدهِ ... أَقلامُ صدقٍ بأَمرِ اللهِ قد صدَعت

كلُّ البلادِ وان جلَّتْ محاسنُها ... عقدٌ فريدتهُ بغدادُ قد وُضِعت

تَسعى اليها القوافي السائراتُ كما ... تَسعى الى الكعبةِ الحُجَّاجُ حين سعت

أَرضٌ تتوقُ الى مرْأَى محاسنِها ... عيني لكثرةِ ما أُذْني بها سَمِعت

حَسبتُها فلكاً إِذْ قيلَ إِنَّ بها ... ذاكَ الشهابَ الذي أَنوارُهُ لمعت

ماذا أُقرِّظُ من ذاكَ المقامِ على ... تقريظهِ لمقاماتي التي طُبِعت

ليسَ الشهادةُ من ضعفي بنافعةٍ ... لكن شهادتُهُ تلكَ التي نفعت

وقال يجيب اسعد افندي طراد عن ابيات ارسلها اليهِ

أَتتني بلا وعدٍ وقد نضتِ الحُجْبا ... فهاتيكَ أَحلى زورةٍ تنعشُ الصبّا

بذلتُ لها عيني وقلبي كرامةً ... فصارتْ لها عيناً وصارتْ لهُ قلبا

مضمَّخةٌ بالمسكِ معسولةُ اللمى ... منعَّمةُ الخدَّينِ تُصبي ولا تُصبى

أَقولُ لها عندَ الزيارةِ مرحباً ... ويا حبَّذا لو صادفتْ منزلاً رحبا

حَبانا بها عذراءَ مُترفةَ الصبى ... فتىً نالَ حلمَ الشيخِ من قبلِ أَنْ شبّا

أَتتنا بمدحٍ لم تكنْ صدقتْ بهِ ... وتغضبُ إِنْ قُلنا لقد نطقتْ كذبا

لقد سبقَ القومَ الطراديُّ أَسعدٌ ... الى قصبِ السبقِ الذي حازهُ غَصبا

تلقَّفَ فنَّ الشعرِ من قبلِ درسهِ ... وخاضَ المعاني قبلَ أَنْ يقرأَ الكُتُبا

يُطارِحُني الشعرَ الذي فرَّ من يدي وقد سلَّ شَيْبي فوقَ مفرِقهِ عضبْا
اذا شابَ رأسُ المرءِ فالشيبُ لاحقٌ بهمّتهِ حتّى يوسّدَها التُرْبا
رَعَى اللهُ أيّامَ الصبآءِ فإنّها من العَيشِ غُصنٌ كانَ معتدِلاً رَطْبا
وما كلُّ ذي رُوحٍ بحيٍّ حقيقةً فمَنْ عاشَ في نَحْبٍ كمَنْ قد قضَى نَحْبا
سقَى ابْنَ ابي الخَيرِ السحابُ فإنّهُ هوَ الخيرُ نَستَسقِي بطلْعتِهِ السُحْبا
اذا ما تأمَّلْنا جَمالَ صِفاتِهِ نَرَى عَجَبًا فيهِ وليسَ نَرَى عُجْبا
لَقد كَثُرَتْ في الناسِ حُسّادُ فضلهِ ولكنْ لعَمري ما حَسِبْنا لَهُمْ ذَنبا
على مِثلِ ما قد نالَهُ يُحسَدُ الفتَى وماذا يَضرُّ الحاسِدُونَ فلا عتْبا
اذا أوجبَ اللهُ الكريمُ لعبدِهِ عَطآءً فمَنْ ذا يستطيعُ لهُ سلْبا

وقال يجيب السيّد حسين بيهم عن ابياتٍ امتدحهُ بها

كثيرُ العمرِ في الدُنيا قليلُ فماذا ينفَعُ العُمرُ الطويلُ
وأحوالُ الفتى في الدهرِ شتّى ولكنْ ايُّ حالٍ لا تحولُ
لَقد هانَ الغِنَى والفقرُ عِندي لعلمي أنَّ كلَّهما يزولُ
اذاظَفِرَتْ يدي بكَفافِ عَيْشٍ فماذا بعدَهُ تلكَ الفُضولُ
أَسَرُّ العيش في الدُنيا حياةٌ رَضيتَ بما لهُ فيها حصولُ
وأتعَبُ حالةٍ همٌّ طوالٌ وليسَ ورآءها باعٌ طويلُ
وأطيَبُ كلِّ كأسٍ كلُّ كأسٍ اليها طبعُ شاربِها يميلُ

وأَحسَنُ ما يُسَرُّ بهِ خليلٌ　　سُطورٌ قد حباهُ بها الخليلُ
حَبا الحَسَنَ الحُسَينُ فقلتُ هذا　　جميلٌ قد أَتاكَ بهِ الجميلُ
كرِيمٌ من كريمٍ من كِرامٍ　　لهم في المجدِ فَرْضٌ لا يَعُولُ
يُقابِلُنا بوَجْهِ فتىً ولكنْ　　تُقصِّرُ عن مدارِكِهِ الكُهُولُ
وما صِغَرُ الجُسومِ يَضُرُّ شيئاً　　اذا كَبُرَتْ بجانِبِهِ العقولُ
تَهلَّلَ بالمكارمِ أَرْيَحِيٌّ　　كمَنْ لَعِبَتْ بعِطْفَيهِ الشَّمُولُ
لهُ اللُّطفُ الذي قد رَقَّ حتى　　يكادُ على مَعاطِفِهِ يَسِيلُ
تَوَسَّعَ في العُلُومِ فقُلتُ رِيفٌ　　وأَوسعَ في الكلامِ فقلتُ نِيلُ
اليهِ كلَّما شئنا سبيلٌ　　وليسَ الى معارِجِهِ سبيلُ
لهُ في كل شِنْشِنةٍ حَسُودٌ　　وليسَ لهُ بشِنْشِنةٍ عَذُولُ
رأَينا دُرَّةً في نظمِ عِقدٍ　　وسوفَ الى فريدتهِ تأُولُ
نَرَى فيها الأَدِلَّةَ كلَّ يومٍ　　وحَسْبُ الحكمِ أَنْ يَرِدَ الدليلُ

وقال يمدح الامير امين رسلان معرّضاً بذكر واقعةٍ جرت

مضَى زَمَنُ الصِبَى فَدَعِ التَصابي　　ولا تَبْغِ الشَرابَ منَ السَرابِ
ودَعْني من أَماني النَفْسِ إِنّي　　رَضِيتُ من الغَنيمةِ بالإِيابِ
ظَلَفتُ عنِ ارتِكابِ العارِ نفسي　　وعِفْتُ دَلالَ سَلْمَى والرَبابِ
اذا هجَرَ الحبيبُ لغيرِ ذَنْبٍ　　فذاكَ الذنْبُ أَولى بالعِقابِ

اذا زُرتُ الصديقَ ولم يَزُرْني فذلكَ كالخطابِ بلا جوابِ
اذا كَثُرَت خبائثُ جارِ سوْء ففرْقتهُ أَجلُّ منَ العتابِ
على الدُنيا السَلامُ فإنَّ قلبي عن الأَهواءِ مشغولُ الشعابِ
لقد أَلقى الأَميرُ عليَّ ظِلاً فقلبي عن سِواهُ في حجابِ
انا عبدٌ لدولتهِ ولكن أَعيبُ عليهِ تحريرَ الرقابِ
أُردِّدُ مدحَهُ مثلَ المُصلّي يمرُّ مُردِّدًا أُمَّ الكتابِ
وانّي غرسُ نعمتهِ قديمًا نشأْتُ بها كأغصانِ الروابي
سقاني ماؤُها كأْسًا طهورًا فما أَسفي على مطرِ السحابِ
كريمٌ لا يضيعُ لديهِ حقٌّ فقد سُمّي أَمينًا بالصوابِ
وليسَ يخُلُّ في الدُنيا بشيءٍ لغيرِ المالِ من حفظِ الصحابِ
يَعيشُ بظلّهِ مَن عاشَ منّا ويقضي تحتهُ ميتُ الترابِ
ويُدرِكُنا نداهُ حيثُ كنّا على حالِ ابتعادٍ واقترابِ
وتُكسِبُنا مكارمهُ ارتفاعا كصفرٍ زادَ في رقمِ الحسابِ
فدامَ نداهُ يقرعُ كلَّ بابٍ ويأْتيهِ الثنا من كلِّ بابِ

وقال في جواب ابياتٍ بعث بها اليهِ محمد عاقل افندي
كاشف زاده من الاسكندرية

لمّا رأَيتُكَ ترعى ذِمَّةَ العرَبِ علمتُ أَنَّكَ منها خالصَ النَسبِ
وكيفَ تُنكَرُ في الأَعرابِ نسبتهُ فتىً لهُ عُمَرُ الفاروقُ خيرُ أَبِ

يا حافظَ العهدِ في سرٍّ وفي عَلَنٍ وحافظَ الوُدِّ عن بُعدٍ وعن كَثَبِ
أَرَى رسائِلَكَ البيضاءَ لو عُصِرَت منها المَوَدَّةُ سالَتْ بالنَدَى الرَطِبِ
بيني وبينَكَ عهدٌ لا يُغَيِّرُهُ بُعدُ الدِيارِ وهولُ الحَرْبِ والحَرَبِ
إن لم يَكُنْ بينَنا في قومِنا نَسَبٌ قِدماً فقد جمَعَتْنا نِسبةُ الأَدَبِ
ما لي وللدارِ إِنْ شَطَّت فمغرِسُنا طَيَّ الترائِبِ لا مطويَّةُ التُرُبِ
اذا ظَفِرتُ بقلبٍ غيرِ مبتعدٍ فما أُبالي بربعٍ غيرِ مُقتَرِبِ
لا أَوحَشَ اللهُ مِمَّن ظَلَّ يُؤْنِسُني طُولَ المَدَى بورودِ الرُسْلِ والكُتُبِ
لو كُنتُ أَدري لهُ شَخصاً أُمَثِّلُهُ لَكانَ في الوَهْمِ عن عينيَّ لم يَغِبِ
يا عاقلاً عقَلَتْ قلبي مودَّتُهُ لا أَطلَقَ اللهُ هذا الأَسرَ في الحِقَبِ
ملَكْتَني ببديعِ اللُطفِ منكَ فإِنْ بَغَى سِواكَ اقتناصي كُنتُ كالسَلَبِ
يا حَبَّذا أَرضُ مِصرٍ والَّذينَ بها وحبَّذا نَهلةٌ من نيلِها العَذِبِ
وحَبَّذا نَسَماتٌ طابَ عُنصُرُها وإِن يكُنْ عُنصُرُ الأَيَّامِ لم يَطِبِ
صَبرًا على نَكَدِ الدُنيا التي طُبِعَت على مُعاقَبَةِ الأَحداثِ والنُوَبِ
والصبرُ أَنفَعُ ما داوَى الجريحُ بهِ جُرحَ الفُؤَادِ وأَهدَى الطُرْقِ للأَرَبِ
ما ليسَ تَقطَعُهُ الأَسيافُ يَقطَعُهُ مَرُّ الزَمانِ كقَطعِ النارِ للحَطَبِ

وقال في جواب رسالةٍ بعث بها اليهِ صديقٌ لهُ من البلاد الافرنجية

قد عاهَدَ الدهرُ أَهليهِ فما غَدَرا أَنْ لا يُديمَ لَهُم صفْوًا ولا كَدَرا
دَهرٌ يُقلِّبُ أَحوالَ العِبادِ ومَن رأَى تَقلُّبَهُ في نفسِهِ عَذَرا

شمسٌ تغيبُ ويبدو بعدها قمرٌ　وتارةً لا نرى شمساً ولا قمرا

والناسُ بين نزيلٍ إثرَ مرتحلٍ　وراحلٍ يقتفي الباقي له أثرا

يا ذاهباً حيثُ لا ندري له خبراً　تفدي لنا ذاهباً ندري له خبرا

قد أوحشَ الشرقَ لمَّا غابَ عنه كما　ألقى على الغربِ أنساً حيثما حضرا

هو الحبيبُ المحبُّ الصادقُ الثقةُ الـ　وافي الذي بين أهلِ الحُبِّ قد ندرا

فؤادُهُ الماءُ ليناً غير أنَّ به　عهداً كنقشٍ قدِ استودعتهُ حجرا

يزيدُ مرُّ الليالي في مودّتهِ　كالغصنِ يوماً فيوماً طالَ وانتشرا

وإن غفلتُ لضعفي هبَّ منتبهاً　وإن نسيتُ مواثيقَ الهوى ذكرا

جاءت رسالتهُ الغرّاءُ يحملها　فُلكُ الدخانِ كغيمٍ يحملُ المطرا

أروت ظما القلبِ لكنّي غرقتُ بها　في بحرِ منّتهِ الطامي الذي زخرا

هيَ الكتابُ الذي سمَّيتهُ صدفاً　فيها الكلامُ الذي سمَّيتهُ دررا

قامت تمثّلُ لي أنسَ اللقاءِ بهِ　من حيثُ كانت تسرُّ السمعَ والبصرا

يا أيُّها الرّاحلُ الميمونُ طائرُهُ　أرى ودادكَ لا يستعملُ السفرا

لكَ المطوّلُ من شوقِ المحبِّ وإنْ　كانَ الكتابُ الذي يهديهِ مختصرا

وقال في جواب ابياتٍ بعث بها اليهِ الشيخ ابرهيم
سراج الدين من علماءِ الازهر

هل للذي في حشاهُ حزنُ يعقوبِ　من حسنِ يوسفَ يرجى صبرُ أيّوبِ

وكيفَ صبرٌ بلا قلبٍ يقومُ بهِ　فقلبُ كلِّ محبٍّ عندَ محبوبِ

مَضَى الزمانُ على أَهلِ الهَوَى عَبَثاً ... فلم يَكفُّوا ولا فازُوا بمطلوبِ

تَطيبُ أَنفُسُهُمْ تحتَ الظَلامِ على ... وَعدِ الخَيَالِ وتَنسَى وَعْدَ عُرقوبِ

كلُّ المِلاحِ فِدَى خَودٍ ظَفِرتُ بها ... تخلو عذُوبتُها من كُلِّ تعذيبِ

يَزينُها الحِبرُ فوقَ الطِرْسِ لا حِبَرٌ ... تحتَ الحلَى وَطِرازٌ في الجَلابيبِ

مَحجوبةٌ تحتَ أَستارٍ تَغيبُ بها ... ونُورُها كالدراري غيرُ محجوبِ

عَلِمتُ أَنَّ عَرُوساً ضِمْنَ هودَجِها ... لَمَّا تَنَسَّمتُ منهُ نَفْحَةَ الطِيبِ

هَدِيَّةٌ جادَ مُهدِيها عَلَيَّ كما ... تُهدَى عِطاشُ الرُبى قَطْرَ الشآبيبِ

جاءَت على غيرِ ميعادٍ لزَوْرَتِها ... وأَعذَبُ الوَفْدِ وَفدٌ غيرُ محسوبِ

كريمةٌ من كريمٍ عَزَّ جانبُهُ ... يا حَبَّذا كاتبٌ منهُ كمكتوبِ

أَثنَى عَلَيَّ بما لا أَستطيعُ لهُ ... شُكرًا فأُلقي اليهِ عُذرَ مغلوبِ

حَيَّا الصَبا أَرضَ مِصرٍ والَّذِينَ بها ... وجادَها كلُّ هَتَّانِ الأَساكيبِ

في أَرضِها غابةُ العِلمِ التي سَمحَتْ ... لِغيرِها بالشَظايا والأَنابيبِ

على الخليلِ سَلامُ اللهِ تَقرأُهُ ... ملائكُ العَرْشِ من أَعلَى المَحاريبِ

ومَن لَنا بسَلامٍ نَلتَقِيهِ بهِ ... وبَرْدِ شوقٍ كتِلكَ النارِ مَشبُوبِ

هُوَ الأَديبُ الذي رَقَّتْ شَمائلُهُ ... وصانَهُ اللهُ من لَوْمٍ وتَثْريبِ

مُنَزَّهٌ عن فُضولِ القولِ مَنطِقُهُ ... في النَظمِ والنَثرِ مقبولُ الأَساليبِ

وأَحسَنُ الشِعرِ ما رَاقَتْ مَوارِدُهُ ... مستوفياً حَقَّ تهذيبٍ وتأْديبِ

ومن أَقامَ على الفاظِهِ حَرَساً ... مثلَ الشَكائمِ للجُرْدِ السَراحيبِ

وَمَن اذا عرَضَتْ في الناسِ تجربةٌ أغنتهُ عن شقّ نفسٍ في التجاريبِ
اليكَ يا ابنَ سراجِ الدينِ قد وفدتْ تبغي الضياءَ فتاةٌ للأعاريبِ
خطّارةٌ في سخيفِ البُرْدِ عاطلةٌ مدّت اليكَ بناناً غيرَ مخضوبِ
رفعتَ قدري بمدحٍ قد خفضتُ لهُ رأسي فناظرهُ سمعي بمنصوبِ
عليَّ شكرُكَ مفروضٌ أقومُ بهِ يامَن عليه مديحي غيرُ مندوبِ

وقال في مثل ذلك للشيخ محمود نوّار احد تلامذة مدرسة الاسكندرية

على رَسمٍ هاتيكَ الديارِ البلاقِعِ بقايا سلامٍ من بقايا الأضالعِ
بلينَ وأبلانا الزمانُ فكلُّنا رهينُ البلى حتّى شؤونُ المدامعِ
نزلنا لربّاتِ البراقعِ معهداً وأجفانُنا من دمعِها في براقعِ
تنوحُ حمامُ الأيكِ عندَ بكائنا ونبكي على نوحِ الحمامِ السواجعِ
نهارٌ تغشّاهُ ظلامٌ تشقُّهُ لنا زفراتٌ كالبروقِ اللوامعِ
ولم يكشفِ الظلماءَ من وحشةٍ سوى شهابٍ منَ الإسكندريّةِ طالعِ
كتابٌ دعوناهُ شهاباً لأنّهُ تجلّى بنورٍ لابنِ نوّارَ ساطعِ
أتاني على بعدٍ فأدّى ودائعاً اليَّ وكانَ الشوقُ إحدى الودائعِ
أجلُّ رجالِ الحبِّ في مذهبِ الهوى محبٌّ على بعدِ الديارِ الشواسعِ
وخيرُ كريمٍ من يكافي صنيعةً وأكرمُ منهُ من بدا بالصنائعِ
تحمّلتُ من محمودَ أكبرَ منّةٍ عجزتُ بها عن حمدِهِ المتتابعِ
تصفّحَ مطبوعاً فأثنى بطبعهِ جميلاً فأنشا صبوةً للمطابعِ

حَباني على بُعدِ المَدَى بِرِسالةٍ تَناوَلتُها بالقلبِ لا بالأَصابعِ
مَنَعتُ انصِرافَ العينِ عنها تَصبُّباً كما حالَ دُونَ الصرفِ بعضُ الموانعِ
أَتَتْ تَنجَلي بينَ اثنتَينِ وليسَ لي سِوَى مَهْدِ قلبٍ من صغارِ المَضاجعِ
ضعيفٌ يُبارِي قُوَّةً من جماعةٍ فوَهْنٌ على وَهْنٍ الى الوَهْنِ راجعِ
تَفضَّلَ بالمدحِ الذي هُوَ أَهلُهُ جميلُ ثَنآءٍ للمَدائحِ جامعِ
فكانَ لهُ فَضلانِ فَضلٌ على الثَنا وفَضلٌ على خُلقِ الرِضَى المُتَواضِعِ
أَلا يا بَعيدَ الدارِ قَلبُكَ قد دَنا الينا بمِلءِ العينِ مِلءِ المَسامعِ
اذا لم يَكُنْ بينَ القُلوبِ تَقَرُّبٌ فإِنَّ اقتِرابَ الدارِ ليسَ بنافعِ

وقال في مثل ذلك جواباً للشيخ حسن ابن الشيخ علي اللقاني
مفتي الحنفية في الاسكندرية

سَرَى جِنحَ ليلٍ والعُيونُ هواجعُ خَيَالٌ كَذُوبٌ عِندَهُ العَهدُ ضائعُ
خَيَالُ التي لو أُنذِرَت بمَسيرِهِ أَقامَتْ عليهِ أَلفَ بابٍ يُمانِعُ
فَتاةٌ حَكَتْ بدرَ الدُجَى غيرَ أَنَّها تَبيتُ وَرآءَ الحُجْبِ والبدرُ طالعُ
قدِ استُودِعَت قلبي فضاعَ ويا تُرَى مَتَى حُفِظَت عِندَ الحِسانِ الوَدائعُ
وأَينَ تُرَى الحُسنَى منَ الحَسَنِ الذي بطَلعتِهِ الإِحسانُ للحُسنِ شافعُ
هُوَ الصادقُ الخِلُّ الوَفيُّ الذي لهُ أَيادٍ جِسامٌ عِندَنا وصنائعُ
لهُ من قوافي الشعرِ جَيشٌ عَرَمْرَمٌ أَتَتْنا الى بيرُوتَ منهُ طلائعُ
قَوافٍ قَفَاها أُنسُهُ تابعاً لها كما تَبِعَتْ ما قَبلَهُنَّ التوابعُ

هيَ الزَهرُ لكنَّ الطروسَ كمائمٌ ... هيَ الزَهرُ لكنَّ السطورَ مطالعُ
لهَا منظرٌ في العينِ أسودُ حالكٌ ... ولكنَّهُ في القلبِ أبيضُ ناصعُ
حبانا بها طَلقُ البنانِ مهذَّبٌ ... كريمٌ هداياهُ اللآلي السواطعُ
أديبٌ بآياتِ البلاغةِ مفردٌ ... لبيبٌ لأشتاتِ الفضائلِ جامعُ
أخوالحزمِ ماضي الرأيِ في كلِ أمرهِ ... فليسَ لهُ في فعلهِ من يضارعُ
يظلُّ اليهِ مسندًا كلُّ طالبٍ ... وذاكَ لهُ بينَ البريَّةِ رافعُ
جزَى اللهُ ماءَ النيلِ خيرًا فإنهُ ... شرابٌ منَ الفردوسِ للناسِ نابعُ
شرابٌ لأهلِ اللهِ يروَى بهِ الظما ... ويروَى بما يرويهِ دانٍ وشاسعُ
كفَى اللهُ مصرًا عن منافعِ غيرِها ... وفي غيرِها تنبثُّ منها المنافعُ
محطُّ رحالِ العلمِ في كلِّ حقبةٍ ... هيَ الأمُّ والأقطارُ منها رواضعُ
أتوقُ الى تلكَ الديارِ ومن بها ... وهيهاتِ مالي في اللقاءِ مطامعُ
إذا قيلَ إنَّ المستحيلَ ثلاثةٌ ... فهذا لهاتيكَ الثلاثةِ رابعُ

وقال عند رجوع الخواجا نعمة الله الخوري من سفرٍ لواقعةٍ جرت لهُ

ماذَا يؤمّلهُ الحسودُ بجهدِهِ ... اذ يقصدُ المولَى كرامةَ عبدِهِ
واذا أرادَ اللهُ عونَ موفقٍ ... جعلت ملائكةُ السماءِ كجندِهِ
للهِ سرٌّ في العبادِ وحكمةٌ ... تدعُ الرشيدَ كغائبٍ عن رشدِهِ
يقضي بما يهوَى فسَلْ عن فعلهِ ... إن شئتَ لكنْ لا تسَلْ عن قصدِهِ

والدَهرُ كالبُستانِ بينَ رِجالهِ لا بُدَّ يُؤذِي الشَوكُ قاطفَ وَردِهِ
لو لم نَكُنْ ذُقنا مرارةَ صبرِهِ بالأَمسِ لم نعرِفْ حلاوةَ شَهدِهِ
لا تحمَدِ الأَمرَ الذي أبصرتَهُ حَتَّى يتِمَّ فقُمْ هُناكَ بحمدِهِ
واذا قبَضْتَ منَ الصَداقةِ دِرْهَماً كلِّفْ تَجاريبَ الزمانِ بنَقْدِهِ
إنَّ الصَديقَ هوَ المُقيمُ على الوَفا في وَقتِ ضَنْكِ العَيشِ لافي رَغدِهِ
أَهْلُ الصداقةِفي النُحوسِ قَلائلٌ والكُلُّ أَصحابُ الفتَى في سعدِهِ
ليسَ الجَميلُ لِمَنْ يُعاهِدُ صاحباً إنَّ الجَميلَ لِمَنْ يَقُومُ بعهدِهِ
لا يحفَظُ الوُدَّ السَليمَ لرَبِّهِ مَن لم يكُنْ للناسِ حافظَ وُدِّهِ
يا نِعمةَ اللهِ الذي لكَ نِعمةٌ من فَضلِهِ وكَرامةٌ من عندِهِ
وَعدَ الإلهُ الصابرِينَ بعونهِ لا تحسبَنَّ اللهَ مُخلفَ وَعدِهِ
كم قد تجَرَّدَ سيفُ رِجزٍ قاطعٌ سَحَرًا فأَمسى نائماً في غِمدِهِ
وَلَكَمْ تمزَّقَ من سَحابٍ فارغٍ قد كانَ يرجُفُ برقُهُ من رَعدِهِ
مَن عاشَ في هذا الزمانِ يعُوزُهُ صَبرٌ على حَرِّ الزمانِ وبرْدِهِ
لا يحْزُنُ المَرضُ الفتَى بقُدومهِ يوماً عليهِ كما يسرُّ بفَقْدِهِ
إنْ كُنتَ أَحسنتَ الوَفاءَ فهكذا قد أَحسنَ المَلكُ العظيمُ برِفدِهِ
شارَكتَهُ بالأَمسِ في أَتعابِهِ واليومَ أَنتَ شريكُهُ في مجْدِهِ

وقال يمدح الامير امين رسلان

ما بالُ تلكَ الشامةِ الخَضراءِ في النارِ وَهْيَ كأَنَّها في الماءِ

ومنَ العجائبِ أَنَّ نارًا قد بَدَت | في جنَّةٍ حمُتَ عن الشُهَداَءِ
يا ظَبيةً في الحيّ حول كِناسِها | سُمرٌ حففنَ بصعدةٍ سَمراَءِ
ما تَرتجي والحربُ دائرةٌ إِذا | قابلتِنا بالرايةِ البَيضاَءِ
لاَ تفتخرِ عيناكِ في سفكِ الدِما | فلَنَا عيونٌ سافكاتُ دِماَءِ
ودَعي مفاخرتي بحمرةِ وَجنةٍ | فقدِ انقلَبتُ بوَجنةٍ حمَراَءِ
في الخيمةِ الزَرقاَءِ بِتّ كأَنَّما | أَمسيت فوقَ القبَّةِ الزَرقاَءِ
ورأَيتِ عينَك في سوادِ ملابسٍ | فظَنَنْتِها صارتْ من الخُلَفاَءِ
مَهلاً عليكِ فإِنَّ حسنَكِ دولةٌ | ظَلَمَتْ فليسَ لهَا طويلُ بَقاَءِ
قدسُدتِ أطرافَ الرِجالِ فكيفَ لو | سُدْتِ الكِرامَ كسيّدِ الأُمَراَءِ
الوارثُ الشرَفَ الذي يغنيهِ عن | إِنشاَءِ مرتبةٍ ورفعِ بناَءِ
والمُنشئُ الحسَبَ الذي يغنيهِ عن | شَرَفٍ توارثَهُ منَ الآباَءِ
أَوفى وزادَ على القديمِ حديثُهُ | كصناعةِ التخميسِ للشعَراَءِ
وتأَلَّفتْ أَقلامُهُ وسيوفُهُ | فتشابَهَتْ في هيبةٍ ومضاَءِ
قد علَّمتهُ المَكرُماتِ جدودُهُ | فاستخدَمَ التعليمَ للأَبناَءِ
يجري على طُرُقِ الأَمينِ محمَّدٌ | كالشبلِ يقفو الليثَ في البَيداَءِ
في الشرقِ غربٌ للبلادِ كشرقِها | يَجلو بهِ القمرانِ عينَ الراَئي
قمرانِ ما للشمسِ يفرضُ منهُما | صبحٌ ولا للبدرِ وقتُ مساَءِ
شوقي الى تلكَ الربوعِ ومَنْ بها | شوقُ العليلِ الى شفاَءِ الداَءِ

تُهدِي لنا أَرَجَ النسيمِ فلا تَقُلْ أَرَجُ النسيمِ سرى من الزوراءِ
أَصفيتُ ساكنَها العزيزَ مودَّتي وعلى محبتهِ عقدتُ ولاءِي
لاَ يستطيعُ شِرَآءَ قلبي غيرُهُ فلهُ بقلبي شفعةُ الشُركاءِ
إِنْ لم أَزُرْهُ فقد تزورُ رسائلي شوقًا بكلِّ وصيفةٍ عذراءِ
فرضٌ كتسليمِ المُصلِّي عندنا إِهداءُ تسليمٍ لهُ ودُعاءِ
أَكثرتُ من مدحِ الأَميرِ فقال لي أَسرفتَ فاتْرُكْ فضلةً لسوآءِي
فأَجبتهُ دعْ في المناقبِ فضلةً للناسِ واحكُمْ بعدها بخطاءِي
يا ظالمَ الأشرافِ اذ قاسمتهم فأَخذتَ كلَّ سجيةٍ غرَّاءِ
اني رأَيتُ الشعرَ فيك يُطيعني فأَراكَ تُسعفُني على الإِنشاءِ
تُبدِي ليَ المعنى الذي أُثني بهِ وأَنا أَصُوغُ عليهِ لفظَ ثناءِي
فلكَ الجميلُ فذاكَ رُوحٌ جسمُها لفظٌ يُعَدُّ بها منَ الأحياءِ

وقال يمدحهُ

للشعرِ في كُلِّ عصرٍ مركبٌ خشنُ لا يستقلُّ عليهِ الراكبُ الوهنُ
يغرُّ بالفارسِ الطاغي فيركبهُ لكنْ تردِّيهِ عنهُ ليس يُؤْتمنُ
غارَ الرجالُ على أَبياتهِ طمعًا فكانَ أَكثرُهم من حظِّهِ الدِمنُ
نعدُّ منهم أُلوفًا ما بها حسنٌ حتَّى يُصادفَ منهم واحدٌ حسنُ
إِنَّ الجميلَ قليلٌ عزَّ مطلبُهُ من كُلِّ ما تشتهيهِ العينُ والأُذُنُ

فلا ترى من حصى الياقوت واحدةً حتى ترى ألف صخرٍ ما له ثمنُ
هذا هو الأمدُ الأقصى الذي قصرت عنه الجيادُ وكلَّت دونه الهُجُنُ
في كلِّ فنٍّ سواهُ كلُّ طائفةٍ قلَّ التفاوتُ فيها حين تقترنُ
أنا الخبيرُ بما في القومِ من سخفٍ لا يجهلُ السقمَ من بالسقمِ يُمتحنُ
واللهُ يعلمُ أنَّ الصمتَ أجملُ بي لولا حقوقٌ بهنَّ القلبُ مرتهنُ
عليَّ ما لا أكافيهِ بصنعِ يدٍ فقد أكافيهِ مما تصنعُ اللُّسُنُ
مدائحٌ هيَ فرضٌ لا انفكاكَ لهُ عندي وما دونها الأنفالُ والسُّنَنُ
أسوقها نحوَ بابٍ شادَ دولتهُ ملكُ العراقِ وشادت مجدهُ اليمنُ
غريبةٌ حيثُما حلَّت فإن نزلت بدارهِ فهناكَ الأهلُ والوطنُ
تلقى الأميرَ الذي تلقى بساحتهِ شخصاً هو الروحُ في أرضٍ هيَ البدنُ
ذاكَ الأمينُ الذي يرعى رعيتهُ بعينِ يقظانَ لا يلهو بها الوسنُ
قد جدَّدت لبني رسلانَ همتهُ في أرضِ لبنانَ ما لم تنسهُ عدنُ
ألقت لهُ الدولةُ العظمى بعصمتها فليسَ من همِّهِ قيسٌ ولا يمنُ
مهذَّبُ الخلقِ ما في خلقهِ أودٌ مطهَّرُ العرضِ ما في عرضهِ درنُ
في صدرهِ إذ تحلُّ النائباتُ بهِ بحرٌ من الرأي فيهِ تغرقُ السُّفُنُ
لي كلَّ يومٍ بهِ في الشعرِ قافيةٌ فليسَ ينفدُ حتى ينفدَ الزمنُ
خرائدٌ من بناتِ العُربِ سافرةٌ قبولُها منَّةٌ ممن لهُ المننُ
ما زلتُ أمدحُ نفسي حين أمدحهُ بأنَّني صادقٌ في القولِ مؤتمنُ

إنّي تعوَّدتُ قولَ الصدقِ ملتزماً ... حتَّى تطابقَ عندي السرُّ والعلَنُ

لا أمدحُ المرْءَ مهما عزَّ جانبهُ ... الا بما فيهِ كالقسْطاسِ إذ يزِنُ

عَيبٌ عليَّ وعيبٌ أن يُصدّقني ... إذا كذبتُ عليهِ الحاذقُ الفطِنُ

وقال يمدح الشيخ سعيد جنبلاط وكان قد توجه اليهِ في حاجةٍ سنة ١٢٧٣

لِمَنِ المَضاربُ في ظِلالِ الوادي ... مِثلُ الجبالِ تُشَدُّ بالأَوتادِ

تكسو الذبائحُ كلَّ يومٍ أرضَها ... بِدمٍ فتسْتُرهُ بثوبِ رَمادِ

حُفَّتْ بِغاباتِ الرِماحِ وإنَّما ... تلكَ الرِماحُ عَرينةُ الآسادِ

تَخشى اشتعالَ العُودِ منها اذ تَرى ... لَيلاً أسنَّتَها كورْيِ زِنادِ

تلكَ الدِيارُ ديارُ طَيٍّ حَوْلَها ... أحياءُ جُلهُمةٍ ورَبْعُ إيادِ

حَفَّت بها زُمَرُ الكُماةِ كأَنَّها ... دارُ السعيدِ تُحَفُّ بالأَجنادِ

دارٌ بأَرضِ الشُوفِ قام بِناؤُها ... وظِلالُ هيبتِها على بَغْدادِ

إنْ لم تكُنْ كلَّ البلادِ فإنَّها ... نِصفُ البِلادِ وفَخْرُ كلِّ بلادِ

هيَ كعبةُ القُصَّادِ بل هيَ منهَلُ الْ ... وُرَّادِ بل هيَ غُصَّةُ الحُسَّادِ

كَتبَتْ يمينُ الحقِّ في أَبوابِها ... لا تَنْسَ أنَّ اللهَ بالمرْصادِ

يَمَّمتُ صاحِبَها السعيدَ فقيلَ لي ... أنتَ السعيدُ ظفرْتَ بالإسعادِ

إن كنتَ طالبَ حاجةٍ فقدِ انقضَتْ ... ما لم تكُنْ ملطوخةً بفسادِ

أهديتهُ مثلَ العرُوسِ قصيدةً ... لكنَّها طلَعتْ بثوبِ سوادِ

حَزِنَت لذُلِّ الشعر حتى أيقنَت بمماتــهِ فتسربلَتْ بحِدادِ
ولقد هممتُ بتَرْكهِ لو لم تكُنْ غلبتْ عليَّ صَبابــةٌ بفُؤادي
ما كُنتُ أعرِفُ قبلَ معرِفتي بهِ نفسي فكان كتوأَمِ الميلادِ
قد قلَّ في هذا الزمان رواجهُ حتَّى ابتُلي مع رُخصهِ بكسادِ
ولئن تكُنْ كَثُرَتْ معايبهُ فقد سَتَرَت عليها قِلَّةُ النُّقَّادِ
يا واحدًا غلَبَ الأُلوفَ فأَصبحَت رُتَبُ الأُلوفِ رهينةَ الآحادِ
مَن كان يجْهدُ في قتالكَ نفسهُ فبسيْفِ ذُلٍّ لا بسيفِ عنادِ
إنّي دعوتُكَ فاستمعْتُ إجابةً بالقلبِ قبلَ الأُذْنِ عند بعادي
حاشاكَ أنْ لا تستجيبَ مُناديًا ونرى الإلهَ يُجيبُ حين تُنادي

وقال يرثي الامير سعيد ابن الامير خليل ابن الامير بشير الشهابي العظيم وكان قد توفي بغتةً

اذا طلَعَ النهارُ أرى الرجالا كما أبصرْتُ في الليلِ الخيالا
وأَعجبُ كيف تطوي الأَرضُ ناسًا لوِ اجتمعوا بها كانوا جبالا
كُرُورُ الدهرِ ينسخُ كلَّ حيٍّ كنُورِ الشمسِ اذ نسخَ الظلالا
تمرُّ الناسُ شخصًا بعدَ شخصٍ كما ترمي عنِ القوسِ النبالا
اذا أغلقتَ دُونَ الموتِ بابًا تناوَلَ ألفَ بابٍ كيفَ جالا
ومَن حذِرَ المنيَّةَ عن يمينٍ تدُورُ بهِ فتأْخذُهُ شمالا
منَ اللهِ السلامُ على أميرٍ دفَنَّا المجدَ معْهُ والجلالا

كَأَنَّ المَوتَ لم يَجسُرْ عليهِ مُجاهَرَةً ففاجَأَهُ اُغتيالا
فتىً كالسيفِ إِرهاباً وقطعاً ومثـلُ الرُمح قدًّا واُعتِدالا
ومثلُ البَدرِ إِشراقاً وحُسناً ومثلُ الغَيثِ جُودًا واُبتِذالا
أَجَلُّ بني الكرام أَباً وجدًّا وأَكرَمُ رَهطِهم عمًّا وخالا
وأَحسنُهم وأَجملُهم فعالاً وأَوفَقُهم وأَصدَقُهم مقالا
كريمٌ من كريمٍ من كِرامٍ بنَوْا في المجدِ أَعمِدةً طِوالا
اذا عدَّ النَقيبُ لَهُمْ سَراةً يبيتُ بجَهْدِهِ يشكو الكلالا
سَليلُ أَميرِ لُبنانَ المُنادي أَنا لُبنانُ لَمَّا ملتُ مالا
اذا قُلتَ الأَميرُ ولم تُسمِّي فلا يحتاجُ سامعُكَ السؤالا
دَعَوناهُ الأَميرَ فما وَفَينا ولو قُلنا الوَزيرُ لما اُستحالا
سأَلنا تَحْتَ معْنٍ عن نظيرٍ لهُ هل قامَ فيهِ فقالَ لا لا
ستندُبُهُ البلادُ ومَنْ عليها الى أَنْ تستَعيضَ لهُ مثالا
وتُحصِي الناسُ ما فعلَتْ يداهُ ولكنْ بعدَ أَنْ تُحصِي الرِمالا
رَضِينا بالَّذينَ تَخلَّفوهُ فما رَضِيَ الزَمانُ ولا أَقالا
ولا تركَ الخليلَ لنا شِهاباً ولا تركَ السعيدَ لنا هِلالا
لِعَينِكَ يا سعيدُ عيونُ قومٍ سفكنَ منَ الجُفُونِ دماً حلالا
لَبِستَ اليومَ ثوباً من بياضٍ فزادَ جمالَكَ الباهي جمالا
الى دارِ السَعادةِ سِرتَ فوْرًا كأَنَّكَ عاشقٌ يَبغِي الوِصالا

رأيتَ العيشَ في الدُنيا طريقًا لهَا فاُختَرْتَ أقربَهُ مجالا

وقال يجيب الامير محمد ابن الامير امين رسلان عن ابيات ارسلها اليهِ

هٰذهْ عرُوسُ الزهرِ نقَّطَها الندَى بالدُرّ فاُبتَسمَتْ ونادَتْ معْبدَا
لمَّا تفتَّقَ سِترُها عن رأسِها عبثَ الحيآءُ بخدِّها فتورَّدا
فتحَ البنفسجُ مقلةً مكحولةً غمزَ الهزارَ بها فقامَ وغرّدا
وتبرّجتْ وُرْقُ الحَمامِ بطوْقِها لمّا رأينَ التاجَ يعلو الهدْهُدا
بلغَ الأزاهرَ أنْ ورْدَ جنانِها ملكُ الزُهورِ فقابلَتْهُ سُجَّدا
فرَنا الشقيقُ بأعيُنٍ محُمرَّةٍ غضبًا وأبدَى منهُ قلبًا أسْوَدا
بسطَ الغديرُ المآءَ حتّى مسَّهُ بَرْدُ النَسائِمِ قارصًا فتجعَّدا
ورأَي النَباتَ على جوانبِ أرضهِ مهْدًا رَطيبًا ليّنًا فتوَسّدا
يا صاحبيَّ تعجَبا لِملابسٍ قد حاكَها مَن لَم يَمُدَّ لَها يَدا
كلُّ الثيابِ يحُولُ لونُ صِباغِها وصِباغُ هٰذِهِ حينَ طالَ تجدَّدا
مابالُ هذا النهرِ يضربُ صدرَهُ ركضًا ويهدِرُ كالبعيرِ معُزْبِدا
هل غارَ من كفِّ الأميرِ محُمَّدٍ كم حاسدٍ حسَدَ الأميرَ محمَّدا
هذا الذي قتلَ العدوَّ بكيدِهِ وأذابَ من حرّ الصدُورِ الحُسَّدا
أعطاهُ خالقهُ الذي لم يُعْطِهِ أحدًا فإنْ حسدَ الحسودُ فما اعتدَى
أعطاهُ حِلمَ الشيخِ في سنِّ الفتَى حتّى لقد خِلناهُ أشيَبَ أمرَدا

وتَنى عيُوبَ الناسِ عنهُ جامعاً أَلطافَهم في شخصهِ فتفرّدا
عَجَباً نزيدُ على استماعِ حديثهِ عطشاً ونشهدُ أنهُ ريُّ الصدى
ونَرى حلاوتَهُ ونشهدُ أنَّهُ بحرٌ صدقنا إنَّهُ بحرُ الندى
ما زالَ كاللآلِ ينثرُ دُرَّهُ طوراً وينظمُ حينَ شاءَ منضَّدا
ينهى عنِ السكرِ المَعيبِ جليسهُ ويبيحُ ذاكَ اذا تفنَّنَ منشِدا
الكاتبُ اللبِقُ الذي في كفِّهِ قلمٌ رأى آياتهِ فتشهَّدا
كلُّ السوادِ ضلالةٌ لظلامهِ إلَّا سوادَ مدادِهِ فهوَ الهُدى
ياذا الذي يعطي الوُفودَ لسانُهُ دُرَراً وتُعطي راحتاهُ العسجَدا
وَفَدَتْ اليكَ قصيدةٌ خيَّرْتُها فتخيَّرَتْ دُرَّ الجوابِ مقلَّدا
هل أنتَ ترضاني بصدقِ مودَّةٍ عبداً فإني قد رضيتُكَ سيِّدا
ما زِلتُ مُستنِداً اليكَ محدِّثاً فكأنَّني خبرٌ وأنتَ المُبتدا

وقال يرثي فارس بن طنوس الشدياق وكان غلاماً باهر النباهة

أَسَفاً لمَنْ قد ماتَ قبلَ مماتهِ لا بل لعَمْري ماتَ قبلَ حياتهِ
لم يَدْرِ طَعْمَ العيشِ منتبِهاً لهُ كالحيِّ حتَّى ذاقَ طعمَ وفاتهِ
هذا غُلامٌ كالكهولِ فكيفَ لو بلَغَ الشبابَ وخاضَ في فلَواتهِ
ما زالَ ينحتُ ذِهنُهُ من قلبهِ حتَّى براهُ فكانَ شرَّ عداتهِ
نهنِهْ دُموعَكَ يا أباهُ فقد جرَى ما قد جرَى ومضَى على عِلّاتهِ
أَشقَى الوَرَى عيناً وأَضيعُ مدمعاً مَن قد بكَى للأمرِ بعدَ فواتهِ

قد كانَ قبلَ البَينِ أهلاً للبُكا ... اذ لم يَكنْ أمَلٌ بطولِ ثَباتهِ
عَهدي بهِ أنْ لا يعيشَ نَظيرُهُ ... فحسِبتُهُ قد جفَّ منذُ نباتهِ
اذ لم يجدْ في الناس أمثالاً لهُ ... طلبَ الملائكَ فهيَ من طغماتهِ
ولقد رآهُ الدهرُ من آحادِهِ ... فلذاكَ لم يُدخلْهُ في عشراتهِ
يا صاحبَ السبعِ السنينَ ودونها ... ماذا تركتَ لشيخنا في ذاتهِ
أنتَ الغريبُ كما نراكَ وهكذا ... شملُ الغريبِ يكونُ قربَ شتاتهِ
قدضاقَ جسمكَ عن مدى النفسِ التي ... ضغطَت هيا كِلها جميعَ جهاتهِ
فمضَت الى الموعودِ من غاياتِها ... ومضى الى المعهودِ من غاياتهِ
هذا الذي تركَ الأبُ الأقصى لنا ... لكن لحظِ بنيهِ حظُّ بناتهِ
كأسٌ على الغلمانِ يعرِضُ تارةً ... قبلَ الشيوخِ لسوءِ رأيِ سقاتهِ
يا أيها القبرُ الذي استودعتَهُ ... أبشرْ فما من قائلٍ لكَ هاتهِ
إعطفْ عليهِ فأنتَ حقّاً أمُّهُ ... وازجرْ ثراكَ مؤدِّباً حشراتهِ
واحرصْ على ذاكَ اللسانِ فإنّهُ ... قد كانَ يسقي الشهدَ من كلماتهِ
لكِ أمُّهُ ربّتهُ فاشكرْ فضلَها ... واشكرْ أباهُ فذاكَ من حسناتهِ
يا طالما سهرَت عليهِ فقلْ لها ... ها قد أمنتِ اليومَ من يقظاتهِ
لا تخلعي ثوبَ السوادِ لأجلهِ ... ما دامَ تحتَ اللحدِ في ظلماتهِ
لمّا رآكِ وقد دعوتِ بفارسٍ ... سبقَ الرجالَ وجدَّ في خطواتهِ
لا تنكري هذا القضاءَ بموتهِ ... فلقد جرى فيهِ على عاداتهِ

بَلَغَ الكَمالَ كطاعنٍ في سِنِّهِ   فيَكُونُ ذلكَ مُنتَهى أوقاتِهِ

وقال يرثي بعض الفضلاء

ان لم يكُنْ لكَ في نَقْدِ الرِجالِ يدٌ   فانظُرْ الى الموتِ كيفَ الموتُ يَنتَقِدُ
يَدُورُ في الارضِ حوْلَ الناسِ مُلتمِساً   كريمَ قومٍ ولا يَرضَى بما يجِدُ
جبّارُ صيدٍ يريدُ الصقرَ مفتخِرًا   بهِ فان لم يجِدْهُ يُرضِهِ الصرَدُ
اذا انتضى سيفَهُ فالرأسُ موردُهُ   وان رَمى السهمَ فليستهدِفِ الكبِدُ
يا أيُّها المَلِكُ المرهوبُ جانبُهُ   هذا هوَ المَلِكُ المرهوبُ اذ يَفِدُ
يا أيُّها الأسَدُ الجاني بسطوَتِهِ   على ضواري الفَلا هذا هوَ الأسَدُ
يا أيُّها البَطَلُ الشاكي السِلاحِ ترَى   أينَ السِلاحُ وماذا يَمنَعُ الزَرَدُ
قد خانَ عهدَكَ ما ترجوهُ من عدَدٍ   اذا أتى الموتُ يوماً ماتتِ العدَدُ
مازالَ كلُّ ابنِ أُنثى مُنذُ فِطرَتِهِ   فريسةً بينَ أيدي الموتِ ترتَعِدُ
يامَنْ يقولُ غدًا دعْ عنكَ ذِكرَ غدٍ   فلَيسَ للمرْءِ في هذا الزَمانِ غَدُ
للموتِ كلُّ أَبٍ فوقَ التُرابِ مشَى   وكلُّ أُمٍّ وما ربَّتْ وما تَلِدُ
الى ترابٍ جُبِلْنا منهُ مرجِعُنا   نَظيرَ ماءٍ اليهِ يرجِعُ البَرَدُ
نَهتَمُّ في خِصبِ أجسامٍ نُنعِّمُها   ويَشكُرُ الدُودُ منَّا ما بهِ نَعِدُ
مَناحةٌ في دِيارِ المَيْتِ قائِمةٌ   ودعوةٌ في ديارِ القبرِ تحتَشِدُ
للدهرِ في كلِّ عينٍ دمعةٌ قطرَتْ   منهُ وفي كلِّ قلبٍ جمرةٌ تَقِدُ
متَى ترِدْ ان تعُدَّ السالِمينَ فضَعْ   صِفرًا على الطِرسِ حتى يحدُثَ العدَدُ

أَستودِعُ اللهَ مَن بالأَمسِ وَدَّعَني ... كُرهاً فوَدَّعَ قلبي الصبرُ والجَلَدُ
ما زالَ يَصحَبُنا دهراً ويُؤنِسُنا ... فما لهُ صارَ عنا اليومَ ينفرِدُ
قد نازَعتنا المَنايا شخصَهُ حسداً ... وَيلاهُ حتّى المنايا عِندَها الحسدُ
تسطُو علينا بلا كفٍّ ولا عَضُدٍ ... وليسَ ينفعُ منّا الكفُّ والعَضُدُ
قدغابَ في الشرقِ بدرٌ في الضُحى عَجَباً ... فأَبصرَ الناسُ منهُ غيرَ ما عهِدوا
لوأَنصَفَتهُ دراري الأُفقِ ماطَلَعَتْ ... حزناً عليهِ وغشّى أُفقَها الكمَدُ
يا أَيُّها المَضجَعُ الميمونُ طالعُهُ ... هل ضمَّ قصرٌ كمَنْ تحويهِ أَو بلَدُ
أَكرِمْ لكَ اللهُ ضيفاً قدظَفِرتَ بهِ ... فطالما أَكرمَ الضيفانَ اذ وَفَدُوا
واعرِفْ جلالةَ شخصٍ فيكَ قدعرَفَتْ ... مَقامَهُ كبَراءُ الناسِ والعمَدُ
واحرِصْ على كلِّ عَظمٍ من مَفاصِلِهِ ... فذاكَ من أَشرَفِ الآثارِ يعتقَدُ
يا مَنْ سكِرتَ وليسَ السكرُ عادتَهُ ... بخمرةٍ لم يُفِقْ من سكرِها أَحَدُ
أَراكَ بالقُربِ مني غيرَ مبتعِدٍ ... وأَنتَ أَبعدُ مَنْ في الأَرضِ يبتعِدُ
ما نومةٌ لكَ يومُ الحشرِ موعِدُها ... وَيحي وما غَيبةٌ ميعادُها الأَبَدُ
ما بالُ عينِكَ لا تنفكُّ مُغمَضةً ... جفونُها وبعيني لا بها الرمَدُ
هذِهِ هيَ النظرةُ الأُخرى نُزَوِّدُها ... فهل بزادِ حديثٍ منكَ نفتقِدُ
وهل تَرُدُّ على بُعدٍ تحيّتَنا ... وهل تُؤَدّى رِسالاتٌ لنا ترِدُ
عَلَوتَ يا أَيُّها العالي الى فلَكٍ ... قد طالَ منكَ الى ما فوقَهُ الرَصَدُ
أَنتَ الغريبُ ومَنْ لي ان يكونَ لنا ... غرائبٌ في أَساليبَ الرِثا جدُدُ

جادَتْ على قبركَ الأنواءُ باكيةً　　كأنَّما قد عراها الغمُّ والنَكَدُ
هذا هوَ المَنزِلُ الباقي وعُدَّتُـهُ　　هيَ الذخيرَةُ لا مالٌ ولا وَلَدُ

وقال يمدح الخواجا ابرهيم سيُّور الدمشقي حين حضر من الاسكندرية الى بيروت

دَعْ يومَ أمسِ وخُذْ في شأنِ يومِ غَدِ　　وأعدِدْ لنفسكَ فيهِ أفضلَ العُدَدِ
واقنعْ بما قسمَ اللهُ الكريمُ ولا　　تبسطْ يديكَ لنيلِ الرزقِ من أحَدِ
والبسْ لكلِّ زمانٍ بُردةً حضرَت　　حتى تُحاكَ لك الأُخرى من البُرَدِ
ودُرْ معَ الدهرِ وانظُرْ في عواقبهِ　　حذارِ أنْ تبتلى عيناكَ بالرمَدِ
متى ترَ الكلبَ في أيامِ دولتهِ　　فاجعلْ لرجليكَ أطواقاً من الزَرَدِ
واعلَمْ بأنَّ عليكَ العارَ تلبسهُ　　من عضةِ الكلبِ لا من عضةِ الأسَدِ
لا تأملِ الخيرَ من ذي نعمةٍ حدَثَت　　فهوَ الحريصُ على أثوابهِ الجُدُدِ
واحرِصْ على الدرِّ أن تُعطي قلائدَهُ　　مَن لا يميِّزُ بينَ الدرِّ والبَرَدِ
أعدى العُداةِ صديقٌ في الرخاءِ فان　　طلبتَهُ في أوانِ الضيقِ لم تجِدِ
وأوثقُ العهدِ ما بينَ الصحابِ لمَنْ　　عاقدْتَ قلباً بقلبٍ لا يداً بيَدِ
عليكَ بالشكرِ للمُعطي على هبَةٍ　　ودَعْ حسودَكَ يشوي فلذةَ الكبِدِ
لو كانَ يفعلُ في ذي نعمةٍ حسَدٌ　　لم ينجُ ذو نعمةٍ من غائلِ الحسَدِ
محضتُكَ النصحَ عن خُبْرٍ وتجربةٍ　　واللهُ سبحانَهُ الهادي الى الرَشَدِ
فاخترْ لنفسكَ غيري صاحباً فأنا　　شُغِلتُ عنكَ بما قد جدَّ في البلدِ

قد شرَّفَ اليومَ إبرٰهيمُ بلدتَنا ... كأنَّهُ الرُوحُ قد فاضَتْ على الجَسَدِ
أُهدَتْ الينا ضَواحي مِصرَ جَوْهرةً ... من مالِنا فهيَ قد جادَتْ ولم تجِدِ
مازالتِ الشامُ تشكو طُولَ وَحشتِهِ ... كالأُمِّ طالَتْ عليها غُربةُ الوَلَدِ
سُرَّت بزَوْرَتِهِ يوماً ونغَّصَها ... خوفُ الفراقِ فلم تَسلَمْ منَ الكَمَدِ
عليلةٌ من دواعي الشَوقِ حينَ دَرَى ... من لُطفهِ ما بها وافَى كمُفتقِدِ
لئن يكُنْ من حِماها غيرَ مُقتربٍ ... فقلبُهُ عن هواها غيرُ مُبتعِدِ
كريمُ نفسٍ يُراعي عهدَ صاحبِهِ ... فلا يُقصِّرُهُ طُولٌ منَ المُدَدِ
مُهذَّبٌ ليسَ في أقوالهِ زَلَلٌ ... وليسَ في فعلهِ عَيبٌ لمُنتَقِدِ
يقومُ بالأمرِ بينَ الناسِ مُنفرِداً ... والغيرُ قد كلَّ عنهُ غيرَ مُنفرِدِ
ويَحطِمُ المَنكِبَ الأعلى بهِمَّتهِ ... من قُوَّةِ الرأيِ لا من قُوَّةِ العَضُدِ
منَ الرجالِ رجالٌ عَدُّهم عبثٌ ... وواحدٌ قد كَفَى عن كثرةِ العَدَدِ
ما لي وما لنُجُومِ الليلِ أحسبُها ... اذا ظَفِرتُ بوجهِ البَدرِ في الجَلَدِ
أَهدَيتُهُ بِنتَ فكرٍ قد فتحتُ لها ... من حُسنِ أوصافِهِ كَنزاً بلا رَصَدِ
تمكَّنَت بعدَ ضُعفٍ من نَفائسهِ ... حتى ابتَنَتْ كُلَّ بيتٍ شامخِ العُمُدِ
كلُّ المَلابِسِ تَبلَى مثلَ لابِسِها ... ومَلبَسُ الشعرِ لا يَبلَى الى الأبَدِ
وأفضلُ المدحِ ما وازنتَ صاحبَهُ ... وَزنَ العَرُوضِ فلم تَنقُصْ ولم تَزِدِ

وقال في رسالةٍ الى صديقٍ لهُ معرِّضاً باغراضٍ في نفسهِ

مَنْ يَقرَبِ النارَ لا يَسلَمْ منَ الحَرَقِ ... فأُبعُدْ عنِ الناسِ واحذَرْهمْ ولا تَثِقِ

وأصبِرْ على نَكَدِ الدُنيا وكُنْ بطَلاً يلقى السيوفَ غداةَ الحربِ بالدرَقِ
إن كُنتَ قد ضِقتَ ذَرْعاً عن نوائِبِها فلا تخَفْ إنَّ لُطفَ اللهِ لم يَضِقِ
يَستَدرِكُ المَرْءُ ما يَبدُو لِناظِرِهِ واللهُ يصنعُ ما يخفى على الحَدَقِ
كم أَرعَدَ الجوُّ فاهتَزَّتْ جوانِبُهُ ثُمَّ انتهى الرَعدُ لم يَفعلْ سِوى القَلَقِ
ورُبَّما أَطبَقَت سُحْبٌ فما قطرَت إلاَّ كما يَنقَضِي البُحرانُ بالعرَقِ
لا يَيأَسَنَّ مريضٌ من سلامتِهِ ما دامَ في جسمِهِ شيءٌ من الرَمَقِ
كم ماتَ مَن كانَ يُرجى عيشُهُ فقضى وعاشَ من كانَ يُخشى موتُهُ فبَقِي
لِكلِّ ليلٍ صباحٌ نستضِيءُ بهِ فلا تدُومُ علينا ظُلمةُ الغَسَقِ
وآخِرُ الأَمرِ في ضُعفٍ كأَوَّلِهِ كما نرَى الشِبهَ بينَ الصُبحِ والشفَقِ
تَخالَفَ الناسُ في الدُنيا فما اتَّفَقوا إلاَّ على حبِّها الخالي من المَلَقِ
تَسابَقَت نحو كَسْبِ المالِ أَنفُسُهم ورِفعةِ الجاهِ مثلَ الخيلِ في الطلَقِ
والفقرُ أَفضَلُ من مالٍ حَمَلتَ بهِ ثِقْلاً من الهَمِّ يُبلِي العينَ بالأَرَقِ
والذُلُّ أَحسَنُ من مجدٍ لَبِستَ بهِ ذَمّاً من الناسِ مثلَ الطَوقِ في العُنُقِ
لا خيرَ في خَمرةٍ تحلُو لشارِبِها طَعْماً ولكن تَلِيها غُصَّةُ الشرَقِ
مَن لا يُقلِّبُ طرْفاً في عواقِبِهِ فَلَيسَ تأْمَنُ رِجلاهُ من الزلَقِ
قُلْ للَّذي مزَّقَ الديباجَ معتمِداً وباتَ يرقَعُ منهُ بالِيَ الخِرَقِ
لا تفتحِ البابَ للضِرغامِ محترِزاً منَ البَعوضِ فهذا أَعظَمُ الحُمُقِ
شَرُّ الجَهالَةِ ما كانتْ على كِبَرٍ تُسَوِّدُ الشَيبَ مثلَ الحِبْرِ في الوَرَقِ

وأَيسَرُ الجهلِ ما يَرتدُّ صاحبُهُ عنهُ كمن هبَّ منتاشاً من العمقِ
لا تعجبنَّ لسكرانٍ تراهُ صحا لكنْ لِمَنْ غاصَ في سكرٍ فلم يفقِ
إنَّ الثباتَ على عيبٍ أقمتَ بهِ عيبٌ جديدٌ سوى المغروسِ في الخُلُقِ
الناسُ بالوضعِ أشباهٌ وقد نشبتْ فيهم مباينةٌ من أكثرِ الطرُقِ
ماذا نؤمّلُ من نفعٍ اذا اتّفقتْ أسماؤنا والمسمّى غيرُ متفقِ
يا ليتَ لي بحرَ شكرٍ كي أخوضَ بهِ لكنْ أخافُ على نفسي من الغرقِ
شكرُ الذي ما بهِ عيبٌ سوى نعمٍ تتابعتْ منهُ مثلَ العطفِ ذي النسقِ
ذاكَ الذي كلَّما رُمتُ اللحاقَ بهِ في الحبِّ ألفيتُهُ قد جدَّ في السبقِ
وكلَّما كدرتْ عينُ الزمانِ صفا وكلَّما دنستْ نفسُ الزمانِ نقي
دلَّتْ على وُدِّهِ الصافي صنائعهُ كالمسكِ دلَّتْ عليهِ نفحةُ العبقِ
والحبُّ إنْ كانَ لا يأتي بفائدةٍ فذاكَ كالغصنِ لا يُجني سوى الورقِ
نرى منَ الناسِ أقواماً مودَّتُهمْ ترضي الفتى بلسانٍ خادعٍ ملقِ
تلكَ الجرادةُ في بحرٍ وإيمتنا من فاتهُ اللحمُ فليشبعْ من المرقِ

وقال يمدح احمد افندي الصلح

أتحسبُ من حمرِ الشقيقِ خدودُها ومن بعضِ رمَّانِ الجنانِ نهودُها
دهشتَ لما شاهدتَ منها مولَّهاً فأنقصتها من حيثُ جئتَ تزيدُها
فتاةٌ لعينيها جفونٌ مريضةٌ لكثرةِ ما تغزو وهنَّ جنودُها

سَمِعتُ بأَنَّ الخالَ يُحسبُ عبدَها فأَملتُ أَنْ تدنوْ كذاكَ عبيدُها
أَرى كلَّ حربٍ فيهِ للقوم هُدنةٌ سِوَى حربِ مَن تسطو على البيض سُودُها
وكلُّ مريضٍ يتَّقي اللهَ تائباً سِوَى جفنِها الطاغي بما لا يُفيدُها
نحيلةُ خَصرٍ مثلَ جسمي من الضنَى تَرِفُّ عليهِ مثلَ قلبي بنودُها
رأَيتُ قَضيبَ الخيزُرانةِ ذابلاً فأَيقنتُ أَنَّ الخيزُرانَ حسودُها
هَويتُ التي كم عندَها من دمٍ لنا تحَلَّى به مثلَ القلائدِ جيدُها
ومالَتْ بعطفي صبوةٌ لو تلاعبَتْ بخَيمتِها الشمَّاءِ مالَ عمُودُها
ولكنَّني ممن أَعَدَّ لدهرِهِ كتائبَ صبرٍ ليسَ يُحصى عديدُها
وعندي وَقارٌ من خلائقِ أَحمدٍ فجُزْتُ ولم تُمطِرْ عليَّ رُعودُها
خَلائقُ تَزدانُ السجايا بحُسنِها كما زيَّنتْ بيضَ النُحورِ عقودُها
اذا كانتِ الأَفلاكَ فهيَ نجومُها وان كانتِ الأَقمارَ فهيَ سُعودُها
كريمُ صفاتٍ لا يمرُّ قديمُها على مسمعٍ حتى يلُوحَ جديدُها
اذا أَصبحَتْ دُهْمُ الأُمورِ مريضةً شفَاها بإِذنِ اللهِ حينَ يعودُها
لهُ همةٌ في الحادثاتِ بعيدةٌ اذا راضتِ الأَعمالَ يدنو بعيدُها
تأَلَّفَ حسنُ الخَلْقِ والخُلقِ عندهُ وتلكَ اختصاصاتٌ عزيزٌ وجودُها
على وجهِهِ نورُ الجمالِ يزينُهُ طَلاقةُ بِشرٍ فوقهُ يَستفيدُها
ومن ذهنِهِ ماءُ السيوفِ وحدُّها ومن عزمِهِ في النائباتِ حديدُها
لقد صلحَ ابنُ الصلحِ للمدْحِ صادقاً فكانَ أَميرًا للقوافي يقودُها

لهَا بينَ أَيديهِ الكِرامِ مَواقِفٌ صِحاحٌ دَعاويها عُدولٌ شُهودُها
وقد شقَّ نظمُ الشعرِ عندي لِعلةٍ يَشُقُّ على قلبي الصبُورِ جحودُها
مِنَ الشعرِ مدحٌ قلَّ مَنْ يستحِقُّهُ وصنعةُ هجوٍ لستُ ممن يريدُها

وقال يجيب احد اصحابهِ عن ابياتٍ بعث بها اليهِ من البلاد الافرنجية

لَعَمْرُكَ ليسَ فوقَ الأَرضِ باقٍ ولا ممَّا قَضاهُ اللهُ واقِ
ومـا لِلمَرْءِ حَظٌّ غـيرُ قُوتٍ وثَوْبٍ فَوقَهُ عَقْـدُ النِطاقِ
وما للميْتِ إلاَّ قيـدُ باعٍ ولو كانَتْ لهُ أَرضُ العِراقِ
وكم يمضي الفِراقُ بلا لِقـاءٍ ولكنْ لا لِقاءَ بِلا فِراقِ
أَضلُّ الناسِ في الدُنيا سَبيلاً مُحِبٌّ باتَ منها في وِثاقِ
وأَخسَرُ ما يَضيعُ العُمرُ فيـهِ فُضولُ المالِ تُجمَعُ لِلرِفاقِ
وأَفضلُ ما اشتغَلتَ بهِ كِتابٌ جَليلٌ نفعُـهُ حُلوُ المَـذاقِ
وعِشرةُ حاذقٍ فَطِنٍ حكيمٍ يُفيدُكَ من معانيهِ الدِقاقِ
هُناكَ المجدُ يَنهَضُ من خُمولٍ بِصاحِبِهِ الى أَعلَى الطِباقِ
ويُنشي الذِكرَ بينَ الناسِ حتَّى يقومَ بهِ على قَدَمٍ وساقِ
مَضَى ذِكرُ المُلوكِ بكُلِّ عَصرٍ وذِكرُ السُوقَةِ العُلَماءِ باقِ
وكم عِلمٍ جَنَى مالاً وَجاهـاً وكم مـالٍ جَنَى حربَ السِباقِ
ومـا نَفعُ الدَراهِمِ مع جهُولٍ يُبـاعُ بدِرهَمٍ وقتَ النفَـاقِ

اذا حُمِلَ النُضارُ على نِياقٍ ... فأَيُّ الفخرِ يُحسَبُ للنِياقِ
وأَقبحُ ما يَكونُ غِنَى بخيلٍ ... يَغَصُّ وماؤُهُ مِلْءُ الزِقاقِ
اذا ملَكتْ يداهُ الفَلْسَ أَمسى ... رقيقاً ليسَ يَطمعُ في العَتاقِ
أَلاَ يا جامعَ الأَموالِ هَلاَّ ... جَمَعْتَ لها زَماناً لِافتِراقِ
رأَيتُكَ تَطلُبُ الأَبحارَ جهْلاً ... وأَنتَ تكادُ تَغرَقُ في السَواقي
اذا أَحرَزتَ مالَ الأَرضِ طُرًّا ... فما لكَ فوقَ عَيْشِكَ من تَراقِ
أَتأْكُلُ كُلَّ يومٍ أَلْفَ كَبْشٍ ... وتَلبَسُ أَلفَ طاقٍ فوقَ طاقِ
فُضولُ المالِ ذاهبةٌ جُزافاً ... كماءٍ صُبَّ في كأْسٍ دِهاقِ
يَفيضُ سُدًى وقد يسطو عليها ... فينقِصُ مِلْأَها عِندَ اندِفاقِ
مَضَت دُوَلُ العلومِ الزُهرِ قِدْماً ... وقامَتْ دَوَلةُ الصُفرِ الرِقاقِ
وأَبرَزَتِ الخَلاعَةُ معصميها ... وباتَ الجهلُ ممدودَ الرِواقِ
فأَصبحَ يَدَّعي بالسَبْقِ جهلاً ... زَعانِفُ يَعجِزُونَ عَنِ اللَحاقِ
اذا هلَكَتْ رِجالُ الحَيِّ أَضحى ... صبيُّ القومِ يَحلِفُ بالطَلاقِ
أَسَرُّ الناسِ في الدُنيا جهولٌ ... يُفَكِّرُ في اصطِباحٍ واغتِباقِ
وأَتعبُهُم رئيسٌ كلَّ يومٍ ... يكونُ لكلِّ ملسوعٍ كَراقِ
وأَيسرُ كلِّ موتٍ موتُ عبدٍ ... فقيرٍ زاهدٍ حَسَنِ السِياقِ
فليسَ لهُ على ما فاتَ حزنٌ ... وليسَ بخائفٍ ممَّا يُلاقي

وقال يمدح بعض الرؤساء

النَّاسُ لولا سَجَايا النفسِ أَشباهُ … فإنَّما كُلُّهُمْ تُرْبٌ وأَمواهُ

والبعضُ يُفرقُ عن بعضٍ بجَوْهَرِهِ … كاللفظِ يُفرَقُ عن لفظٍ بمعناهُ

هذا الذي دارَ بينَ الناسِ من قِدَمٍ … وهكذا قد اقامَ اللهُ دُنياهُ

لو كانتِ الناسُ خَلْقًا واحدًا بطَلَتْ … مَصالحُ العَيشِ وانْدَكَّتْ زَواياهُ

لولا السَماجةُ ضاعَ الحُسنُ مُنكسِرًا … فلم يكن لمليحٍ في الوَرَى جاهُ

للهِ في الخَلْقِ سِرٌّ ليسَ نُدرِكُهُ … وكيفَ يُدرِكُ عبدٌ سِرَّ مَوْلاهُ

لكلِّ أَمرٍ رِجالٌ يَصلُحُونَ لهُ … وكلُّ مرْءٍ لهُ أَمرٌ تَوَلَّاهُ

نالَ الرِئاسةَ مَولانا الرئيسُ ولو … رأَى لها غيرَهُ المُعطِي لَأَعطاهُ

سيفٌ اذا ما فَرَى عُنقًا سِواهُ بهِ … فَرَتْ بهِ الصخرَ عِندَ الضَربِ يُمناهُ

يَقضِي الحَوائجَ إِفرادًا وتَثْنِيةً … ولا يُثَنِّي المُنادِي حينَ ناداهُ

وتَنقُضُ البُؤْسَ بعدَ العَقْدِ راحتُهُ … وتَنظُرُ السِرَّ قبلَ الجَهْرِ عَيناهُ

ما زالَ يجلو ظَلامَ الظُلْمِ مُجتهِدًا … كالليلِ حينَ ضِياءُ الصُبحِ يَلقاهُ

ويَنصرُ العدلَ حتمًا وهوَ يَحْسَبُهُ … دِينًا لدُنياهُ او دِينًا لأُخراهُ

يُمسِي الأَمانُ ويُضحِي تحتَ رايتِهِ … كأَنَّما في حِماها كانَ مَنْشاهُ

مرفوعةٌ بعَمُودٍ تحتَ أَجنِحةٍ … منَ المَلائكِ رَفَّتْ فوقَ أَعلاهُ

جِئنا نُهَنِّيهِ بالفَوْزِ الجليلِ ومَنْ … أَصابَ في الرأْيِ هَنَّانا وهَنَّاهُ

فلا يزالُ قريرَ العينِ مُبتهِجًا … يَرعَى العِبادَ وعينُ اللهِ تَرعاهُ

وقال يمدح الامير امين رسلان

وَقَفْتُ مدحي فلا يَطْمَعْ بهِ أَحَدُ　　على الَّذي مِثلَهُ في الناس لا أَجِدُ
وليسَ مَدحي لهُ حبًّا وتَكرِمةً　　لكنَّني غيرَ وِرْدِ الحَقّ لا أَرِدُ
عَيبٌ عليّ اذا أَنشدتُ قافيةً　　في غيرهِ او جرَتْ لي باليَراعِ يدُ
ومَن تيَمَّمَ حيثُ الماءُ مُندفِقٌ　　فذاكَ قد ضاع مِنهُ الحَزمُ والرَشَدُ
هذا الذي عِندَهُ للشعرِ من أَدَبٍ　　جاهٌ وعندَ سِواهُ حَظُّهُ الكَمَدُ
هل يستوي من يظنُّ الشعرَ طَلْسَمةً　　ومَن يرُوضُ معانيهِ وينتقِدُ
اذا كَتَبْنا لهُ في الطِرْسِ قافيةً　　كادَتْ تَطيرُ اليهِ وَهْيَ تجتهد
وإِنْ سَعَينا على بُعدٍ لزَورتهِ　　خِلنا منَ القُربِ يَسعى نحوَنا البَلَدُ
يَذِلُّ عِندَ أَميرِ الناسِ أَكبرُهُم　　وعِندَهُ يُرفَعُ الأَدنى الذي يفِدُ
تُنسِي مكارِمُهُ الأَضيافَ منزِلَهم　　فلا يَشُوقُهُمُ أَهلٌ ولا وَلَدُ
مُبارَكُ الوَجهِ بادي اللُطفِ باهِرُهُ　　تَكادُ تَنحَلُّ من ذِكرِ اسمِهِ العُقَدُ
إِنْ حاضرَ الناسَ قُلْنا إِنَّهُ مَلَكٌ　　او باشَرَ الحربَ قُلْنا إِنَّهُ أَسَدُ
قد مارَسَ الصبرَ في الأَيَّامِ عن جَلَدٍ　　حتَّى تَعَجَّبَ منهُ الصبرُ والجَلَدُ
فنالَ ما تَشتهيهِ النفسُ مُقتدِرًا　　ولم تَنَلْ منهُ ما يُشفَى بهِ الكَبَدُ
قد جَدَّدَتْ لِبَني رَسلانَ دَولتَهم　　يَدُ الأَمينِ التي باللهِ تَعتَضِدُ
مَن كانَ من أُمرآءِ الناسِ مولِدُهُ　　فإِنَّهم من مُلوكِ الناسِ قد وُلِدُوا
آلُ المَناذِرَةِ القومِ الذينَ غدَت　　منهم فرائِصُ أَهلِ الأَرضِ ترتعِدُ

هذا هوَ النسبُ العالي الذي شهِدَت بهِ الرُواةُ فصحَّ النقلُ والسندُ
أكادُ أشكوكَ يا مَنْ قد حُسِدتُ بهِ فقد تخوَّفتُ أنْ يؤْذِينيَ الحسدُ
رَفعتَ قدرِي بما أبديتَ من عمَلٍ بمثلهِ ينبغي أنْ ترفعَ العُمُدُ
رَأَيتُ نظرةَ حبٍّ منكَ صادقةً لو كانَ بي رَمَدٌ لم يلبثِ الرَمَدُ
ونعمةً طوَّقتْ عنقي قلائدُها بالأمسِ واليومُ موصولٌ بهِ وغدُ
أَستغفرُ اللهَ قد طالَ الزمانُ وما وَفَيتُ شكرًا عليهِ كُنتُ أعتمدُ
وازنتُ نِعمتَكَ العظمى بهِ عددًا حتى استطالتْ فضاعَ الوزنُ والعددُ
لو لم تغنِني بما يعطي الفتى مددًا على الثنا لم يكُنْ لي في الثنا مَدَدُ
ورُبَّما ساعدَ الممدوحُ مادِحَهُ اذ كانَ يصلحُ للمَدْحِ الذي يرِدُ
والصِدقُ أهوَنُ ما يجري اللسانُ بهِ مثلَ الصراطِ أمامَ العينِ يطَّرِدُ

وقال يمدحهُ ايضًا

تناقضَ الرَّأيُ بينَ الناسِ والعملُ والكُلُّ يرضَى بما فيهِ ويقتبلُ
إن كانَ ذلكَ مقبولاً برُمَّتهِ فليسَ بينَ الوَرَى عيبٌ ولا زَلَلُ
الناسُ في الأرضِ كالأشجارِ قامَ بها حُلْوٌ ومُرٌّ ومُعوَجٌّ ومعتدِلُ
وكلُّ صنفٍ لهُ وقتٌ يرادُ بهِ فلا يَصِحُّ لهُ من غيرهِ بدَلُ
مَن كانَ في الناسِ مولودًا على صفةٍ فليسَ للناسِ في تغييرِها أمَلُ
اذا تمكَّنَ خُلقُ السوءِ في رَجلٍ كما اذا استحكمتْ في جسمهِ العِلَلُ

لا يستطيعُ بخيلٌ أَنْ يجُودَ ولو   حوَى من المالِ ما لا تحملُ الإبلُ

وكُلَّما رُمتَ تَشديدَ الجَبانِ على   شجاعةٍ زادَ فيهِ الجُبنُ والفَشَلُ

انَّ الكريمَ الذي لا مالَ في يدِهِ   مثلُ الشجاعِ الذي في كفِّهِ شَلَلُ

والمالُ مثلُ الحَصَى ما دامَ في يدِنا   فليسَ ينفعُ الاَّ حينَ ينتقِلُ

انَّ الذي قسمَ الأَخلاقَ قد قسمَ ال   أَرزاقَ تجري الى أَن يُقسمَ الأَجلُ

يا رُبَّ قومٍ سعوا بالجَهلِ فانتصروا   ورُبَّ قومٍ سعَوا بالعقلِ فانخذلوا

وقلَّ مَن طابقَتْ دُنياهُ حكمتَهُ   مثلَ الأَمينِ الذي اعتزَّت بهِ الدُوَلُ

ذاكَ الذي يجمعُ السيفَينِ سيفَ يدٍ   وسيفَ رأْيٍ وكُلٌّ ما بهِ كَلَلُ

بالجِدِّ قومٌ وقومٌ بالجُدودِ لهُم   فخرٌ وهذا على الأَمرَينِ يشتملُ

من آلِ رَسلانَ من لخمٍ لهُ نسبٌ   الى تَنوخَ الى قحطانَ يتَّصلُ

سقَتْ شقائقَ نُعمانٍ بمنبتهِ   ماءُ السماءِ التي يجري بها المَثَلُ

قُلْ للخَورَنقِ قد أَنشا الزمانُ لنا   مَنْ ربُّهُ اللهُ لا مَنْ ربُّهُ الهُبَلُ

مَنْ يقرعُ الذِكرُ والأَورادُ مسمعهُ   لا ناقةُ العطنِ الهوجاءِ والجملُ

تلكَ الملوكُ أَساسٌ قامَ منتصباً   عليهِ قصرٌ بناهُ الخالقُ الأَزلُ

خُلاصةٌ قد تصفَّت من عشائرِها   كما تصفَّى لنا من شهدِهِ العسَلُ

لقد وجدنا بني رَسلانَ طائفةً   مثلَ الأَهلَّةِ بالتدريجِ تكتملُ

أَليومَ نالت كمالَ البدرِ فاقتصرت   اذ لا كمالَ الى ما فوقَهُ يصلُ

كنَّا نعظِّمُ إسمعيلَ من قِدَمٍ   فصغَّرَ الدهرُ ما تستعظمُ الأُوَلُ

قد كانَ ذلكَ فوقَ الغربِ رابيةً والبومَ هذا على كُلِّ الرُّبى جَبَلُ

هوَ الكريمُ الذي تملأ القلوبُ بهِ أُنساً وتجلى برأى وجههِ المُقَلُ

لا تسبقُ الفعلَ من إنجازهِ عِدَةٌ ويسبقُ السيفَ من إنصافهِ العذلُ

رَحيبُ صدرٍ تضيعُ النائباتُ بهِ ولا تضيقُ على آرائــهِ السبلُ

تخفى على مثلنا أسرارُ حكمتهِ كما تحجَّبَ عن أبصارنا زُحَلُ

ألبستهُ من مديحي خاتماً نقشتْ فيهِ شهادتَها الأمــلاكُ والرُّسُلُ

نقشٌ الى الدهرِ لا يُمحَى لهُ أثرٌ حتى تزولَ وتُمحَى السبعةُ الطُّوَلُ

قُلْ للأميرِ الذي من نقدهِ وَجِلٌ يغشى القوافي ومن تقصيرها خَجَلُ

عارٌ علينــا مديحٌ فيكَ منتحلٌ وأنتَ في الناسِ بِدْعٌ ليسَ تنتحلُ

يا سيفَ دولةِ قيسٍ تقتضي رَجُلاً كابنِ الحُسينِ وإني ذلكَ الرَّجُلُ

سهَّلْتَ لي الشعرَ حتى لو نطقتُ بهِ في النومِ جاءَ صحيحاً ما بهِ خَلَلُ

روضٌ تقلَّبتُ فيهِ من شمائلِكم فكيفَما مِلْتُ يملأُ راحتي النَّفَلُ

وقال حين زارهُ الى منزلهِ

لو كانَ للدارِ نطقٌ سبَّحتْ عجباً او راحةٌ صفَّقتْ من بهجةٍ طربا

قد زارَها اليومَ مَنْ عزَّتْ بزورتهِ كأنهُ قد طلى حيطانَها ذهبــا

كادت منازلُها تلقاهُ راقصةً لكنَّها حفظَتْ قُدَّامَهُ الأدَبا

هذا الأمينُ الذي لبنانُ في يدهِ أمانةُ اللهِ يرعاها كما وَجَبا

سَاسَ البِلَادَ بلُطفٍ من خَلائقهِ ... واللُطفُ اقطعُ من سَيفٍ لِمَنْ ضَرَبَا

مُبارَكُ الوَجهِ يأتي الخِصبُ حيثُ أتى ... ويذهبُ السعدُ مَعْهُ حيثُما ذَهَبَا

يغزو الخُطوبَ برأيٍ غيرِ منثلمٍ ... لو كانَ نارًا لكانَتْ عندَهُ حطَبا

لَئِن تأخَّرَ في أيَّامِهِ زَمَنًا ... فقد تقدَّمَ في أجيالِهِ رُتَبا

قَدِ اختَبَاهُ الى اليومِ الزمانُ كما ... يَخبا الحريصُ الى الشيخوخةِ النُخَبا

أَهديتُ أبياتَ شعري مَن بهِ افتخرَت ... أبياتُ داري فظنَّتْ نفسها شُهُبا

عَلَّقتُها اليومَ في مِحرابِ دَولتِهِ ... فخرًا فباهَيْتُ في تعليقِها العَرَبا

وقال يمدح بعض الاكابر في الديار المصرية

رَضيتُ من عينِ ذاكَ الحَيِّ بالأَثَرِ ... حتى رَضِيتُ بسَمْعِ الذِكرِ والخَبَرِ

وهامَ قلبي بما يَحوِيهِ مُنشغِفًا ... حتى بما فيهِ من تُربٍ ومن حَجَرِ

أَستقبِلُ الريحَ من واديهِ مُعتنِقًا ... كأَنَّها لي صَديقٌ جاءَ من سَفَرِ

ويُؤنِسُ البرقُ عيني إذْ يَلُوحُ لها ... منَ الكثيبِ فتَجني لَذَّةَ النَظَرِ

يا حبَّذا أَرضُ عُسفانَ التي شَرَقَتْ ... بالبِيضِ والسُمْرِ بينَ البِيضِ والسُمُرِ

وحبَّذا القُبَّةُ الزَرقاءُ من فَلَكٍ ... فإِنَّها اشتَمَلَت لَيلاً على القَمَرِ

رَبيبةٌ في بُرودِ البَدْوِ طالعةٌ ... تُغني مَحاسِنُها عن زِينةِ الحَضَرِ

تَرنو بطَرْفٍ غَضيضِ الجَفْنِ مُنكسِرٍ ... فلا نَراها بقلبٍ غيرِ مُنكسِرِ

بِتنا على خَطَرٍ من سُخطِها ولقد ... تأْتي السَلامةُ أحيانًا من الخَطَرِ

اذا تكدَّرَ ماءُ النيلِ مضطرِباً ... فإنَّ صفوَ الورَى في ذلكَ الكَدَرِ
وفي زيارةِ مصرٍ لو ظفرتُ بها ... مشقَّةٌ تُعقِبُ الأتعابَ بالظفَرِ
مَن لي بزَورةِ هاتيكَ الديارِ لكي ... أقضي الحقوقَ التي يُقضَى بها وطَري
مودَّةٌ بيننا بالأمسِ قد غُرِسَت ... واليومَ طالبتُ ذاكَ الغرْسَ بالثمَرِ
عليَّ حقٌّ لمن يُغضِي بمنَّتِهِ ... عن القُصُورِ ويعفو عفْوَ مقْتَدِرِ
الطاهرُ القلبِ لا عيبٌ يُدنِّسُهُ ... والراشدُ السعيِ عندَ اللهِ والبَشَرِ
اذا استطاعَتْ يداهُ في الورَى ضرَرا ... فإنَّ في قلبهِ عجْزاً عن الضرَرِ
وحيثُ لا يتَّقي في الناسِ من حذَرٍ ... يكونُ من ربِّهِ في غايةِ الحذَرِ
ان كُنتُ قصَّرْتُ في مدحي لهُ سلَفاً ... فالقَطْرُ يأتي قليلاً أوَّلَ المطَرِ
ورُبَّ مُختصَرٍ في اللفظِ نحسبهُ ... مطوَّلاً في المعاني غيرَ مُختصَرِ
نالَ الإمارةَ من لاقتْ بمنصِبهِ ... من دولةٍ نقدَتْهُ نقْدَ مختبِرِ
قد أعطَتِ القوسَ باريها على ثقةٍ ... لكنّها غيرُ ذاتِ السهمِ والوتَرِ
قُلْ للكريمِ الذي سادَ الكِرامَ لقد ... أسرفتَ اذ لم تدَعْ فخراً لمفتخِرِ
ما زلتَ ترقَى الى أنْ نلتَ منزلةً ... تُعَدُّ من طبَقاتِ الأنجُمِ الزُهُرِ
يا عُمدةَ الدولةِ العظمَى التي بعثَت ... الى المشارقِ منها كوكبَ السحَرِ
قد ناظرَتْكَ على قصدِ مراتبِها ... فهنَّ يكبُرْنَ مهما ازددْتَ في الكِبَرِ
هذه هيَ الدولةُ الغرَّاءُ ننظرُها ... ما طالَ تاريخُها جاءَتكَ بالغرَرِ

وقال يمدح الشيخ خضر الرعد صاحب بلاد الضنيّة حين
حضر الى بيروت سنة ١٢٧٤

يا أيُّها السفحُ ماذا يصنعُ البانُ ... اذا انثنت من قدودِ الحيّ أغصانُ
وأنتَ يا أيُّها الحامي العشيرةَ من ... يحميك إن برزت للفتك أجفانُ
حيّا الحيا ذلك الحيَّ الذي اجتمعت ... في طيّ أبياته أُسدٌ وغزلانُ
لأعينِ الغيدِ شكلٌ من ظباهُ وفي ... ظُباهُ من وجناتِ الغيدِ ألوانُ
ربعٌ اليهِ قلوبُ الناسِ ظامئةٌ ... من وجدِها وهوَ بالأنواءِ ريّانُ
كأنَّ خضرَ بنَ رعدٍ حلَّ ساحتهُ ... فأرعدت مزنةٌ واخضرَّ بستانُ
ذاك الكريمُ الذي في ظلِّ رايتهِ ... أمنٌ وفي أُنسهِ روحٌ وريحانُ
قد زارَ بيروتَ فاخضرَّت جوانبُها ... من شدَّةِ الخصبِ حتى اخضرَّ لبنانُ
ذاك الذي يُجتنى في السلمِ من فمِهِ ... درٌّ ومن سيفهِ في الحربِ مرجانُ
اذا انطفت نارُ حربٍ في النهارِ لهُ ... قامت لصنعِ القِرى في الليلِ نيرانُ
الطاعنُ الخيلَ قد ألقى فوارسَها ... عنها فهنَّ على الفرسانِ فرسانُ
قد علَّمَ السيفَ بذلَ الجودِ من يدِهِ ... فالوحشُ من حولهِ والطيرُ ضيفانُ
مؤيَّدٌ بيمينِ اللهِ مقتدرٌ ... لهُ ملائكةُ الرحمنِ أعوانُ
تمسي السعودُ قياماً تحتَ رايتِهِ ... كأنَّها عندَهُ جندٌ وغلمانُ
كأنَّ منزلَ خضرٍ ذاتُ فاكهةٍ ... من الجنانِ بها نخلٌ ورمّانُ
يستأمنُ الخائفُ اللاجي اليهِ كما ... يغنى الفقيرُ ويكسى الخزَّ عريانُ

مهذبُ النطقِ لا لغوٌ يعابُ بهِ ... وللمعاني كما للَّفظِ ميزانُ
حوى الإصابةَ في حكمٍ وفي حِكَمٍ ... فكانَ في الكلِّ يُدعى يا سليمانُ
يا من بغى أن يراني تلك مكرمةٌ ... لها على كرمِ الأخلاقِ برهانُ
لقد عرفناكَ بالأسماعِ عن بُعُدٍ ... وكيفَ تجهلُ صوتَ الرعدِ آذانُ
هذهِ عجالةُ مدحٍ لو وفيتُ لهُ ... بما اقتضى لم يكنْ يكفيهِ ديوانُ
قطفتُ من طيبِ روضٍ زهرةً وكفى ... إذْ ليسَ يقطفُ كلَّ الزهرِ إنسانُ

وقال في رسالةٍ كتب بها اليهِ .

أعلمتِ ما بالقلبِ من نار الجوى ... يا ظبيةً بين المُحجرِ واللوى
وردَ الهوى منكم عليَّ وهكذا ... كانَ اشتعالُ النارِ من ذاكَ الهوى
قالت تميلُ الى السوى فأجبتُها ... أينَ السوى ولعلَّ في الدنيا سوى
لو كنتُ أعلمُ عندَ غيركِ بلغةً ... لكرهتُ أن أطوي حشايَ على الطوى
وبمهجتي شوقٌ أقامَ كأنَّهُ ... ملكٌ على عرشِ الفؤادِ قد استوى
أطعمتهُ قلبي الكليمَ فما اكتفى ... وسقيتهُ دمعي السجيمَ فما ارتوى
قد كنتُ أحسبهُ كضيفٍ نازلٍ ... فاذا انا ضيفٌ اليهِ قد أوى
ولقد سمحتُ لهُ بأن يكوي الحشا ... فكوى ولكنْ ما رضي حتى شوى
ولربَّ طيفٍ زارني فوجدتهُ ... داءً عليَّ وكنتُ أحسبهُ دوا
وافى فحيَّا مؤنساً يروي الظما ... ومضى فودَّعَ جارحاً يوهي القوى

صارت تخافُ النومَ عيني بعدهُ ... لا تجزعي ذاكَ الكتابُ قد انطوى

شغلت فؤادي عن مغازلةِ المهى ... شيمٌ لوت قلبي اليها فالتوى

للخضرِ أخلاقٌ يكادُ ثناؤها ... يخضرُّ منهُ كلُّ عودٍ قد ذوى

طابت مواردُها فتبهجُ من رأى ... وتسرُّ من سمعَ الحديثَ ومن روى

قلْ للذي يزهو بمكرمةٍ لهُ ... هذا الذي كلَّ المكارمِ قد حوى

يقضي حقوقَ الدينِ والدنيا معاً ... في الجهرِ والنجوى على حدٍّ سوا

هوَ ركنُ بيتِ الرعدِ وهوَ عمودهُ ... فيهِ الجلالُ بجانبِ التقوى ثوى

طويت على الإخلاص نيّةُ قلبهِ ... ولكلِّ عبدٍ عندَ ربّكَ ما نوى

سادَ البلادَ فكان ربَّ عشيرةٍ ... بينَ العشائرِ باتَ مرفوعَ اللوا

أعيا المظالمَ أنْ تجوزَ بلادهُ ... يوماً ولو طارتْ اليها في الهوا

يا أيُّها الرعدُ الذي في الحربِ لو ... وقعتْ صواعقهُ على جبلٍ هوى

ملأ المسامعَ منكَ صيتٌ قارعٌ ... والرعدُ يقرعُ كلَّ سمعٍ اذ دوى

لا يستطيعُ البعدُ حجبَ جمالهِ ... كالصبحِ ليسَ يصدُّ شهرتهُ النوى

يا معشرَ الشعراءِ تلكَ صفاتهُ ... ما ضلَّ صاحبكم بهنَّ وما غوى

إنّي نطقتُ بما رأيتُ وبعضهُ ... مما سمعتُ فما نطقتُ عنِ الهوى

وقال يمدح الامير محمد رسلان عائدًا لهُ من مرضٍ كان بهِ سنة ١٢٧٥

تذكَّرَ المنحنى فانهلَّ مدمعهُ ... صبابةً وانحنتْ للشوقِ أضلعهُ

وبات من وَلَهٍ يرعى النجومَ فما دَرى أَفي الأرضِ ام في الأفقِ مضجعهُ
صبٌّ مضى النومُ من أجفانهِ فجرت في إثرهِ عبرةٌ منها تُشيّعهُ
اذا سرت نسماتُ الغورِ خرَّ لها وجدًا فكان نسيمُ الريحِ يصرعهُ
يا لابسًا كلَّ يومٍ ثوبَ زخرفةٍ ألبستَ مضناكَ ثوبًا ليس يخلعهُ
لئن تكن نظرةٌ جرّت لهُ ضررًا منذُ القديمِ فتلكَ اليومَ تنفعهُ
اذا تعمدَ أن يسلوكَ عارضهُ قلبٌ اليهِ بذاكَ الحينِ ترجعهُ
وكلّما أطبقتْ للنومِ مقلتهُ جفنًا بعثتَ خيالاً منكَ يقرعهُ
ما كانَ يرضى حديثًا منكَ عن طمعٍ فصارَ يرضى حديثًا عنكَ يسمعهُ
ان كانَ لا يملكُ الظمآنُ نهلتهُ منَ المياهِ فقطرُ الماءِ يقنعهُ
آمنتُ باللهِ ما هذا الهوى فلقد أذابَ ما ليسَ حرُّ النار يلذعهُ
لا تلبسِ الدرعَ يا شاكي السلاحِ اذا زرتَ الحمى فلحاظُ الغيدِ تقطعهُ
قل للمليحِ الذي يجني فنعذرهُ في ما جناهُ وذاكَ العذرُ يطمعهُ
كلُّ البدورِ التي في الشرقِ مطلعها تفدي الأميرَ الذي في الغربِ مطلعهُ
في غربِ لبنانَ من أرضِ المشارقِ لا في مغربِ الارضِ منشاهُ ومربعهُ
له الشريفاتُ برجٌ حلَّهُ قمرٌ لذاكَ كانَ تجاهَ البحرِ موقعهُ
شهمٌ يغارُ على الآدابِ يجمعها ولا يغارُ على الدينارِ يجمعهُ
يسطو على شملِ بيتِ المالِ مقتطعًا كأنَّهُ بيتُ شعرٍ إذْ يقطّعهُ
ردَّ الزمانُ لهُ المجدَ القديمَ كما ردّتْ على عقبِ الكنديِّ أدرعهُ

ومَن وَفى الناسَ في ما كان مؤتمَناً　وَفى لهُ الدهرُ في ما كانَ يُودِعهُ
تُرى متى تشتفي الحُسَّادُ من رجلٍ　تُرِيدُ خفضاً لهُ واللهُ يرفعهُ
اذا قضى اللهُ امراً لا يُرَدُّ وإنْ　أجرى عطآءً فمَنْ في الارض يمنعهُ
مَلائكُ العرشِ تغدو بالسَلام على　محمَّدٍ ورضى الرحمنِ يتبعهُ
هذا الذي بعثَ اللهُ الكريمُ بهِ　للناسِ حتى يقولوا جلَّ مبدِعهُ
لا تعجبوا من سقامٍ قد تعوَّدهُ　فمَنْ رآهُ يدُمْ فيهِ تولُّعهُ
مَنْ كانَ يشفي منَ الأَوجاعِ منظرُهُ　ولُطفهُ كيفَ هذا الدآءُ يوجعهُ
لا بدَّ للضيقِ أَنْ يمضي الى فرَجٍ　لكنْ لعلَّ أَشدَّ الضيقِ أَسرعهُ
اذا كسا اليومُ نصْلَ السيفِ ثوبَ صدًا　رجوتُ أَنَّ غداً لا بُدَّ ينزعهُ

وقال في حادثةٍ اصابت الخواجا نصرالله الخوري من حلب
وسلم ولدهُ الخواجا شكرالله منها سنة ١٨٥٨

ان كُنتَ باللهِ في دُنياكَ تعتصِمُ　فلا تكُنْ خائفاً ان زلَّتِ القدَمُ
واُطلُبْ لنفسكَ غيرَ الأَرضِ منزلةً　إنْ كُنتَ تبغي نعيماً ما بهِ أَلَمُ
مَن عاشَ في الأَرضِ لا تُرجَى سَلامتُهُ　من نكبةٍ وبَلايا الدهرِ تزدحِمُ
وكيفَ يأمنُ من لَطمِ المياهِ لهُ　مَن خاضَ في البحرِ والأَمواجُ تلتطِمُ
حوادثُ الدهرِ تختارُ الكرامَ فما　زالت على حَسَبِ الأَقدارِ تنقسِمُ
وهَمُّ كلٍّ على مِقدارِ همَّتِهِ　فلا هُمومَ لقومٍ ما لهم هِمَمُ

النَاسُ للناسِ كالأَعداءِ ما بَرِحَتْ في أَكثر الأَمرِ تأْتي منهمُ النِقَمُ
ان لم يكن ضرُّهمْ عمْدًا فعنْ خطاٍ وقد يكونُ بقصدِ النفعِ ضرُّهمُ
غنيمةُ العيشِ في الدُنيا تجنُّبهمْ لكنَّ ذلكَ مِمَّا ليسَ يُغتنمُ
هم كالطعامِ الذي لا بُدَّ منهُ لنا بهِ نعيشُ ومنهُ يحدُثُ السقمُ
كلُّ الجواهرِ أعراضٌ رزيَّتُها تهونُ اذ تسلمُ الأَعراضُ والشِيَمُ
والمالُ مثلُ نسيمِ الريحِ ان سلمتْ بقُدرةِ اللهِ في أبدانِنا النَسَمُ
ليسَ البُكاءُ لفقدٍ بعدهُ خلَفٌ ان البُكاءَ لفقدٍ بعدهُ عدمُ
قد ينبُتُ المالُ مثلَ الظُفرِ نقطعهُ وثُلمةُ المالِ مثلَ الجُرحِ تلتحمُ
ما دامَ للأجدلِ القنَّاصِ أجنحةٌ لا يُفلِتُ الصيدُ منهُ حيثُ ينهزمُ
والخيرُ يعرفُ طُرْقًا قد تعوَّدَها فلا يَضِلُّ ولو قامتْ بها الظُلَمُ
أَجَلُّ لِلمرْءِ من مجدِ الغِنى شرفًا مجدُ الوفاءِ تقوى اللهِ والكرمُ
وأرفعُ الناسِ عندَ اللهِ منزِلةً مَنْ لم يكن لحُقوقِ الناسِ يهتضِمُ
للهِ في الخلقِ سِرٌّ ليس نُدرِكُهُ وحِكمةٌ بطلَتْ من دُونِها الحِكَمُ
لا يُرزَقُ العبدُ الاَّ ما قضاهُ ولا يُصيبُهُ غيرُ ما يجري بهِ القلمُ
سيجبُرُ اللهُ قلبًا باتَ منكسرًا وليسَ يترُكُ جمرًا كانَ يضطرِمُ
لا ضيقَ في الدهرِ الا بعدَهُ فرَجٌ ولا شبيبةَ الاَّ بعدَها هرَمُ
اذا رمى اللهُ يمنى العبدِ في عسَمٍ يُبقي الشمالَ فلا يغتالُها العسَمُ
إِن لم تدُمْ عندَ نصرِ اللهِ نِعمتُهُ فقد تعاهدَ شُكرُ اللهِ والنِعَمُ

وقال يمدح الامير امين رسلان عائداً لهُ من مرضٍ كان بهِ

أَطُوفُ الأَرضَ في شَرْقٍ وغَرْبِ ... وقلبي نازلٌ بدِيارِ صَحْبي

فلي قَلبٌ هُناكَ بغيرِ جِسمٍ ... ولي جِسمٌ هُناكَ بغيرِ قلبِ

أَحِنُّ الى الدِيارِ وساكِنِيها ... على بُعْدٍ وانْ بَخُلَتْ بِقُربِ

فيَصدُقُ مَن يقولُ هُناكَ داءِي ... ويصدُقُ مَن يقولُ هُناكَ طِبِّي

وفي تِلكَ الخُدُورِ مَهاةُ إِنسٍ ... مُمنَّعَةٌ بِحُجبٍ بعدَ حُجْبِ

تَصيدُ ولا تُصادُ اذا غَزَونا ... فلا تُسبَى لذلكَ وَهْيَ تَسْبي

فَتاةٌ وَجهُها مِن آلِ بَدرٍ ... ولكِن عينُها من آلِ حَربِ

تُصِيبُ سِهامُها من غيرِ رَشقٍ ... ويَقطَعُ سَيفُها من غيرِ ضَربِ

أَرَتْني من خِلالِ السَجْفِ طَرْفاً ... قَرَأْتُ عليهِ إِنَّ اللهَ حَسْبي

ووَجهاً لو ظَفِرتُ بوَجنَتَيهِ ... كَتَبتُ عليهِما سُبحانَ رَبِّي

جَفَتْني حينَ قُلتُ الشِعرَ فيها ... وقالَتْ قد جَلَبتَ عليكَ عَتْبي

تَعُدُّ عليَّ نظمَ الشِعرِ ذَنباً ... نَعَمْ لِسوَى الأَميرِ الشِعرُ ذَنْبي

مَنَحتُ أَبا مُحَمَّدَ كُلَّ شِعري ... فكانَ لِمَنْ سِواهُ مالَ سَلْبِ

ومَن كأَبي مُحَمَّدَ يلتقيهِ ... بوَجهٍ مُبَشَّرٍ وفُؤادِ صَبِّ

ومن كأَبي مُحَمَّدَ حينَ يُروَى ... لَدَيهِ يرِنُّ منهُ كُلُّ ضَرْبِ

ومَن كأَبي مُحَمَّدَ أَهلُ مَدحٍ ... يُنَزَّهُ صِدقُهُ عن شَينِ كِذْبِ

طَلَبتُ العفوَ عن جَهْلي لأَنِّي ... طَلَبتُ نظيرَهُ والجَهْلُ دأْبي

فأدَّبني بسَعيٍ ضاعَ هَدْرًا   كريمٌ كُلَّما أدعو يُلبِّي
بعيدُ الصيتِ يعبَقُ من ثَناهُ   أريجُ المِسكِ في عُجْمٍ وعُرْبِ
تُقِرُّ لهُ العِدَى بالفضل رَغماً   فتحمِلُ منهُ غصباً فوقَ غصبِ
اذا حاضرتَـهُ يُرضيكَ حتَّى   ترَى عجبـاً بهِ من غيرِ عُجْبِ
وإِن فارَقتَهُ يدعوكَ شَوقٌ   اليـهِ قائدًا بزِمـامِ جذْبِ
نلومُ السُقمَ اذ يأتي اليـهِ   وهل ظامٍ يُلامُ بورْدِ عذْبِ
ونَطمعُ في السَلامةِ من أذاهُ   فقد وافَى على قَـدَمِ المُحِبِّ
شفاكَ اللهُ من كَرْبٍ تراهُ   كما يَشفِي بلُطفكَ كلَّ كرْبِ
فإِنَّكَ في بلادِ الشرْقِ رُوحٌ   وإِن تكُ نازلاً منها بِغرْبِ

وقال يمدحه ويهنئه ببناء دارٍ له

في ساحةِ الحيِّ من تيماءَ غِزلانُ   لهُنَّ في الخِدرِ لا في الغابِ أَوطانُ
تَحمي حِماها رِجالٌ من بني مُضَرٍ   في السِلمِ إِنسٌ وفي يوم الوَغى جانُ
حيٌّ طرَقناهُ والنيرانُ ساطعـةٌ   فيهِ وللشوقِ في الأكبادِ نيرانُ
أَمسَى يُديرُ لنا كأسَ المُدامِ فتًى   بوَجهِهِ يُهتدَى والنجمُ حيرانُ
في كَفِّهِ النايُ يَسقيهِ الرُضابَ فلا   تعجَبْ اذا مالَ فيها وَهْوَ نَشوانُ
قد سَخَّرَ الريحَ يَنهاها ويأمُرُهـا   كأنَّما هوَ في الدُنيـا سُلَيمانُ
يا جيرةَ الحيِّ أَنتم عُرْبُ باديةٍ   فكيفَ ضاعتْ لكم في الحيِّ جيرانُ

لنا ذِمامٌ منَ الأَسيافِ عِندَكمُ　　ولا ذِمامَ لِمَنْ تغزُوهُ أَجفانُ

قِفُوا اِسمَعُوا اليومَ ما أَنشا لنا ولكم　　مَنْ كُلَّ يومٍ لهُ في خَلقِهِ شانُ

أَنشا لنا اللهُ شَخصاً من عشائِرِكم　　لهُ إِيادٌ أَبٌ والجَدُّ قَحطانُ

أَعطاهُ حاتمُ إِرثَ الجُودِ مكرُمةً　　والحِلمَ معنٌ وجاهَ المُلكِ نُعمانُ

وَهوَ الرَبيعُ وقَيسٌ في نباهتِهِ　　وفي فَصاحتِهِ قُسٌّ وسَحْبانُ

إِنْ جُزْتَ في غَربِ لُبنانَ الخَصيبِ فقُلْ　　يا آلَ رَسلانَ ها قد قامَ رَسلانُ

ان لم يكُنْ شخصهُ قد عادَ منتشراً　　فمجدُهُ عادَ حيًّا وَهْوَ ريّانُ

شادَ الأَمينُ بِناءَ المجدِ فارتفعتْ　　عِمادُهُ واستقامتْ منهُ أَركانُ

فان بَنَى الدارَ في أَرضٍ فعادتُهُ　　في ذِروةِ الأُفقِ تأْسيسٌ وبُنيانُ

قد شادَها كَعبةً للوَفْدِ في حَرَمٍ　　لِلْمُلتجينَ بهِ لِلحقّ ميزانُ

في جنَّةٍ تحتَها الأَنهارُ طافحةٌ　　تجري وفي بابِها المَيمونِ رِضْوانُ

من قَصرِ غُمْدانَ محرابٌ لَها وبها　　من صُنعِ كِسرى أَنُوشِروانَ إِيوانُ

وفَوقَها نُورُ صافي القَلبِ خُطَّ بهِ　　ما خطَّ في اللوحِ ذو النُورَينِ عُثمانُ

هذا الأَميرُ الذي للأَمرِ في يَدِهِ　　أَزِمَّةٌ ولعُنقِ الدهرِ أَرسانُ

ان كانَ يُعطي وزيرٌ غيرَهُ رُتَباً　　مِنَ الوُلاةِ فقد اعطاهُ سُلطانُ

مَولىً يَسُودُ على الساداتِ خاضعةً　　لأَمرِهِ أَوجُهٌ منها وأَعيانُ

راضَ الصِعابَ التي انقادَتْ فكانَ لهُ　　في القَفرِ والبَحْرِ بُستانٌ ومَيدانُ

ليسَ الشُجاعُ الذي انقادَ الجَبانُ لهُ　　إِنَّ الشُجاعَ الذي طاعتهُ شُجعانُ

وفارسُ الخَيلِ مَن خاضَ العَجاجَ بها وحولَهُ من كُماةِ القومِ فُرسانُ
يا أيُّها الجبلُ الراسي على جبلٍ فخراً فأنتَ على لُبنانَ لُبنانُ
لي فيكَ وَحدَكَ دِيوانٌ نَظَمتُ بهِ مَدحاً وفي مَدحِ باقي الناسِ دِيوانُ
فأنتَ عِندِيَ نِصفُ الناسِ واعَجَبا ان كانَ يُحسَبُ نِصفَ الناسِ إِنسانُ

وقال يمدحهُ ايضاً

لاحَتْ بوَجهٍ بَديعِ الأُنسِ مَيمونِ غَيداآءُ فيها نِفارٌ غيرُ مأْمونِ
وقَطَّبَتْ عندَ زَجرِ الصَبِّ حاجبَها لأنَّها تَعهَدُ التأْكيدَ بالنُونِ
حَسناآءُ ظالمةُ العُشّاقِ ما تَرَكَتْ لهم نصيباً منَ الدُنيا ولا الدِينِ
رَشيقةٌ كلُّ لينٍ في مَعاطِفِها وليسَ في قلبِها شيءٌ منَ اللِينِ
قولوا لرَيحانةٍ في الحَيِّ قد عَبِقَتْ سَينقضي عاجلاً طِيبُ الرَياحينِ
قد قلَّ في الناس مَن تَصفو مَودَّتُهُ ما أبعدَ الصفوَ بين المآءِ والطِينِ
مَن رامَ في الدهرِ مِيزاناً لصُحبتهِ فإِنَّ مِيزانَهُ طَرْحُ المَوازِينِ
مَودَّةُ المَرْءِ في الدُنيا لحاجتهِ لا للصديقِ ولو دامَتْ الى حينِ
وَيلاهُ قد ضاعَتِ الأَيّامُ ذاهبةً في غَفلة اللَهوِ أَطويها وتَطويني
إِن فاتَني نَهيُ نفسي ليسَ يَنفَعُني نَهيٌ ولو جاآءَ مع مُوسَى وهارونِ
مَنْ عاشَرَ الناسَ لا يأْمَنْ غَوائلَهم كخائضِ البحرِ في أَنواآءِ كانونِ
وطالبُ الخيرِ من غيرِ الكرامِ كمَنْ يرُومُ بَرْدًا من الرَمضاآءِ في الصينِ

بينَ الكِرامِ كريمٌ عِندهُ كرَمٌ صافي المَوارِدِ عَذْبٌ غيرُ ممنونِ
ذاكَ الأَمينُ ابنُ رَسلانَ الأَميرُ على لُبنانَ تعنو لهُ شُمُّ العرانينِ
الفاعلُ الخيرَ لا نقصٌ يعابُ بهِ والقائلُ الحَقَّ يجلى بالبراهينِ
تملا المَسامعَ والأَبصارَ طَلعتهُ اذا تصدَّرَ في صَدرِ الدَواوينِ
مؤيَّدٌ بيمينِ اللهِ معتَضِدٌ تَرعاهُ عينٌ تولَّتْ حفظَ ذي النونِ
سعودُهُ فوقَ افلاكِ العُلَى ارتفعَتْ وذِكرُهُ دَقَّ أبوابَ السَلاطينِ
شَهمُ الفؤادِ حَصيفٌ ليسَ يَشغَلُهُ سَمْعُ القَوانينِ عن حفظِ القوانينِ
تَكِلُّ عن رأيهِ الآراءُ قاصرةً حتى ترَى كلَّ فوقٍ صار كالدُونِ
في قلبهِ حِكمةٌ فاضتْ جَداوِلُها حتى سرَتْ مع دِماهُ في الشرايينِ
يَستَدرِكُ الأَمدَ الأَقصى بها ويرَى خَفيَّ سِرٍّ بقلبِ المَرءِ مكنونِ
في كلِّ فَنٍّ لهُ باعٌ يطولُ فخُذْ مَعهُ بما شئتَ في أَيِّ الأَفانينِ
يرنِّحُ الشعرُ عِطفَيهِ فيطرِبُهُ اذ كانَ يعرِفُ منهُ كلَّ مضمونِ
طارَتْ اليهِ قوافينا فقلتُ لها لا يرتَعُ الطيرُ الاَّ في البساتينِ
والشعرُ كالضَيفِ يأتي من يُكرِّمُهُ ولا يُباعُ لديهِ بيعَ مغبونِ

وقال يرثيهِ وكان قد توفي ليلة عيد رمضان في مقام
الامام الاوزاعي سنة ١٢٧٥

ماذا جلَبتِ لنا يا ليلةَ العيدِ غيرَ البُكاءِ لأَمرٍ غيرِ مردودِ

وَيلٌ لنا منكِ قد هيَّمتِنا طرَبًا من رَنَّةِ النَوحِ لا من رَنَّةِ العُودِ
لا آخذَ اللهُ قلبًا لم يطِرْ أسفًا مني لشخصٍ عظيمِ الشأنِ مفقودِ
قدَّمتُ عنهُ غداةَ البينِ تعزِيةً للحَزمِ والعزمِ والإقدامِ والجُودِ
هذا الأميرُ امينُ اللهِ مُضطجعٌ في طيِّ رمسٍ منَ الأبراجِ محسودِ
قد أودعَ اللهُ فيهِ خيرَ جوهرةٍ في خيرِ كنزٍ بعينِ اللُطفِ مرصودِ
هذا الذي كانَ رُكنًا يُستجارُ على كيدِ الزمانِ بظلٍّ منهُ ممدودِ
يُعطي الأُلوفَ ويقتادُ الصفُوفَ ولا يخشى الحُتوفَ ويلقى كُلَّ صِنديدِ
هذا الذي كانَ في آرائهِ سعةٌ كانتْ تَضيقُ عليها ساحةُ البِيدِ
هذا الكريمُ الذي كانت مواهبُهُ تُحيطُ بالناسِ مثلَ العِقدِ بالجِيدِ
يا غرْبَ لُبنانَ لا تهتزَّ مُضطربًا وارفُقْ فإنَّ التناهي غيرُ محمودِ
صبرًا على نكدِ الدُنيا التي اخترمتْ عادًا وغالت سُلَيمانَ بنَ داودِ
لا تنتزِعْ عنكَ أثوابَ الحِدادِ على مَن كانَ جودُ يدَيهِ غيرَ محدودِ
لا تنسَ من كانَ لا ينسَى الصدِيقَ ولا تغفلْ مدَى العُمرِ عن نَوحٍ وتعديدِ
قد خانَكَ الدهرُ غدرًا في تقلُّبِهِ حتى ابتدَلتَ الليالي البِيضَ بالسُودِ
كانت ليالي الهَنا معدودةً فمضَتْ وخلَّفَتْ حزنَ دهرٍ غيرِ معدودِ
وَيلاهُ من هذهِ الأيامِ ما تركَتْ قلبًا سليمًا ورُكنًا غيرَ مهدودِ
لا تجمعُ الشملَ الاَّ كي تُبدّدَهُ ما كانَ أغناهُ عن جمعٍ وتبديدِ
هذهْ ذخيرَتُنا يا أرضُ فاحتفِظي بها الى موقفٍ للبعثِ مشهودِ

أنتَ الأَمينُ على هذا الأَمينِ فلا   تُسلِمي نورَ ذاكَ الوجهِ الدودِ
يا أَيُّها القبرُ هذا اليومَ فيكَ ثوى   أَجلُّ ميتٍ وأبهى كلِّ مولودِ
إِحفظْ كرامةَ من كانت كرامتهُ   تجري على الضيف جريَ الماءِ في العودِ
أَلقى اليكَ حِمى لبنانَ وا أَسفا   مَن كانَ يُلقى اليهِ بالمقاليدِ
مَن شادَ مجْدَ بني رَسلانَ من قِدَمٍ   مُجدِّدًا مُلكَ لخمٍ أَيَّ تجديدِ
ما زلتُ أَطمعُ في طولِ الحياةِ لهُ   فكُنتُ أَخدعُ نفسي بالمواعيدِ
وصارَ نظمُ المراثي بعدَ فَجعتهِ   مكانَ نظمِ التهاني والأَغاريدِ
يا مَن يعِزُّ علينا أَنْ نصوغَ لهُ   شعرًا بغيرِ مديحٍ فيهِ معهودِ
صارَتْ لكَ اليومَ أَمثالٌ مُضاعفةٌ   وكانَ مثلُكَ قبلاً غيرَ موجودِ
هذا الذي يجعلُ الأَلبابَ خاشعةً   ويصدَعُ القلبَ من صُمِّ الجلاميدِ
مَنْ لم تُفِدْهُ منَ الأَحياءِ موعِظةٌ   يُصغِي لوعظٍ منَ الأَمواتِ مسرودِ

وقال يعزي الامير محمد رسلان بعد وفاة ابيهِ في التاريخ المذكور
وكان قد تسلم الولاية بعدهُ

ما دامَ هذا اليومُ يخلُفُهُ الغدُ   لا تُنكِروا أَنَّ القديمَ يُجدَّدُ
لم تُقطعِ الأَغصانُ من شجراتها   الاَّ رأَينا غيرَها يتولَّدُ
هذا الأَمينُ مضى فقامَ محمَّدٌ   خلَفًا فنابَ عن الأَمينِ محمَّدُ
حدَثٌ لهُ في العينِ يومٌ أَبيضٌ   يُجلى بهِ في القلبِ يومٌ أَسوَدُ

مَن عاشَ في الدُنيا تَفطَّرَ قَلبُـهُ غَمًّا بِهـا ان كانَ لا يَتَجلَّدُ

ان كانَ عيني كُلَّما رأَتِ البَلا سَهِرَتْ فطُولَ حَيَاتِها لا تَرقُدُ

في كُلِّ يومٍ للحَوادِثِ غارةٌ فينا تقولُ العَودُ عِندي أَحمَدُ

ان لم يَكُنْ للمرءِ عِندَ لقآئها سيفٌ يُسَلُّ فدِرعُ صبرٍ تُسْرَدُ

فَقْـدُ العزيزِ بَليَّـةٌ وأَخَفُّهـا ما صادَفَ التَعويضَ عمَّا يُفقَدُ

عَزَمَتْ على الإِنصافِ دُنيانا التي سَلَبَتْ يدٌ منها وأَعطَتْنا يَـدُ

بَدَلٌ لشَخصٍ أَبيهِ حَلَّ مَحَلَّـهُ فَهُوَ الذي يُنحَى اليـهِ ويُقصَدُ

لم تَعهَدِ العُليـا فتىً كمُحمَّـدٍ في الناسِ وَهْيَ لَدَيهِ ممَّا يُعهَـدُ

أَلِفَ الوِلايةَ من صِباهُ كِلاهُما إِلفٌ لصاحِبِـهِ عليـهِ مُعوَّدُ

نَظَرَتْ مَناقِبَهُ الحِسانَ فأَدرَكَتْ سِرًّا تَكـادُ تَراهُ مِمَّـا يُعبَـدُ

هيَ في حِماهُ رَبيبةٌ لا تَنثَني عن بابهِ ونَزيلةٌ لا تُطرَدُ

وضَجيعةٌ في مَهْدِهِ ورَدِيفةٌ في سَرْجِهِ وجَليسةٌ اذ يَقعُدُ

رَيَّانُ في نَظَرِ البصائرِ أَشيَبٌ عَجَبًا وفي بَصَرِ النَواظِرِ أَمرَدُ

تَزْوَرُّ عن مَرْآهُ عينُ حَسُودِهِ كَشُعاعِ شَمْسٍ يَتَّقيهِ الأَرمَدُ

خَلَفٌ كريمٌ أَشبَهَ السَلَفَ الذي كانَتْ لهُ كُلُّ الخَلائقِ تَشهَدُ

ما كانَ يُوجَدُ كالأَمينِ بعَصرِهِ واليومَ مِثـلُ مُحمَّدٍ لا يُوجَدُ

وقال يمدحه ويهنئه بتقرير الولاية عليه من لدن الدولة وكان ذلك على اثر عيد الاضحى في التاريخ المذكور

مَلِلتُ منَ القريضِ وقُلتُ يكفي ... لأَمرٍ شابَ قُوَّتهُ بضعفِ
أُحاولُ نُكتةً في كلِّ بيتٍ ... وذلكَ قد تُقصّرُ عنهُ كفّي
أَجَلُّ الشعرِ ما في البيتِ منهُ ... غَرابةُ نُكتةٍ او نَوعُ لُطفِ
وبئسَ الشعرُ بيتٌ ليسَ فيهِ ... أَمامَكَ غيرُ حيطانٍ وسقْفِ
رأَيتُ الشعرَ بعضٌ مِثلُ وَقْرٍ ... على أُذُنٍ وبعضٌ مثلُ شَنَفِ
وفوقَ الشعرِ فَرْقُ الناسِ حتى ... تَرَى من ذاكَ ضِعفًا فوقَ ضِعفِ
اذا بَرَزَ الأَميرُ ظَنَنتَ شخصاً ... كباقي الناسِ اذ يبدو لِطَرْفِ
وما يُدريكَ كم رَجُلاً يُساوِي ... اذا أُستقْرَيتَ صفًّا بعدَ صَفِّ
نَرَى في كلِّ مَسئلةٍ خِلافًا ... سوَى تَفضيلهِ في كلِّ وَصفِ
وهل في الصُبحِ بينَ الناسِ خُلْفٌ ... فيُثبتَ بعضُهم والبعضُ ينفي
قدِ أُجتَمعَتْ قُلوبُ الناسِ طُرًّا ... عليهِ وأَجمَعَتْ من دُونِ خُلفِ
فلم يكُ لِأُختلافٍ حرفُ نفيٍ ... ولم يكُ لِأُشتراكٍ حرفُ عطفِ
تَحِقُّ وِلايةٌ شَرْعًا وعُرفًا ... لراعي الحَقِّ في شَرْعٍ وعُرفِ
لِمَنْ لو فارَقَتهُ بَكَتْ وحَنَّتْ ... حَنينَ الإِلفِ عندَ فِراقِ إِلفِ
سليمُ القلبِ ذو فِعلٍ صَحيحٍ ... يُصرَّفُ دُونَ إِعلالٍ وحَذفِ
لهُ في المجدِ تأسيسٌ قديمٌ ... منَ الأَقيالِ رِدفًا بعدَ رِدفِ

اقولُ اذا ختمتُ المدحَ فيهِ ... قدِ استوفيتُ منهُ كلَّ حرفِ
وأرجعُ إذ أُراجعهُ كأنّي ... فطِنتُ بواحدٍ من بينِ ألفِ
أنا عبدٌ لهُ لي رفعُ رأسٍ ... بذاكَ وللحواسدِ رَغمُ أنفِ
وكُنتُ لهُ قديماً ملكَ إرثٍ ... فصِرتُ لهُ حديثاً ملكَ وقفِ
أهيمُ بذكرهِ طرباً كأنّي ... معاذَ اللهِ نشوانٌ بصِرفِ
وأستبِقُ الرياحَ اليهِ حتّى ... أسيرَ أمامَها وتسيرَ خلفي
أقامَ اللهُ دولتَهُ فكانتْ ... كنورِ البدرِ يجلى بعدَ خسفِ
تقاسمْنا الهناءَ بها ولكنْ ... طمِعتُ فكانَ سهمي فوقَ نصفِ

وقال يمدحهُ

عوجا على غربِ لُبنانَ الذي اشتهرا ... فذلكَ الغربُ شرقٌ أطلعَ القمرا
قد مدَّ للبرِّ كفّاً فاجتنى ثمرا ... ومدَّ للبحرِ كفّاً فاجتنى دُررا
لئن تكنْ ارضهُ أدنى بلادِكما ... فتلكَ أُسٌّ عليهِ البيتُ قد عمِرا
والأصلُ أدنى منَ الأغصانِ منزلةً ... وهوَ الذي يرفدُ الأغصانَ والثمرا
اذا بدا لكُما وجهُ الأميرِ بهِ ... فسبِّحا اللهَ إرغاماً لمَنْ كفرا
لا تصرِفا طيّباتِ الشعرِ في غزلٍ ... بحبِّ ظبيٍ وشكوى صاحبٍ هجرا
اذا رأينا بديعَ اللُطفِ منفرِداً ... عن رُتبةِ الناسِ عِفنا مذهبَ الشُعرا
وناظمُ الشعرِ نسّاجٌ يحوكُ بهِ ... لِكُلِّ قومٍ على مقدارِهم حبرا

لَقد مَدَحتُ اباهُ قَبلهُ فسطَتْ على يَراعي دُيونُ المَدحِ فا نكسَرا
فصارَ عِندي لهُ مدحٌ يحِقُّ لهُ كَسباً ومَدحٌ بحقِّ الإرثِ قد غبرا
مَن للشيُوخِ بأَنْ يُعطَوا فُؤَادَ فتىً كأَنَّهُ قلبهم في الدهرِ قد فُطرا
نالَ الكمالَ الذي عِندَ الشيُوخِ وقد خَلَّى لهم بعد ذاكَ الشيْبَ والكبَرا
أَستغفرُ اللهَ إِنّي لستُ أَمدحُهُ كما زَعمتُ أَطالَ القولُ ام قَصُرا
هُوَ الذي نالَ ما قد نالهُ وأَنا أُذيعُ للناسِ عن اخلاقهِ خبَرا
لَقد طَلَبتُ لهُ مثلاً فأَجهدَني هذا الطِلابُ فمَنْ يُلقِي معي نَظَرا
ومَن تُرَى عِندَنا مثلُ الأَميرِ فمَنْ سأَلتَهُ قالَ مَن مِثلُ الأَميرِ تُرَى
يزورُهُ الشعرُ مُلتاحاً على خجَلٍ فيَستَظِلُّ بطَيّ الصُحفِ مُستَتِرا
في كلِّ يومٍ على وَجهٍ نُقلّبهُ لَفظاً ومَعنىً ولا نَقضي بهِ وَطَرا
يا ابنَ الأَمينِ الذي أَعطتك شيمتُهُ خَمساً فزِدتَ عليهنَّ اثنتَيْ عشَرا
ليسَ اللبيبُ الذي يأتيك مُمتدِحاً إِنَّ اللبيبَ الذي يأْتيك مُعتذِرا
قد فُقتَ مَن كانَ فوقَ الناسِ مكرُمةً فأَنتَ قد صِرتَ فوقَ الفوقِ مُقتدِرا
كأَنَّما الدهرُ فينا شاعرٌ فَطِنٌ وأَنتَ في نفسهِ معنىً قدِ ابتُكِرا

وقال يمدحهُ بعد عودتهِ من سفرٍ

غابَ الأَميرُ فما تمادَى المَرجِعُ كالبَدرِ في فلَكٍ يغيبُ فيطلُعُ
أَلقَى على غرْبِ البلادِ قُدومُهُ طَرَباً عليهِ مَتنُها يَتَوجَّعُ

رَجلٌ تُصاحِبُهُ السعودُ إذا مَضَى … وإذا أَقامَ ففي حِماهُ تَرتَعُ
ما ضيَّعَ الرَّحمنُ إسمَ محمَّدٍ … فيهِ وإنَّ اللهَ ليسَ يُضيعُ
وَرِثَ الأَمينَ أَباهُ مُتَّخذًا لهُ … من عِندِهِ أصلاً فصارَ يُفرِّعُ
فكأنَّهُ أَعطاهُ مالَ تِجارةٍ … أَضحى غِناهُ بِرِبحِها يتوسَّعُ
يا مَن تجارتُهُ مكارمُ نفسهِ … أَبدًا فغيرَ المجدِ لا يستبضِعُ
تَرضَى بميسورِ المنافعِ قانعًا … لكنْ بميسورِ العُلَى لا تَقنَعُ
ما أَنتَ من أَهلِ الزمانِ وان تكُنْ … فيهِ فإنَّكَ لَستَ مِمَّن يتبَعُ
عَمَرَتْ رُبوعُ العِلمِ عِندَكَ بعدَما … كادَتْ تُمزِّقُها الرياحُ الأَربعُ
إنَّا لَفي زَمَنٍ تَدِبُّ على العَصا … فيهِ العُلومُ وقد تَقومُ فتُصرَعُ
أَلقَى عليها المالُ هَيبةَ سيفِهِ … فمَضَتْ تَصيحُ وَوَيحَها مَن يَسمَعُ
هذا هوَ المَلِكُ العظيمُ فإنَّهُ … في الأَرضِ تَخدِمُهُ الخلائِقُ أَجمَعُ
وهوَ القديرُ الآمِرُ الناهي الذي … يَنهَى ويأمُرُ مَن يشاءُ فيَخضَعُ
في كلِّ أَهواءِ النفوسِ تَصَنُّعٌ … إلَّا هَواهُ فليسَ فيهِ تَصَنُّعُ
ولِكُلِّ شَهوةِ راغبٍ شِبَعٌ سِوَى … مَن يَشتَهيهِ فانهُ لا يَشبَعُ
حاشا الأَميرِ منَ المَلامِ فانَّهُ … في غيرِ كَسبِ فضيلةٍ لا يَطمَعُ
لا تَحسَبَنَّ المُستحيلَ ثلاثةً … فنظيرُهُ للمُستحيلِ يُربِّعُ
يا أَيُّها العَلَمُ الرفيعُ مَقامُهُ … في كلِّ أَمرٍ وهوَ لا يترَفَّعُ
إنْ قُلتَ هذا شاعرٌ يَغلو فإنْ … شَهِدَتْ معي الدُنيا فماذا تَصنَعُ

وقال يجيب الشيخ محمد الموقّت عن ابيات ارسلها اليهِ

مَن كانَ كاتبَ نونِ هذا الحاجبِ   هيهات ليستْ من صناعةِ كاتبِ
ومَنِ الذي خضبَ الخُدُودَ بحمرةٍ   ياميّ أم ليستْ بصبغةِ خاضبِ
بأبي التي من آلِ بدرٍ وجهُها   ولحاظُها من رهطِ آلِ محاربِ
تغزو كما تغزو الكماةُ وانما   تدعُ العدى وتريدُ غزوَ الصاحبِ
قُلْ للتي نهبتْ فؤادَ محبِّها   بئسَ الغنيمةُ نهبُ قلبٍ ذائبِ
نهبتْ خلاصةَ مالِها من بيتِها   نفسي فداكِ فأينَ ربحُ الناهبِ
كم بينَ مَن يجفو الخليطَ وبينَ من   يصبو الى حبِّ البعيدِ الغائبِ
مَن كانَ يهوى فليكنْ كمحمدٍ   يهوى ويهوى بالخليقِ الواجبِ
ذاكَ الذي منهُ المحبّةُ نحوَنا   قطعتْ سباسبَ أُردفتْ بسباسبِ
كلُّ الصحابِ نريدُ تجربةً لهم   وهوَ الغنيُّ عنِ امتحانِ تجاربِ
أهدى اليَّ رسالةً آمنتُ عن   ثقةٍ بها لما أتتْ بعجائبِ
حملتْ على ضعفٍ بها من صبوةٍ   ما ليسَ تحملُهُ متونُ نجائبِ
عربيّةٌ جاءت بلطفِ حواضرٍ   من رقةِ المعنى ولفظِ أعاربِ
نقشتْ سواداً في البياضِ كانهُ   نقشُ الغوالي في وجوهِ كواعبِ
يا من دعا فأجابَ قلبي طائعاً   لبَّيكَ من داعٍ عزيزِ الجانبِ
ذاكَ ابتداءٌ ما لهُ من ناسخٍ   ولهُ ارتفاعٌ ما لهُ من ناصبِ
أنتَ الوفيُّ الصادقُ الحُبِّ الذي   يبقى على طولِ الزمانِ الكاذبِ

ولقد توازنت المحبة بيننا كتوازن الأجزاء في المتقارب
حملتني من فضل جودك منة عظمت ولكن ليس تثقل غاربي
منن الكرام على الرجال خفيفة اذ ليس من عيب بهن لعائب

وقال يجيب جبرائيل افندي صدقة عن بديعية امتدحه بها

خود من العرب عافت شيمة الكرم تضنّ حتى بحرف النفي في الكلم
قد اتهمتني بذنب لست أعرفه وأكثر الظلم في الدنيا من التهم
عاتبتها فأشاحت غير ناطقة كأنها من بنات الفرس والعجم
وما عجبت فقد كان العذول بها يقول سبحان من أبلاك بالصمم
ما لي وما لكلام العاذلين فكم من ناصح يتلقى البرء بالسقم
وأكثر القول ظنّ لا ثبات له وأكثر الظن وهم زاهق القدم
من يصحب الدهر يعرف حالتيه ومن يعاجل الأمر لا يخلو من الندم
ومن يسل عن أخ يرعى الذمام فقل جبريل من صدقات الله ذي النعم
ذاك الصديق السليم القلب من وضر والصادق البارع الآداب والشيم
له على الدهر عهد غير منتقض قربًا وبعدًا وودّ غير منثلم
مهذب العقل لا يحتاج معذرة ويقبل العذر من لطف ومن كرم
ولا يضيق له صدر بنائبة ولا يميل له عطف مع النسم
هو البديع الذي فاق البديع وقد أهدى البديع كدرّ منه منتظم

قد حمّلَ القلبَ شكراً ليس يحملهُ فهبَّ مستنجداً باللوحِ والقلمِ
أولى الجميلِ بحمدٍ ما بدأتَ بهِ اذا أضفتَ اليهِ حسنَ مختتمِ
وأحسنُ الأمرِ ما سرَّتْ عواقبهُ كالصبحِ ينسي ضياهُ سالفَ الظلَمِ
زدني من الشعرِ ياجبريلُ فاكهةً ودعْ ثناكَ لمنْ لاقَ الثنا بهمِ
منْ عوّدتْ أذنهُ سمعَ المديحِ لهُ تعوَّدَ الناسُ منهُ سمعَ مدحِ فمِ

وقال يمدح الامير محمد رسلان ويهنئهُ بعيد الفطر

خذُوا حذرَكم من طرْفهِ فهْوَ قتّالُ ولا تطمعوا في عطفهِ فهْوَ ميّالُ
ولا تعجبُوا للندّ في صحْنِ خدّهِ فمن فوقهِ نونٌ ومن حولهِ دالُ
مليحٌ تُباعُ الرُوحُ في سوقِ حبّهِ وليسَ سوى تلكَ اللواحظِ دلّالُ
منَ الغيدِ بردٌ لا سلامٌ بثغرهِ فأصبحَ فيهِ يجمعُ الماءُ والآلُ
جرَى عرقٌ في خدّهِ لالتهابهِ فذلكَ ماءُ الوردِ في الخدّ سيّالُ
وقد قطرَتْ اذخطّتِ السحرَ عينهُ منَ الحبرِ فيهِ نقطةٌ إسمُها الخالُ
غزالٌ تغزّلْنا بغازلِ طرْفهِ فغازلَنا منهُ غزالٌ وغزّالُ
طَمِعنا على جهلٍ بعسّالِ ثغرهِ وكم دُونَ عسّالِ المراشفِ عسّالُ
يَقُولونَ لي ما أنتَ والغزَلَ الذي عليكَ بهِ أهلُ الشهامةِ عذّالُ
عليكَ حقوقٌ للأميرِ فقمْ بها ودَعْ عنكَ هذا اللغْوَ يانِعْمَ ما قالوا
سَلامٌ على وَجهِ الأميرِ محمّدٍ يُحيّاً بهِ من أجلهِ الصحْبُ والآلُ
عزيزٌ علينا كلُّ ما ينتمي الى عزيزٍ فدَتْهُ النفسُ والأهلُ والمالُ

أَتُوقُ الى تِلكَ الدِيارِ كأنني غريبٌ عليهِ طالَ في الدَهرِ تَرْحالُ
وأَطرَبُ لليومِ الذي نلتقي بهِ كمجهودِ شهرِ الصومِ إِذ هلَّ شوَّالُ
تَغرَّبتُ عن غربٍ هوَ الشرقُ عندَنا فما الشَرقُ إِلاَّ حيثُ للصُبحِ إِقبالُ
هُنالِكَ صُبحٌ لا ظَلامَ وَراءَهُ يَلوحُ بهِ وَجهٌ وقَولٌ وأَعمالُ
فياوَطَني إِن فاتني بكَ سابقٌ من الدهرِ فلينْعَمْ لساكِنكَ البالُ
ويا دارَهُ بالغَربِ إِنَّ مَزارَها بعيدٌ ولكن دُونَهُ ليسَ أَهوالُ
لَنا من أَبيهِ نِعمةٌ طالَ ذَيلُها فمـا بَرِحَتْ منهُ تُجرِّرُ أَذيالُ
ظَنَنَّا الليالي لا تَجُودُ بِمِثلِهِ فجادَتْ بمِثلٍ لا تُدانيهِ أَمثالُ
أَصحُّ كَلامٍ مَدحُهُ فهوَ مذهبٌ لَنا فيهِ قولٌ واحدٌ ليسَ أَقوالُ
وأَشهَرُ شيءٍ أَنَّهُ فَرْدُ عصرِهِ فذلكَ تَدريهِ شُيوخٌ وأَطفالُ
يُخبِّرُ عن أَيامِ عادٍ وجُرهمٍ كمَن مرَّ أَجيالٌ عليهِ وأَجيالُ
ويَحفَظُ مـا يَبْقى على لوحِ صَدرِهِ كحِبرٍ بهِ في اللَوحِ يُرسَمُ تِمثالُ
لهُ في أَفانينِ الكَلامِ تَصرُّفٌ وفي الشعرِ إِحسانٌ وفي النَثرِ إِجمالُ
ونَفعٌ وَضرٌّ عِندَهُ غيرَ أَنَّهُ الى النفعِ مِعجالٌ عَنِ الضرِّ مِكسالُ
نُهنيهِ بـالعيدِ الخَليقِ لهُ الهَنـا بهِ فعليهِ منهُ للزَهوِ سِربـالُ
ولو كانَ هذا العيدُ يَملِكُ أَمرَهُ أَتَى كلَّ يومٍ زائِرًا وَهوَ يَختالُ
قَسَمْنا جَميلَ القولِ والفعلِ بينَنا فمِنِّي لهُ قَولٌ ولي منهُ أَفعـالُ
ولكن تَقـاسَمْنا فَجارَ فكُلَّمـا أَتَى دانِقٌ مِنِّي أَتَى منـهُ مِثقـالُ

وقال يرثي السيد عمر بيهم

زُرْ تربةً في الحِمى يا أيُّها المَطَرُ وقُلْ عليكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ

ان كنتَ تُنبتُ زَهراً حَوْلَ مَضجعهِ فليسَ تَكثُرُ فيهِ الأَنجُمُ الزُهُرُ

هذا الذي كان رُكناً يُستعانُ بهِ على الخُطوبِ ويُرجَى عِندَهُ الظَفَرُ

وكانَ بحراً ولكنْ غيرَ مُضطرِبٍ وكانَ فخراً ولكنْ ليسَ يفتخِرُ

في شخصهِ الدِينُ والدُنيا قد اجتَمعا وذاكَ يندُرُ أَنْ تحظَى بهِ البَشَرُ

يرعَى اذا اتَّفقَا هٰذا وتلكَ فإِنْ تخالَفا فلِهٰذا عِندَهُ النَظَرُ

مُهذَّبُ الخُلقِ ما في خُلقهِ أَوَدٌ مُطهَّرُ القلبِ ما في قلبهِ وَضَرُ

أَرضى الالٰهَ فأَرضاهُ بِمِنَّتِهِ مُنذُ الحَداثةِ حتى مسَّهُ الكِبَرُ

كانت مَنيَّتُهُ للناسِ موعِظةً اذ كانَ طَوْداً عظيماً دكَّهُ القَدَرُ

لم يحمِهِ الشَرَفُ الأَعلى بحُرمتِهِ والآلُ والصَحْبُ والأَملاكُ والبِدَرُ

ساروا بهِ فوقَ نَعشٍ بَلْ حامِلَهُ من ماءِ دمعٍ عليهِ كان يَنحدِرُ

حتى أَفاضُوا الى ارضٍ مُبارَكةٍ تُتلَى بها فوقَهُ الأَورادُ والسُوَرُ

حديقةٌ طَبَّقَتْها الناسُ من بَلَدٍ خلا فلم يبقَ في أَبياتِهِ نَفَرُ

طافوا بتابوتِهِ مثلَ الحجيجِ بها كأَنَّها حَرَمٌ في وَسْطِهِ الحَجَرُ

مضى الى رَبِّهِ الغفَّارِ معتصماً بلُطفهِ تحتَ ذيلِ العَفْوِ يَستتِرُ

وأَقفرَتْ منهُ دارٌ اظلَمَتْ كَمَداً حتى استوَى في ذَراها الليلُ والسَحَرُ

يا أَيُّها الناسُ قد طالَ الرُقادُ على عينٍ لقد حانَ أَنْ ينتابَها السَهَرُ

لا تغفلوا طمعاً في العيشِ وانتبهوا إنَّ المنايا على الأبوابِ تنتظرُ
في كل يومٍ من الموتى لنا عبرٌ تبدو ويا حبّذا لو تنفعُ العبرُ
قمنا على سكرةِ الدنيا الغرورِ فما نفيقُ الاّ وداعي الموتِ ينتهرُ
كلٌّ منَ الناسِ يهواها فتخدعهُ حتى يموتَ ولا يقضى لهُ وطرُ
شابَ الزمانُ وشبنا وهيَ يافعةٌ لم يبدُ للشيبِ في فرعٍ لها أثرُ
يا مغرمينَ بها ان لم يكنْ لكمُ خبرٌ يفيدُ فهل لم يأتِكم خبرُ
كلُّ الغرامِ مضرٌّ قال مزدوجاً تـاريخهُ هل غرامٌ مـا لهُ ضررُ
١٢٧٦ ١٢٧٦

وقال يمدح فؤاد باشا عند حضورهِ الى بيروت لاصلاح سورية

قد مدَّ خطَّ عذارهِ فأجادهُ يا ليتَ ذوبَ القلبِ كانَ مدادهُ
رشأٌ تقلّدَ من شفارِ جفونهِ سيفاً ذوابتهُ تكونُ نجادهُ
طرفٌ غدت كاللامِ منهُ أضلعي لمّا رأتْ عيني السخينةُ صادهُ
ألقى على رأسي السخيفِ بياضهُ ورمى على حظي الضعيفِ سوادهُ
متحجبٌ جعلَ المدامعَ في الهوى ماءً لمن جعلَ الصبابةَ زادهُ
ما زلتُ أسألُ عن مريضِ جفونهِ ماذا على طرفي ترى لو عادهُ
في خدّهِ النارُ التي قد أحرقتْ قلبي ولم تردُدْ عليَّ رمادهُ
أهديتُ وجنتهُ فؤادي مثلما أهدى لنا البابُ العليُّ فؤادهُ

هٰذا فُؤادُ المُلكِ أدرَكَ قُطرَنا | بالشامِ يُصلِحُ بالرَشادِ فَسادَهُ
نادَى مُنادِي العَرشِ يومَ قُدومِهِ | أليومَ قد رَحِمَ الالهُ عِبادَهُ
وَعَدَ الالهُ لكلِّ كَرْبٍ فَرْجةً | واللهُ ليسَ بمُخلِفٍ ميعادَهُ
مَوْلًى يُؤَدِّبُ عبدَهُ بجِراحِهِ | لكنْ يُهيِّئُ قبلَ ذاكَ ضِمادَهُ
طُبِعَ الأَنامُ على الخِصامِ سَجِيَّةً | في كلِّ شَعْبٍ وارثًا أجدادَهُ
لا يَستَبيحُ الوَحشُ قتلَ نظيرِهِ | والإِنسُ يَقتُلُ تارةً أولادَهُ
قَدِمَ الوزيرُ وقد تَضرَّمَتِ اللَظَى | في الأَرضِ إذا أَورَى الفَسادُ زِنادَهُ
فأَفاضَ لُجَّتَهُ على أركانِها | فَورًا فأَطفأَ جَمرَها وأَبادَهُ
خَطْبٌ شديدٌ قد تَلَقَّاهُ القَضا | بأَشدَّ منهُ هادِمًا ما شادَهُ
قد كانَ مَرصُودًا على أقفالِهِ | واليومَ فَكَّ مُحمَّدٌ أرصادَهُ
مسعودُ وَجهٍ حيثُ سارَ رِكابُهُ | كانَتْ مَلٰئكةُ السما أجنادَهُ
هَيهاتَ أَنْ يُنْجِي الفِرارُ طَريدَهُ | يومًا ولو كانَ البُراقُ جَوادَهُ
قد أَرقَدَ الأَجفانَ تحتَ أَمانِهِ | جَفْنٌ لهُ طَرَدَ الحِفاظُ رُقادَهُ
يَقْظانُ يَستقصي الأُمورَ بنَظْرَةٍ | تَطوِي وتَنشُرُ شَرْقَنا وبِلادَهُ
عَمَّ البَلاءُ رِجالَهُ وعِيالَهُ | وجِبالَهُ ورِمالَهُ ووِهادَهُ
فأَتاهُ مَنْ أَعطَى الأَمانَ لخائفٍ | واخافَ مَن كانَ الأَمانُ وِسادَهُ
أَلقَى على نارِ الضَغينةِ بَرْدَهُ | والى العُراةِ بُرودَهُ ومِهادَهُ
قد أَصبحَتْ كلُّ البِلادِ عِيالَهُ | اذ كانَ يَرزُقُ كلَّها إِمدادَهُ

هٰذا أَمينُ الدَولةِ الراعي الذي جَعَلَ الصيانةَ حجَّهُ وجهادَهُ
أَعطاهُ معنٌ حلمهُ لٰكنَّهُ لم يعطِ معناً حزمَهُ ورَشادَهُ
كُلٌّ يُلاحِظُ في الحَياةِ معاشَهُ يا مَن يُلاحِظُ قبلَ ذاكَ معادَهُ
أَللّهُ يَفعَلُ ما يُرِيدُ بخَلقِهِ واذا أَرادَ فمَن يَرُدُّ مُرادَهُ
لكَ يَنبغي الشعرُ الذي لا يَنبغي لسِواكَ يامَن قد رَفَعتَ عِمادَهُ
هَيَّجتَ لي شَوقاً اليهِ وكُنتُ قد أَهمَلتُهُ لَمَّا رأَيتُ كَسادَهُ
قد قَلَّ مَن أَنشَدتُهُ شِعراً فلم أَندَمْ عليهِ مُحرِّماً إِنشادَهُ
حتى أَتَيتَ فقالَ لي مِضمارُهُ نبِّهْ يَراعَكَ أَنْ يُجِدَّ طِرادَهُ

وقال مؤرخاً تقليدهُ منصب الصدارة العظمى

دَعِ الحُزنَ في الدُنيا وبَشِّرْ عِبادَها فعبدُ العزيزِ اليومَ فَكَّ حِدادَها
قَدِ اختارَهُ اللهُ الذي هوَ عَبدُهُ خَليفتَهُ عن حِكمةٍ قد أَرادَها
فقامَ بأَمرِ اللهِ في عَرشِ دَولةٍ أَعَزَّ مَبانيها وأَعلى عِمادَها
وأَلقى لدى تاريخِهِ عينَ جُودِهِ فقَرَّرَ في صَدرِ البِلادِ فؤَادَها
سنة ١٢٧٧

وقال يهنئهُ بشفائهِ من رفسة جوادٍ اصابت رجلهُ

شَكا مَن أَذهَبَ البَلوى وزالت بحِكمتِهِ شِكاياتُ البِلادِ
وما قَدَرَ الزَمانُ على يَدَيهِ فصادَمَ رِجلَهُ بيَدِ الجَوادِ

تحجَّبَ كالسرارِ فعادَ بَدْرًا ... وكانَ لِقاهُ أَشهى في المَعادِ
وما ٱحتجبتْ لوائحُهُ فكانت ... كضوءِ الفجرِ دُونَ الشمس بادِ
رَسُولٌ رَدَّ قوماً عن ضَلالٍ ... فقادَهُمُ الى سُبُلِ الرَشادِ
ونادَى بينَهم يا قومُ إنّي ... أخافُ عليكمُ يومَ التنادِ
عَبثتم بالكِتابِ وقد لَطختم ... بَياضاً للحنيفةِ بالسَوادِ
وقُمْتُم في البِلادِ كقوم عادٍ ... ولستُم في شريعةِ قومِ عادِ
أَتَى الأَعرابَ من أبناءِ تُركٍ ... سَمِيٌّ مُحَمَّدٍ للخَلْقِ هادِ
تَلقَّى ما بهِ الأَعجامُ فاهت ... وما نَطقَتْ بهِ عُربُ البَوادي
لهُ في الناسِ حُسَّادٌ على ما ... يَرَونَ بهِ وليسَ لهُ أَعادي
يُجازِي كُلَّ ذي ذَنبٍ بعَدْلٍ ... فيَعذِرُهُ ويَبقَى في الوِدادِ
وَزيرٌ في طريقِ اللهِ يَسعَى ... فليسَ يُريدُ ظُلماً للعِبادِ
بهِ عاشَتْ بقايا آلِ عيسى ... كذاكَ العَيشُ يحصُلُ بالفُؤادِ

وقال في رسالةٍ بعث بها اليهِ

غابَ الفُؤَادُ ولم تَغِبْ آثارُهُ ... ذاتُ الجَمالِ ولم يَغِبْ إمدادُهُ
تَرَكَ البِلادَ كأَنَّهُ القلَمُ الذي ... تَرَكَ الكِتابَ وقامَ فيهِ مِدادُهُ
وَلَّى وآثارُ العَدالةِ زادُنا ... منهُ وأَدعِيَةُ المَوَدَّةِ زادُهُ
نقشَ ٱسمَهُ لُبنانُ فوقَ صُخورِهِ ... لا يَنمَحِي حتى يَذُوبَ جَمادُهُ

أَلقى عليهِ وَحشةً في طيّها شوقٌ طويلٌ تشتكيهِ بلادُهُ
لا تسأَلوا عن حالها من بعدهِ ما حالُ من قد غابَ عنهُ فؤادُهُ

وقال يمتدح خليل افندي ايوب كاتب يد الوزير المشار اليهِ

جمعتَ من أَفضلِ الأَسماءِ في القِدَمِ بينَ الخليلِ وأَيوبٍ لدى الأُمَمِ
ونلتَ في اللُطفِ سِرًّا طابَ عُنصُرُهُ فكانَ من حاسديهِ أَلطفُ النَسَمِ
هذا اليَراعُ الذي استخدمتَ عامِلَهُ قامتْ لديهِ سيوفُ الهندِ كالخَدَمِ
لوِ ابتغى لكَ ياقوتٌ مفاخرةً لكذَّبتهُ شهودُ النونِ والقلمِ
قدِ اصطفاكَ فؤادُ المُلكِ مُنتخِباً وَهوَ الدليلُ على ما فيكَ من شِيَمِ
وظاهرُ الفعلِ بُرهانٌ لصاحبِهِ أَقوى وأَجلى من البُرهانِ في الكَلِمِ
أَعطاكَ رُتبةَ فخرٍ أَنتَ موضِعُها إِنَّ الكريمَ ليَدري موضعَ الكرَمِ
عظيمةٌ من عظيمٍ كانَ مصدرُها الى عظيمٍ فكانَتْ مجمعَ العِظَمِ
يا مَن يَليقُ بهِ منا الثناءُ كما للهِ لاقَ بهِ شُكرٌ على النِعَمِ
لم أَمتدِحْ لكَ فضلاً قصدَ شُهرتهِ فذاكَ أَشهَرُ من نارٍ على عَلَمِ
أُهدي لكَ ابنةَ فِكرٍ بنتَ ليلتِها فإِنْ وجدتَ بها قِصرًا فلا تَلُمِ
تضمنَتْ من صِفاتِ المدحِ أَفضلَها اذ قالتِ الحقَّ واستغنَتْ عنِ التُهَمِ

وقال وقد كتب بها الى احد اصدقائه في دمشق على اثر الفتنة التي حدثت بها سنة ١٨٦٠ يشير فيها الى واقعةٍ جرت له

الحمدُ للهِ منَّ اللهُ بالفرَجِ على المُصابِ بلا إثمٍ ولا حرَجِ
على الذي لم يكن ذنبٌ عليهِ سوى صَوْنِ المنازلِ والأموالِ والمُهَجِ
مَنْ لم تزَلْ مثلَ إبرٰهيمَ جيرتَهُ وَسْطَ اللهيبِ ولا تؤْذى من الوَهَجِ
مَنْ هَمُّهُ في اصطناعِ الخيرِ مُجتهِدًا وَهَمُّ مَنْ دونَهُ في فعلهِ السَمِجِ
مُحمّدُ الأحمدُ المحمودُ مَخْبَرُهُ بينَ الوَرَى بلسانٍ صادقٍ لَهِجِ
طَلْقُ الجَبينِ كريمُ الراحتَينِ لهُ عظيمُ شأنٍ بروحِ اللُطفِ مُمتزِجِ
غَضُّ الصِبى تُخجِلُ الأشياخَ حكمتُهُ مؤيَّدُ النُطقِ بالبُرهانِ والحُجَجِ
شرابُهُ العلمُ في كُتْبٍ تُنادِمُهُ سِرًّا فيطرَبُ لا بالعُودِ والهزَجِ
كم من أيادٍ لهُ ما زلتُ أذكرُها ونعمةٍ لستُ أنساها مدَى الحِجَجِ
أنا لهُ كيفما دارَ الزمانُ بهِ ومعهُ حيثُ استوَى فيه منَ الدرَجِ

وقال يجيب سليمان افندي الصولي عن قصيدةٍ ارسلها اليهِ

تذكّرتُ صَفوَ زمانٍ عبَرْ فأنكرتُ تبديلَهُ بالكدَرْ
ولكنْ رَضيتُ بحُكمِ القضاءِ وسلّمتُ أمري لحُكمِ القدَرْ
صبَرتُ على الدهرِ مُستصغِرًا لما فيهِ واللهُ مع مَنْ صبَرْ
وماذا ترَى فيهِ من واقعٍ وماذا ترَى فيهِ من مُنتظَرْ
نهارٌ يزُولُ فيأتي الظَلامُ وشمسٌ تغيبُ فيبدو القمَرْ

وما بينَ ذلكَ زيدٌ يقيمُ زماناً وعمروٌ يريدُ السفرْ
وما بينَ هذا وذاكَ ترى العينَ م تمضي ويمضي وراها الأثرْ
وليسَ على الأرضِ باقٍ سوى خبايا التُّقى في كنوزِ البشرْ
تولى على الناسِ حكمُ الغرورِ فتاهوا ضلالاً وغضّوا النظرْ
يهونُ عليهم خطابُ الخطيبِ وقد هانَ خطبُ اعتبارِ العبرْ
ومن لا يبالي بوخزِ الرماحِ فكيفَ يبالي بغرزِ الإبرْ
ترى البعضَ يهوى جمالَ البدورِ م والبعضَ يهوى نوالَ البدرْ
ويندرُ من كانَ يهوى العلومَ ولا حكمَ يبنى على ما ندرْ
تولى سليمانَ وجدٌ بها ومدَّ اليها حديدَ البصرْ
وقد غاصَ في أبحرِ الشعرِ منذُ صباهُ يريدُ التقاطَ الدررْ
طليقُ الأعنةِ في لفظهِ رقيقُ المعاني شهيُّ السمرْ
يشنِّفُ أسماعنا بالفنونِ إذا جالَ في نظمهِ او نثرْ
يلبيهِ خاطرُهُ مسرعاً كتلبيةِ العُربِ أهلِ الوبرْ
ويبغي لألفاظهِ رقةً كما تبتغي شعراءُ الحضرْ
كساني رداءَ الثناءِ الذي غلا في التوسعِ فوقَ القدرْ
فجدَّدَ من صبوتي ما مضى وآنسَ من خاطري ما نفرْ
أثارَ بقلبي القريضَ الذي يثيرُ السحابَ وينسى المطرْ
هوَ العودُ لا ثمرٌ عندهُ وما ينفعُ العودُ دونَ الثمرْ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز حين جلوسهِ على سرير المملكة

ماذا شعوبُ بني عثمانَ تنتظرُ قد عادَ منتصباً في ملكهِ عمرُ
وجدَّدَ اللهُ في أيامِ دولتهِ عهدَ الصحابةِ حيثُ العدلُ ينتشرُ
هذا هوَ الملكُ المحيي العبادَ كما يحيي البلادَ ويعطي خصبها المطرُ
ما قامَ في ارضنا من قبلهِ ملكٌ يرضى بهِ اللهُ والأملاكُ والبشرُ
في الارضِ عبدُ العزيزِ اليومَ زينتُها ومثلُهُ في السماءِ الشمسُ والقمرُ
ان كانَ قد أظلمتْ أيامُنا قدماً فقلْ لها استبشري قد أشرقَ السحرُ
خليفةُ اللهِ ظلٌّ في خليقتهِ ظلّت بهِ تتّقي الدنيا وتستترُ
لا ترتضي غيرهُ الدنيا لها ملكاً لو كانَ جبريلُ يأتيها أوِ الخضرُ
مهذَّبُ النفسِ صافي القلبِ طاهرُهُ مؤيَّدُ العزمِ ماضي الأمرِ مقتدرُ
ينالُ بالصحفِ والأقلامِ حاجتَهُ منَ الجيوشِ فتلكَ البيضُ والسمرُ
لا يلحقُ الفعلَ من أفعالهِ ندمٌ ولا يُلامُ على أمرٍ فيعتذرُ
ولا يُعابُ لهُ سرٌّ ولا علنٌ ولا يزيغُ لهُ سمعٌ ولا بصرُ
مقلَّدٌ فوقَ أثوابٍ مضاعفةٍ من خشيةِ اللهِ سيفاً صاغهُ القدرُ
مذَرَّبُ النصلِ مكتوبٌ بصفحتهِ اذا دنا أجلٌ لا ينفعُ الحذرُ
كلُّ السلاطينِ في أجيالها شجرٌ عبدُ العزيزِ على أغصانِها ثمرُ
ملائكُ العرشِ ترعاهُ وتخدمهُ والسعدُ في بابهِ يمسي ويبتكرُ
تُثني عليهِ بأقلامٍ وألسنةٍ لكنْ مطوَّلُها في الحقِّ مختصرُ

إِذا طَلَبْنا منَ الباري لَنا وَطَرًا فلَيسَ إِلاَّ بقَاهُ عِندَنَا وَطَرُ

وقال في عيد مولده

يا أَيُّها الناسُ هذا مَولِدُ القَمَرِ في نِصفِ شَعبانَ يُهدِي البِشْرَ للبَشَرِ
قد أَولَدَ اللهُ سَعدًا يومَ مولِدِهِ لَنا كما نَقتَضِيهِ حِكمَةُ القَدَرِ
يومٌ جرَى منهُ نحوَ المُلكِ صاحبُهُ جَرْيَ البُدُورِ الى نُورٍ منَ الغُرَرِ
قد أَوجدَ اللهُ فيهِ رَحمةً ظَهرَتْ في كلِّ أَرضٍ ففاقَتْ رَحمةَ المَطَرِ
عِيدٌ لعبدِ العزيزِ اليومَ قد ضُرِبَتْ فيهِ البشائِرُ بينَ السَمعِ والبَصَرِ
كَسا الجِبالَ بأَثوابِ البَياضِ كما كَسا السُهولَ بِثَوبِ الخُضرةِ النَضِرِ
عيدٌ بهِ قامتِ الأَنوارُ ساطِعةً في ليلةِ البَدْرِ حتى مَطلَعِ السَحَرِ
نابَتْ عَنِ الشمسِ فاستَخفَى ببَهجتِها ما كانَ للبَدْرِ من ضَوءٍ عنِ النَظَرِ
قد صارَتِ الأَرضُ فيها كالسَماءِ بها بَرْقٌ ورَعدٌ وشُهْبٌ ضَخمةُ الشَرَرِ
وسَبَّحَتْ خُطَباءُ الناسِ حاكيةً مَلائكَ العَرْشِ في الآصالِ والبُكَرِ
للهِ دَرُّ بني عُثمانَ من فئةٍ جلَّتْ فما تَرَكَتْ فخرًا لمُفتخِرِ
اذا مَضَى كوكبٌ منها أَتى قَمَرٌ وان مَضَى قَمَرٌ فالشمسُ في الأَثَرِ
قد قامَ من أَصلِها عبدُ العزيزِ لَنا فَرْعًا كريمًا عظيمَ الخُبْرِ والخَبَرِ
اذا ذَكَرنا مُلوكَ العَصرِ كانَ لهم صَدْرًا كفاتحةٍ في أَوَّلِ السُوَرِ
يدعولهُ كلُّ مَن صلَّى لخالقِهِ بالسَعدِ والعِزِّ والإِقبالِ والظَفَرِ

فلا يزالُ بحَوْلِ اللهِ مقتَدِرًا وطالما أرَّخوهُ بالغَ الوَطَرِ

سنة ١٢٧٩

وقال يمدحه ايضًا

نادى حِمى المُلكِ حَسْبي عِزَّةً وكَفى الى متَى وبماذا أَطلُبُ الشَرَفا

عبدُ العزيزِ تولاّني فكُنتُ بهِ كصاعدٍ دَرَجًا لَمَّا انتهى وقفا

قُلْ للَّذي يشتكي غَدْرَ الزمانِ بنا مَهْلاً أَلَسْتَ ترَى كيفَ الزمانُ وَفى

أَفادَنا فوقَ ما ترجوهُ أَنفُسُنا حتى أَقامَ علينا أَفضَلَ الخُلَفا

هل مِثلُ عبدِ العزيزِ اليومَ من مَلِكٍ كَلّاً ولا كانَ في الدهرِ الذي سَلَفا

شخصُ الكَمالِ كأَنَّ اللهَ صوَّرَهُ من معدِنِ اللُطفِ لاطِينًا ولاخزَفا

أَحيَا الصَحابةَ عَدْلاً عَصرُ دَولتِهِ كأَنَّما فيهِ صُورُ البَعثِ قد هتَفا

لو أَمكَنَ البَحرَ أَنْ يهديهِ جوهرَهُ لم يُبقِ في جَوفِهِ دُرًّا ولا صدَفا

هذا الخليفةُ ظِلُّ اللهِ منبسِطًا في أَرضِهِ لِعِبادِ اللهِ مُكتنفا

عِنايةُ اللهِ ترعى مجْدَ دولتِهِ والسعدُ في بابِهِ المرفوعِ قد عكَفا

الواسعُ المُلكِ قد عَمَّتْهُ رَحمَتُهُ فلم تَفُتْ وَسَطًا منهُ ولا طَرَفا

والثاقبُ الفِكرِ لو كانت إِنارتُهُ في البدرِ ما مسَّهُ نَقصٌ ولا خُسِفا

في كفِّهِ سيفُ عَدلٍ طالَ قائمُهُ في غِمْدِ حِلمٍ بخَلْقِ اللهِ قد لَطَفا

فحيثُما وَجَبَ الفتكُ الرَهيبُ سَطا وحيثُما احتمِلَ الصفحُ الجميلُ عفا

يا من بهِ تُضرَبُ الأَمثالُ في زَمَنٍ قد طابَ فيهِ لَنا كأْسُ الهَنا وَصفا

لقد تقدمتَ ما بينَ الملوكِ كما تُقدِّمُ الناسُ بينَ الأحرُفِ الألفا

تَرُومُ وَصفَكَ في ما أنتَ حائزُهُ فتغلبُ الوَصفَ منا والذي وَصفا

فلا تزَلْ غالباً باللهِ منتصِراً تُولِي الجميلَ وتستَولي الثنا خلفا

وقال مؤرِّخاً جلوسهُ بهذين البيتين

عبدُ العزيزِ روَى جاهاً مؤرِّخهُ يُهدِي حِساب جَميلِ البِشرِ للبشَرِ

فرْعاً لعثمانَ ملكُ الآلِ عزَّ بهِ لازالَ بالخيرِ يُهدَى كامِلَ الوَطرِ

وهما يتضمنان ثمانية وعشرين تاريخاً . وذلك ان كل مصراعٍ منهما برُمّتهِ تاريخ . والحروف المُعجمة من كل مصراعين من مصاريعهما الاربعة تاريخ . ومثلها الحروف المُهمَلة . فيجتمع من ذلك ستة عشر تاريخاً . وكذلك المُعجمة مع المُهملَة والمُهملة مع المعجمة فيجتمع اثنا عشر . ويكون المجموع ثمانية وعشرين كما يظهر بالامتحان

وقال يهنئ الامير مجيدًا الشهابيَّ بتقليده الولاية

اليومَ رَبُّكَ أعطى القوسَ باريها وأسكنَ الدارَ بعدَ الهجرِ بانيها

وجدَّدَ الدولةَ الشهباءَ مرتجعاً ما غابَ بالأمسِ عنَّا من دَراريها

لا يَترُكُ الدهرُ عيناً لادُموعَ بها ولا دُموعاً بِلا مَسحٍ يُوَاتيها

يَنامُ حيناً ولكنْ بعدَ نَومتهِ لا بُدَّ من يقظةٍ يصحو لَنا فيها

يا طُورَ لُبنانَ لاتَشكُ الظَماءَ فقد عادَتْ مياهُكَ تجري في مجاريها

عادَ الشِهابُ الى أنوارِ طَلعتهِ في أرضِكَ اليومَ فأبيضَّتْ لياليها

هُوَ المجيدُ الشهابُ أسماً على لقبٍ ... يجري وألفاظُهُ تحكي معانيها
رأسُ العشائرِ في لبنانَ قاطبةً ... اليهِ تبسُطُ عن طوعٍ أياديها
لا يستحي أحدٌ من لثمِ راحتِهِ ... في أرضِ لبنانَ من أعلى نواصيها
ولا يرى أحدٌ عيباً بطاعتِهِ ... فيها وتدعوهُ مولانا مواليها
نسلُ البشيرِ الذي الدنيا بهِ لهجتْ ... وذِكرُهُ شاعَ دهراً في أقاصيها
يفنى الزمانُ ويبقى ذِكرُ دولتهِ ... في الارض ينشرُ أجيالاً ويطويها
يا أيُّها القائمُ المرفوعُ منصبُهُ ... من دولةٍ نظرُ الرحمنِ راعيها
بُشرى البلادِ التي أصبحتَ حاكمَها ... بُشرى منازلِها بُشرى أهاليها
أنتَ الأميرُ الذي مازالَ يأمرُ بال ... معروفِ نفساً عنِ الأوزارِ ناهيها
رُكنُ البلادِ الذي اعتادتْ سيادتَهُ ... دهراً فكانت كبعضٍ من رواسيها
فتحٌ قريبٌ منَ اللهِ الكريمِ أتى ... لبابِ دولةِ مجدٍ صرتَ واليها
نشرتُ صحفاً منَ التاريخِ شائعةً ... في نظمِ تاريخهِ ضاءَت لآليها

سنة ١٨٦١ ... سنة ١٢٧٨

وقال يمدح الخديوي اسمعيل باشا حين تولى تخت القاهرة

دَعِ النسيبَ وجانِبْ جانبَ الغزلِ ... فإنّنا بالتهاني اليومَ في شغُلِ
بِشارةٌ طفحتْ من أرضِ مصرَ على ... جوانبِ الشام فوقَ السهلِ والجبلِ
قامَ المُظفَّرُ إسماعيلُ منتصباً ... في عرشها كقيامِ الشمسِ في الحملِ

لاحَتْ طوالعهُ فيها فقلتُ لهـا يا أَسعَدَ الارضِ هذه اسعدُ الدُوَلِ
هذا العزيزُ ابنُ إبرهيمَ نِسبتهُ تُصاغُ من أَولياءِ اللهِ والرُسُلِ
فيهـا الخليلُ وإسمعيلُ قبلهُما مُحَمَّدٌ جاءَ مضموماً اليهِ علي
هذا ابنُ مَن صيتهُ قد طارَ منتشراً في الشرقِ والغربِ مثلَ السبْعةِ الطُوَلِ
لو كانَ في أَرضنا طُرْقٌ الى زُحَلِ كانَ انتهى صيتهُ منها الى زُحَلِ
واليومَ قد قامَ إسمعيلُ يخلفهُ في الحَزمِ والعَزمِ بينَ القولِ والعَمَلِ
كانَتْ شمائلهُ كالزَهرِ نافحةً فأُنتِجَتْ من جناها صفوةُ العسلِ
خَليفةُ اللهِ رأسٌ والعزيزُ لهُ يَدٌ تُساعِدُهُ بالمالِ والخَوَلِ
اذا تَداعَتْ خُطوبُ الدهرِ بادرَها كالنارِ عندَ هبوبِ الريحِ في القُلَلِ
قد كانَ في مصرَ نيلٌ واحدٌ قِدَماً فزادَها اللهُ نيلاً مُطفِئَ الغُلَلِ
في كلِّ عامٍ لنا عيدٌ نُسَرُّ بهِ وعيدُها كلَّ يومٍ منهُ لم يزَلِ
يا مِصْرُ قاهرةَ الدُنيا بسَطْوتِها قد جدَّدَ اللهُ من أَيَّامِكِ الأُوَلِ
دارُ الخِلافةِ عادت فيكِ قائمةً كما اقتضَتْ حكمةُ الرَحْمنِ في الأَزَلِ
لكِ الهنـا بعزيزٍ عزَّ جانبهُ كأَنَّهُ مَلَكٌ في صورةِ الرَجُلِ
وليَغتَنِمْ رَبعُكِ المسعودُ حينَ مَشَى عليهِ من قَدَمَيهِ فرصةَ القُبَلِ
ان فاتَكِ الهَطَلُ المُحيي برحمتهِ فان راحتَهُ تُغني عن الهَطَلِ
وان تأَخَّرَ فيضُ النيلِ عنكِ فلا تَرِدْ عليكِ دَواعي الهَمِّ والوَجَلِ
مَن صامَ فيكِ وصلَّى فليَقُمْ سحَراً يدعو لهُ بامتِدادِ الجاهِ والأَجَلِ

لا زالَ معتصماً باللهِ وَهوَ لدى مؤرّخيهِ سعيدٌ بالغُ الأملِ

سنة ١٢٧٩

وقال مؤرخاً بناء دار الخواجا يوسف الجُدَيّ وهي اجمل دار في الاقطار الشامية

لِيُوسُفَ ابنِ الجُدَيِّ اليومَ قد عُمِرَت دارٌ مباركَةٌ دارَ الهنا فيها

بلابلُ الأنسِ تشدو في جوانبِها وأَنجُمُ السعدِ تزهو في أَعاليها

فَريدةٌ في دِيارِ الشرقِ شيَّدَها فَريدُ ذاتٍ بهِ طابت لَياليها

فكانَ تاريخُهَا مِنّي الدعاءَ لهُ دامَتْ ودامَ بحفظِ اللهِ بانيها

سنة ١٨٦٢

واقتُرح عليهِ ابيات استغاثةٍ يكتبها في الدار المذكورة فقال

عليكَ كلُّ اعتمادي أَيُّها الصمَدُ قد فازَ عبدٌ على مَولاهُ يَعتمِدُ

أَنتَ اللطيفُ الخبيرُ المُستغاثُ بهِ عندَ الخُطوبِ ومنك العونُ والمَدَدُ

اذا التوَت نُوَبُ الأيَّامِ وانعقَدَت فعندَ لُطفكَ لا تَستغلِقُ العُقَدُ

إِنْ لم تكُنْ عُدَّةً للمَرْءِ يَذخَرُها فليسَ يَنفَعهُ ذُخرٌ ولا عَدَدُ

يا واحدًا لم يَكُنْ كفُؤًا لهُ أَحَدٌ سِواكَ في كلِّ أَمرٍ ليسَ لي أَحَدُ

إِنْ لم يَمُدَّ اليك المُستَجيرُ يَدًا فمَن تُمَدُّ اليهِ في الوُجودِ يَدُ

أَنتَ القديرُ الذي الأَفلاكُ في يَدِهِ تُطوَى ومنهُ جبالُ الارض تَرتعِدُ

سُبحانَكَ اللهَ رَبًّا لا شريكَ لهُ في المُلكِ وَهوَ الإلهُ الواحدُ الصمَدُ

لكَ السماواتُ والدُنيـا مسبحةٌ وكلُّ ما وَلَدَتْ أُنثى وما تَلِدُ
أَنتَ الكريمُ الذي من لُطفهِ سَنَدٌ لكلِّ عبدٍ ضعيفٍ ما لهُ سَنَدُ
إِنْ أَصبحَ العبدُ يوماً عنكَ مُبتعِداً فإِنَّ حِلمَكَ عنهُ ليسَ يبتعدُ
أَنتَ المُعينُ لنا في كلِّ نائبةٍ لا يُستَطاعُ عليها الصبرُ والجَلَدُ
اذا أَرَدْنا سِوَى مَنجاكَ ليسَ نَرَى وإِنْ طَلَبْنا سِوَى جَدْواكَ لا نجِدُ
يا مَن يميتُ ويُحيي كلَّ ذي جسدٍ أَنتَ الحَياةُ ومنكَ الروحُ والجَسَدُ
اذا نَصرْتَ فما الأَعداءُ صانعةٌ وإِنْ وَهبْتَ فماذا يصنعُ الحَسَدُ
أَنتَ المُيَسِّرُ في قولٍ وفي عَمَلٍ ومن عِنايتِكَ التوفيقُ والرَشَدُ
فاجعَلْ لِما نبتَنيهِ منكَ أَعمِدَةً يا مَنْ بَنَيتَ سَماءً ما لها عَمَدُ
يا مالكَ المُلكِ هَبْ لي منك مغفِرةً تمحو الذُنوبَ التي لم يُحصِها عَدَدُ
وَعَدتَ بالعفوِ عَمَّنْ تابَ مُرتجِعاً وأَنتَ لا تُخلِفُ الميعادَ اذ تَعِدُ

وقال يرثي الخواجا حنانيا عُبيد

يا أَيُّها القبرُ فيكَ الناسُ قد رَقَدُوا مُنذُ القديمِ ولكنْ لم يَقُمْ أَحَدُ
فيا لهُ سَفَرًا ما كانَ أَطوَلَهُ ويالَها فُرقةً ميعادُهـا الأَبَدُ
قَدِ استوَى العبدُ والمولَى على قَدَرٍ تحتَ الثرَى فتَساوَى الدُرُّ والبَرَدُ
وليسَ يُعرَفُ مملوكٌ ولا مَلِكٌ فلم تَكُنْ غَيرةٌ فيهِمْ ولا حَسَدُ
الناسُ في الجِسمِ أَشباهٌ قَدِ اتَّفقَتْ والفرقُ في النفسِ اذ لا يفرقُ الجَسَدُ

كُنَّا نَرَى ابنَ عُبيدٍ بيننا رَجلاً لكنْ يُساوِي رِجالاً ما لَهُمْ عَدَدُ
كانَ التقى والنقا والحِلمُ مجتمعاً في شَخصِهِ واصطِناعُ الخيرِ والرَشَدُ
فلم يكنْ طيبُ خُلقٍ لانَراهُ بِهِ ولم يكُنْ فيهِ عيبٌ حين ينتقدُ
قد كانَ غوثَ اليتامى من مكارِمهِ فلا يُهمُّ لفقدِ الوالدِ الوَلَدُ
وكانَ كهفَ العفاةِ اللائذينَ بهِ تُثنى يدُ الدهرِ اذ تَمتَدُّ منهُ يَدُ
فؤادهُ كزُلالِ الماءِ حينَ صفا وغَيرةٌ فيهِ مثلَ النارِ تتقدُ
يبغي رضى اللهِ مهتماً بطاعتهِ وفي منافعِ خلقِ اللهِ يجتهدُ
هذا عمودٌ هوَى من أوجِ رفعتهِ على البَسيطةِ فاهتزّتْ لهُ العمدُ
قامتْ لهُ ضجّةٌ في مصرَ فاندفعتْ بحيثُ لم يخلُ من إرجافِها بَلَدُ
مضَى الى اللهِ مسروراً بغايتِهِ وفي الديارِ أقامَ الحُزنُ والنكَدُ
من بعدِهِ أدمعُ الأجفانِ قد كَثُرتْ وقلَّ عِندَ القلوبِ الصبرُ والجَلَدُ
هذا الطريقُ الذي لا بدَّ يسلكهُ جميعُ ما وَلَدَتْ أُنثى وما تَلِدُ
اذا طَلَبْنا لجُرحِ القلبِ فائدةً تَشفي فغيرَ جَميلِ الصبرِ لا نجدُ

وقال يرثى شبلي افندي ايوب

لو أنصفَ الراثي وسارَ على هُدَى جعَلَ الرثاءَ لنفسهِ وبها ابتدا
فابكِي لنفسكَ ألفَ دمعٍ جُملةً يامَنْ بكَى لأخيهِ دمعاً مفردا
وَدِّعْ أخاكَ مشمِّراً لطريقِهِ ولقَدْ يكونُ اليومَ ذلكَ أو غدا

لَيسَ المُوفَّقُ مَن يَسيرُ مؤخَّرًا ... إنَّ الموفَّقَ من يَسيرُ مُزوَّدا

يا بانيَ القصرِ الجميلِ لِنُزهةٍ ... قُمْ فابنِ قبرًا تقتنيهِ مؤبَّدا

يا راقدًا فوقَ السريرِ غفلتَ عن ... كهفٍ يكونُ الى القيامةِ مَرْقَدا

يا جامعَ الأموالِ هل تمضي بها ... وإذا مَضَيتَ فهل تمدُّ لَها يَدا

يا صاحبَ الجاهِ الذي لا بُدَّ أنْ ... تبقَى أسيرًا في الضريحِ مقيَّدا

قُمْ نعرفِ المَيْتَ الذي ذاقَ البِلَى ... هل كانَ عبدًا خادمًا ام سيِّدا

مَنْ كانَ فتَّانَ الجمالِ ومَنْ تُرَى ... هُوَ ذلكَ البَطَلُ الذي قهرَ العِدَى

أينَ الذينَ على العبادِ تسلَّطوا ... وسَطَوْا على أقصى البلادِ تمرُّدا

الكُلُّ صاروا كالهَباءِ فلا تَرَى ... عَينًا ولا أثرًا لعَينٍ قد بَدا

دارٌ غُرابُ البَينِ فيها ناعقٌ ... قد حامَ فوقَ رُؤوسِنا متردِّدا

لا يتَّقي ملكًا ولا أسدًا ولا ... شِبلًا فهذا الشِبلُ أدركَهُ الرَدَى

صبرًا بني أيُّوبَ فالصبرُ انتمى ... للبيتِ قِدْمًا فاحفظوهُ مُجدَّدا

صبرُ الرزيةِ كالدواءِ معادِلًا ... للداءِ فهوَ يُشَدُّ حينَ تَشدَّدا

إنّي لأندُبُ فقدَهُ متشاغِلًا ... عن وصفِ شيمتِهِ الذي لن يُفقَدا

تَدْري جميعُ الناسِ وصفَ كمالِهِ ... فيروحُ جهدُ الواصفينَ لهُ سُدَى

هذا هوَ العَلَمُ الشهيرُ كأنَّهُ ... عَلَمٌ على جبَلٍ بهِ الساري اهتدَى

نالَ الكمالَ فكانَ أعذبَ مورِدًا ... وأقلَّ أعداءً وأكثرَ حُسَّدا

جَمَعَتْ يداهُ المكرُماتِ فصانَها ... وجنَتْ قناطيرَ النُضارِ فبدَّدا

يا أَيُّها الشِبلُ النزيلُ بقفرةٍ ... شِبلُ الأُسودِ على القِفارِ تَعوَّدا
يا أَبيضَ الوجهِ الجميلِ ثَناؤُهُ ... ها قد جعلتَ الصُبحَ بعدكَ أَسودا
قد كُنتَ تدعو المُستغيثَ مناديًا ... فَغدا يَصيحُ وليسَ تَستمعُ النِدا
ولكَمْ فَدَيتَ منَ المُصيبةِ بائسًا ... واليومَ مَن ذا يَستطيعُ لكَ الفِدى
يا راحلاً رَحَلَ السُرورُ لِفَقْدِهِ ... وأَقامَ فينا ذِكرُهُ طُولَ المَدَى
مِنّا السلامُ عليكَ غيرَ مُوَدَّعٍ ... وعلى ضريحٍ بِتَّ فيهِ مُوَسَّدا
ظَلَّتْ ملائكةُ السماءِ تَزُورُهُ ... وأُنهِلَّ فوقَ تُرابهِ قَطْرُ النَدى

وقال يمدح خورشيد باشا والي ايالة صيدا

في قُبَّةِ الأَفلاكِ شمسٌ تَطلُعُ ... وبأَرضِنا شَمسٌ أَجَلُّ وأَنفَعُ
هاتيكَ تَطلُعُ في النَهارِ وشَمسُنا ... أَنوارُها في كلِّ حينٍ تَسطَعُ
قَدِمَ الوزيرُ فيا عِبادُ اُستبشِروا ... بالصالحاتِ وبالسلامِ تَمَتَّعوا
جادَ الزَمانُ بهِ فكَذَّبَ مَنْ شَكا ... بُخلَ الزَمانِ مُعطِّلاً ما يَصنَعُ
يا وَحشةَ القُدسِ الشريفِ فإِنَّهُ ... لو يَستطيعُ لَسارَ مَعَهُ يُشيِّعُ
وسُرورَ بيروتَ التي أَبراجُها ... كادَتْ تُصفِّقُ والحمائمُ تَسجَعُ
هذا المُقَلَّدُ بالحُسامِ وعَزْمُهُ ... أَمضَى منَ السيفِ الصقيلِ وأَقطَعُ
تَستغرِقُ الأَلفاظَ منهُ كِلْمةٌ ... ويُديرُ قُطرَ الشامِ منهُ اصبَعُ
يَقْظانُ فيهِ لِكُلِّ عُضوٍ مُقلةٌ ... يَرْنو بها ولِكُلِّ عُضوٍ مِسمَعُ

رَحُبَتْ وِلايتُهُ ولكنْ صَدرُهُ أفضى وأرحبُ في الأُمورِ وأوسعُ
فصلُ الخطابِ على سواهُ فرائضٌ لكنْ عليهِ اذا تطاوَلَ أذرُعُ
يَرمي البعيدَ بلحظِهِ فيقودُهُ وتَصُكُّ هِمَّتُهُ الحديدَ فتقطَعُ
شُكرًا لدولتِنا التي لم يَخْلُ من شُكرٍ لها في كلِّ قُطرٍ موضِعُ
خافَتْ علينا من ظلامِ زمانِنا فجلَتْ علينا نورَ شمسٍ يلمعُ

وقال مؤرخًا حضورهُ الى بيروت سنة ١٢٨٠

أَهدَى الكريمُ الى بيروتَ جوهرةً تَمَّ الجمالُ بها والفخرُ والشَرَفُ
قد أَصبحَتْ جنّةً قامت بها غُرَفٌ مِن فوقِها قامَ في تأريخها غُرَفُ

وقال يهنئهُ بالعيد

لَنا عِيدٌ يَدُومُ لَنا جديدًا وعِيدُ الناسِ ليسَ لهُ دَوامُ
وبهجةُ عيدِ كلِّ الناسِ يومٌ وبهجةُ عيدِنا عامٌ فعامُ
وفي الأَفلاكِ شمسٌ كلَّ يومٍ تَغيبُ وبعدَها يأْتي الظَلامُ
وفي بيروتَ شمسٌ كلَّ حينٍ تلوحُ فلا غروبَ ولا قَتامُ
تَولّى ثغرَها خُرشيدُ سعدٍ فلاحَ من الضياءِ لهُ ابتِسامُ
فليسَ سِوَى السحائبِ فيهِ باكٍ وليسَ بنائحٍ الاّ الحَمامُ
لَنا منهُ سَلامٌ مستَمِرٌّ نَعَمْ ولهُ منَ اللهِ السلامُ
مَدائحُهُ افتتاحُ مورِّخيهِ وإيفاءُ الدُعاءِ لهُ ختامُ

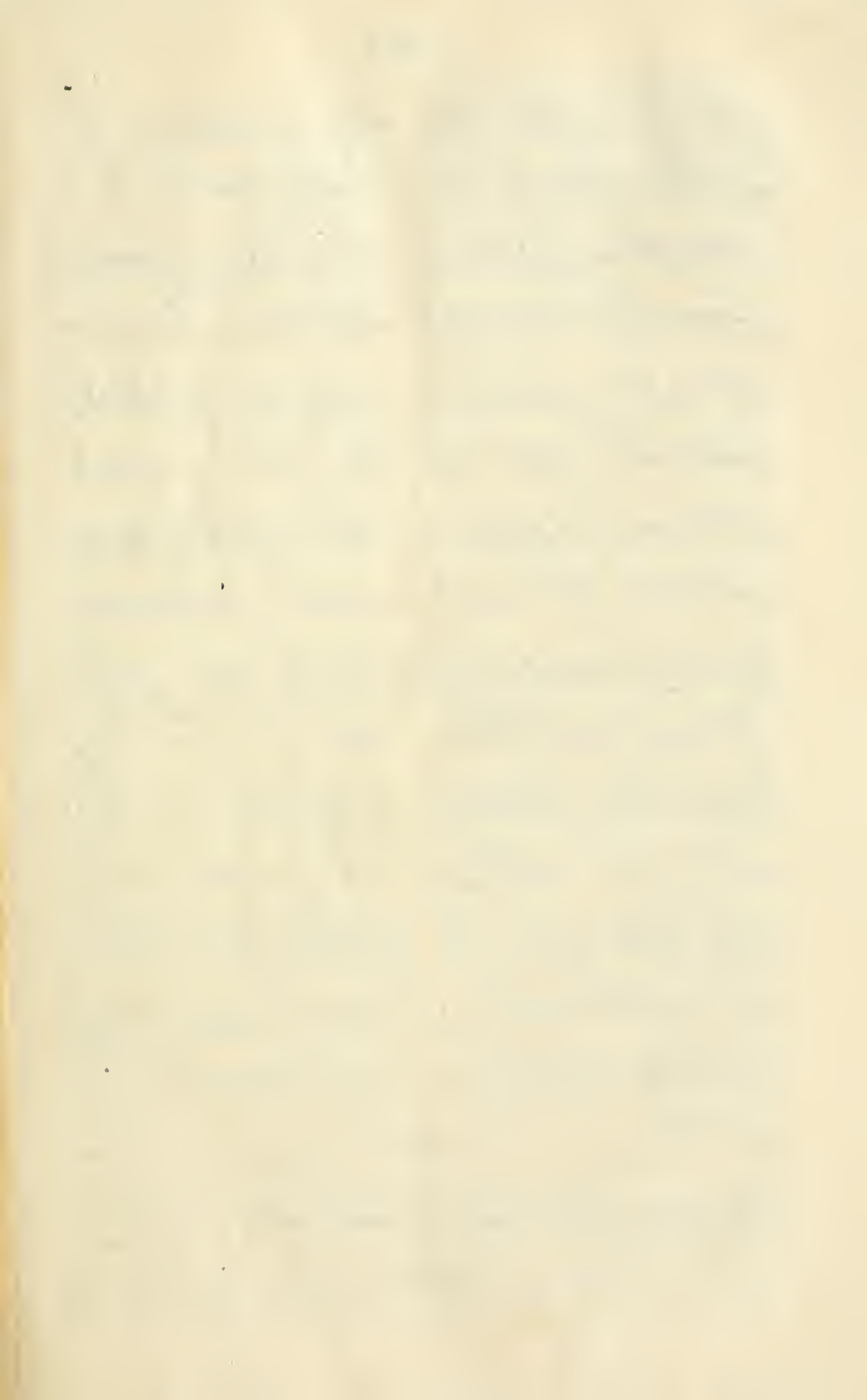
سنة ١٢٨٠

وقال يمدح ولده سليمان بك

الشمسُ والبدرُ في أُفقِ العلى افترقا وههنا اجتمعا للناسِ في دارِ
شمسٌ علتْ عن كسوفٍ أن يُلِمَّ بها وبدرُ تمٍّ علا عن خسفِ اقمارِ
فرعٌ على أصلهِ دلّت شمائلهُ والأصلُ نعرفهُ من طيبِ أثمارِ
سِرٌّ سرى من أبيهِ فيهِ مندرجاً في نفسهِ كدمٍ في جسمهِ سارِ
أعطاهُ مولاهُ من فضلٍ على صغرٍ ما ليسَ تُعطى شيوخٌ ذاتُ أدهارِ
مواهبُ الناسِ مثلَ الناسِ باطلةٌ فلا عطيّةَ الاَّ منحةُ الباري

وقال يرثي ابرهيم افندي مشاقة

قوموا بنا نسألُ الأمواتَ في الرُّجَمِ ما يذكرونَ منَ اللذَّاتِ والألَمِ
قد كانَ ما كانَ حلماً فانقضى ومضى كأنَّ رائيهِ لم يحلُمْ ولم ينمِ
العيشُ في الأرضِ وهمٌ أهلهُ عدمٌ وما الذي يا ترى نرجو من العدمِ
بالأمسِ قد كانَ إبرهيمُ صاحبنا واليومَ في التربِ أضحى صاحبَ الرِمَمِ
كأنهُ لم يكُنْ رُكناً لطائفةٍ ولا منارًا لدارِ العلمِ والحِكَمِ
أجابَ طوعاً دُعاءَ اللهِ حينَ دعا وتلكَ شيمةُ إبرهيمَ في القِدَمِ
كسا الحِدادَ سوى القرطاسِ مُصطحِباً بياضَهُ حينَ جفَّتْ عبرةُ القلمِ
وعاهدَ العينَ لا تجري مدامعها عليهِ ما لم تكُنْ ممزوجةً بدمِ
مضى سريعاً فلم تثبُتْ لهُ قدمٌ من كانَ في كلِّ فنٍّ ثابتَ القدمِ






LIBRARY
SEP
20
1978
UNIVERSITY
OF TORONTO







